المسحة الأدبية في كتابات
الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

جمع وترتيب

السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

ملتزم النشر والتوزيع

مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة

ص ب ٩٣ ـ لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

رقم : ٢٢

الطبعة الأولى	١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
عدد النسخ :	١٠٠٠
عدد الصفحات :	٢٥٨
سعر النسخة :	١١٠

الناشر

مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة
ص ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

محتوى الكتاب

كلمة الناشر

بقلم: نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

المقالات

١- ملامح أسلوب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ٥-٢٦

بقلم : الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

٢- الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي ٢٧-٨٤

بقلم: الأستاذ عبد القادر بن عيسى بطاهر

٣- الشيخ أبو الحسن الندوي الأديب الناقد ٨٥-١٢٨

بقلم: الأستاذ محمد حسن بريغش

٤- العلامة السيد أبو الحسن الندوي

رائد الأدب الإسلامي للأطفال ١٢٩-١٥٦

بقلم: الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

٥- القصة في أدب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ١٥٧-١٧٠

بقلم: محمد واضح رشيد الحسني الندوي

٦- ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة قصص من

التاريخ الإسلامي للأطفال لأبي الحسن الندوي ١٧١-١٩٥

بقلم: الدكتور سعد أبو الرضا

٧- أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي ١٩٦-٢٤١

بقلم: الأستاذ نصر عبد الله سلامة العتوم

٨- جهود الشيخ أبي الحسن الندوي

في خدمة الأدب الإسلامي ٢٤٢-٢٥٤

بقلم: الدكتور عبد الباسط بدر

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد.

فقد كان سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مفكراً، وكاتباً إسلامياً، وداعية، وشغل حياته بأعمال فكرية ودعوية، تدريساً وكتابة وخطابة، ونشأ في بيئة دينية وعلمية وأدبية، وتربى على حب الدين ونصرة الحق، واكتسب من دراسته العلمية والأدبية ذوقاً جميلاً وبراعة في التعبير والكلام، واشتغل طيلة حياته بخدمة العلوم الدينية، والتوجيه، والدعوة والإرشاد، واختار في سبيل ذلك أسلوباً رائعاً في الكلام، وإن عمل الدعوة والتوجيه إنما يفتقر لنجاحهما وتأثيرهما إلى هذا المؤهل التعبيري أيما لغة كانت، وظهر هذا المؤهل في كلام سماحته باللغة الأردية والعربية كلتيهما، وكان أكثر أعماله التأليفية في اللغة العربية، فظهر هذا المؤهل في مؤلفاته في اللغة العربية بصورة أكبر، ولقد اطلع على ذلك وعرف هذه الميزة في كتاباته عدد من العلماء والأدباء العرب حتى إن بعضهم

www.abulhasanalinadwi.org

أفردوا مقالات حول هذه الميزة في كتابات سماحته.

ولما رأى بعض تلامذته عدداً من مقالات الباحثين في شخصيته في موضوع خصائصه الأدبية أرادوا أن يجمعوها في كتاب لتتضح أمام القراء ميزة سماحته في هذا المجال، فبناء على ذلك قام الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء بجمع هذه المقالات الأدبية وترتيبها في هذه المجموعة، وساعده في ذلك الأستاذ إقبال أحمد الندوي الغازيبوري والعزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي، فلهم شكر القراء وتقديرهم.

أرجو أن ذلك لن يخلو من فائدة علمية وفائدة أدبية كذلك، بل يكون ذلك نبراساً للذين يشتغلون بالدعوة والإصلاح كتابة وخطابة، إن شاء الله تعالى، والله هو الموفق.

كتبه

١٤٢٥/٨/٨هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٠٠٤/٩/٢م — رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة

ندوة العلماء لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

ملامح
أسلوب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

بقلم

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء لكناؤ، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيسها لشبه القارة

www.abulhasanalinadwi.org

ملامح
أسلوب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

إن العالم الإسلامي قد حظي في القرن الماضي بشخصيات علمية وقيادية متعددة كانت مجالات اختصاصاتها العلمية والعملية مختلفة فيما بينها، ومحدودة في واحد أو اثنين منها بصورة عامة، أما شخصية العالم المفكر الداعية العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي فقد امتازت من بين هذه الشخصيات الجليلة، وذلك بكون أعماله التي لها قيمة موضوعية في مجالات متعددة، لا في مجال واحد أو مجالين، وظهرت ميزة تنوع موضوعاته هذه في تأليفاته ومحاضراته المطبوعة، أما التأليفات فقد ظهرت له كتب ذات قيمة علمية في الفكر، والأدب، والتاريخ، والتربية، والدعوة، وهي تدل على الجوانب الفكرية والتوجيهية المتنوعة في موضوعات الاجتماع، والدين، والأدب، وكل هذه الموضوعات جاءت في كتب سماحته مرتبطة بما يهم الأمة الإسلامية، في تاريخ فكرها وحالتها الاجتماعية والخلقية، وفي أسسها التعبدية، ومقتضيات الدعوة والتربية لها، مع بيان المثال الرائع والأسوة العالية من

www.abulhasanalinadwi.org

حياة رعيل الأمة الإسلامية الأول، فقد حمل هذا الرعيل الكريم الرسالة المقدسة التي اشتملت على الأمانة التي عرضها الله تعالى على مخلوقاته، وحملها الإنسان وهي خلافة الله في هذه الأرض، فقد أدى الرعيل الأول لهذه الأمة هذه الرسالة، فبشّر العالم، وأنذره من عواقب الانحراف في الحياة في مختلف مجالاتها، وقام رجاله بالإصلاح والتربية الناجحة لمن اتصلوا بهم، ثم سارت على أثر هذا الرعيل الأول أجيال تالية من الأمة الإسلامية قوة وضعفاً في أداء المسئولية، ولقد بنى سماحة العلامة أبي الحسن الندوي عمله التأليفي على موضوعات منبثقة من هذه النقطة في مجال الفكر والبحث، فتطرق في موضوعات مختلفة، ولا شك أن ذلك كان يقتضي منه أن تكون مؤهلاته أيضاً متنوعة بخبراته العلمية والفكرية والأدبية وإن كان ذلك صعباً، لأنه يقتضي تنوعاً كذلك في موضوعات الدراسة، ومعرفة لمقتضيات الحياة الراهنة والحياة السابقة، ثم قدرة على إحسان الأداء والتوضيح.

ولقد حصل لسماحته عند بدء نشأته اتصال مباشر بمكتبة والده العالم الأديب والمؤرخ البحاثة العلامة الشريف عبد الحي الحسني صاحب "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"(نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر في ٨ مجلدات)، وحصلت له أولاً الاستفاضة في دراسة الموضوعات التاريخية، وفي دراسة الأدب في اللغتين العربية والأردية، وقد تمكنت ملكته في هذين الموضوعين بصورة خاصة، وبالإضافة إلى ذلك واصل دراسته في موضوعات أخرى من العلوم الدينية والاجتماعية، وقيض الله له

www.abulhasanalinadwi.org

أساتذة من أصحاب الاختصاص في اللغة العربية، والأدب العربي، والحديث والتفسير، مع تجربة عملية في مجال الدعوة مع قادة حركات الدعوة المعاصرة، فأحرزها أيضاً بإتقان واختصاص، ولما بدأ عمله العلمي والاجتماعي كانت الموضوعات التي يختارها للبحث والتحقيق أو التحدث عنها في مجال الأحوال الفكرية والعلمية عن الأمة الإسلامية، وأحوال الشعوب الأخرى، كان يستفيد من معرفته التاريخية، وثقافته العلمية العالية وتجربته، وكان ينطبع تعبيره وإيضاحه عما يريده بالتعبير الواضح الشيق، ونرى هذا الوضوح في التعبير يؤثر في تقريب المعنى إلى فهم القارئ، بل هو يكسب إعجابه وميله إلى قراءة ما يكتب أو يحاضر، نرى ذلك في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" فإننا نرى القارئ للموضوع يستفيد بالمعاني ويجد بيانها شيقاً كأنه شيء قريب من الأدب كذلك، مع أن موضوع الكلام فيه يكفيه تقديم المعنى تقديماً بسيطاً، لأن الموضوع فيه موضوع فكري وتاريخي، وهكذا نجد في كتابه "الأركان الأربعة" فإن التعبير فيه للمعاني الدينية، والأحكام الشرعية الإسلامية يفتقر إلى أسلوب علمي يقدم فيه الكاتب المعاني بتوضيح جميل، ويختار في التعبير عن الموضوع كلمات لها جانب من المسحة الأدبية، وذلك بأسلوب فيه البلاغة، مع احتياط أن لا يطغي ذلك الطابع الأدبي على الطبيعة العلمية.

إنه يختار هذا الأسلوب بكثير من التحفظ والاحتياط لأن لكل موضوع أسلوباً ينطبع بطبيعته، فللمعاني الفكرية أسلوب علمي، وللمعاني الثقافية أسلوب ثقافي ممتزج بأسلوب الأدب،

www.abulhasanalinadwi.org

وللتاريخ أسلوب تاريخي يتصف بالسهولة والوضوح والبساطة في التعبير، وللمعاني الأدبية أسلوب أدبي يتنوع تنوعاً بمقتضيات أنواع المعاني، لقد كان سماحته يراعي هذا التنوع في الأسلوب كل الرعاية، فكان يمزج في التعبير عن المعاني الفكرية والعلمية الأسلوب العلمي بشيء من الجانب الأدبي، ولكن بحكمة ورعاية للمقصود.

أما في الموضوعات التي لها طابع أدبي فإنه يعطي كل قسم من أقسامه حقه، فنرى في كتابه "مختارات من أدب العرب" أنه راعى في اختيار القطع الأدبية من تاريخ الأدب العربي في الامتداد الإسلامي الذي يبدأ منذ ألف وخمس مائة سنة، تنوعاً للأساليب لأقسام مختلفة من الأدب، وفي عهود مختلفة وشخصيات مختلفة من الأدباء وأصحاب الكلام، وبدقة فحصه، واقتباسه لأنواع مختلفة في الأسلوب والموضوع، وقضائه في هذا الاقتباس وقتاً لائقاً من أوقاته نشأت فيه بصيرة في فهم تنوع الأساليب عند فحصه للكلام المؤثر البليغ في التراث العربي طيلة عهده الطويل، واختياره لقطع ذات قيمة أدبية بأساليبها المتنوعة عند تأليفه للكتاب، فقد اختار قطعاً لأئمة البلاغة وزعماء الأسلوب الأدبي في مختلف العهود، مثل عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، والوزير ابن العميد، كما اقتبس قطعاً من أصحاب الأساليب السهلة مثل عبد الله بن المقفع، وابن خلدون، وقطعاً ذات روعة في الكلام لغير الموسومين بفن الأدب، كما اختار من كلام الأدباء الكتاب في العصر الحديث مقتبسات لها قيمة أدبية قليلاً أو كثيراً، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

قضى سماحته وقتاً مديداً في هذا الاختيار للقطع الأدبية مع مراعاة جوانب متعددة لأهمية موضوع الكلام وإفادته مع وضوح صورته اللفظية وبراعة التعبير فيها، وتأثير الكلام في النفوس، وأدائه للهدف المقصود، فعاش مع أصحاب الأساليب المتنوعة في كتاباتهم، فنشأ بسعيه في هذا بالإضافة إلى تأليفه للكتاب ذوق وفهم أدبي دقيق، وتأثرت بذلك ملكته التعبيرية في الكتابة والخطابة، وهي التي كانت تحمله على اختيار أسلوب رائق للموضوع الذي كان ينشده في مؤلفاته حتى أصبحت تشوب مضامين كتاباته الفكرية مسحة أدبية، وذلك بدون مبالغة أو مغالاة فيها، إن دراسته ومطالعته للكتب الفكرية والمؤلفات الدينية والعلمية الجادة كانت في مكانتها من القوة والدقة، أما ملكته التعبيرية فقد كانت ثمرة لمطالعته للكتب الأدبية.

أما إذا كان الموضوع موضوعاً أدبياً فقد كان يظهر فيه في مظهر أديب بارع، ومحقق للأدب، فنحن إذا رأينا كتابه في نقله لشعر إقبال في النثر العربي وجدناه أنه اعتنى اعتناء كاملاً وبليغاً في نقل المغزى وحسن أدائه في شعره، وكان في ذلك ناجحاً، وبذلك استطاع المحافظة على الروعة الشعرية التي أسبغها الشاعر على كلامه باللغة الأردية عند نقل مضامين شعره إلى اللغة العربية بحيث إنه لو أضاف إلى هذا الكلام المنقول من اللغة الأردية إلى العربية وزناً وقافية، لم يكن أقل من شعر إقبال في روعته وأصالته الأدبية في اللغة العربية منقولة من اللغة الأردية.

أما في الكتب العلمية والفكرية فهو يلتزم بأسلوب المفكرين القدامى البارعين في أداء المعاني في أسلوب سلس، أما

www.abulhasanalinadwi.org

إذا كانت المعاني دعوية وتربوية فكان يسبغ عليها مسحة بيان وتأثير، ويريد بذلك تأثيراً في نفوس القراء أو السامعين، تشهد بذلك رسائله ومحاضراته التي كتبها في مجال التوجيه والدعوة، وبذلك كان سماحته مفكراً، ومحققاً علمياً كذلك، وداعية وأديباً كذلك، فالقارئ لكتاباته يستفيد من فكره، ويتأثر بتوجيهاته، ويتمتع بأسلوبه وجميل أدائه للمضمون، واعترف بذلك العلماء العرب ذوو معرفة بالأدب من قراء كتاباته، لقد ذكروا ذلك باستحسان ما وجدوه وتذوقوه في كتبه ومؤلفاته.

نموذج للمجال الفكري والاجتماعي

يقول العلامة الندوي وهو يذكر طرائف العصبية القومية في أوربا:

"كانت نتيجة انحلال النظام الديني وانتعاش النعرة القومية أولاً، أن أصبحت أوربا معسكراً واحداً ضد الشرق كله، وخطت خطاً فاصلاً بين الغرب والشرق، أو بين أوربا وبين سواها من القارات والأقاليم، والجنس الآري وبين ما عداه من أجناس البشر، يعتقد أن كل ما دون هذا الخط له الفضل على كل ما وراءه من نسل وشعب وثقافة وحضارة وعلم وأدب، وأن الأول خلق ليسود ويحكم، والثاني ليخضع ويدين، والأول ليبقى ويزدهر، والثاني ليموت ويضمحل، وهذا بعينه ما امتاز به اليونان، والروم في عهدهم، فقد كانوا لا يعدون مهذبين إلا أنفسهم فقط، وكانوا يسمون كل شيء غريباً خصوصاً كل ما كان واقعاً في شرق المحيط الإطلانتيكي بربرياً.

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت نتيجة هذه النفسية الجنسية والعصبية ضد كل ما جاء من الخارج ويعزى إلى أجنبي، أن صارت بعض الشعوب الأوربية تنظر إلى الدين المسيحي وإلى المسيح كطارئ ونزيل يريدون أن ينفوه من بلادهم ويتبرؤوا منه، يمثل ذلك ما قال أحد المعلمين في ألمانيا وهو البروفيسور أترني:

"لأي شيء يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية، ولماذا يقص عليهم قصص إبراهيم وإسحاق؟ ينبغي أن يكون إلهنا أيضاً ألمانياً".

ونشأت في ألمانيا طائفة تتبرأ من سيدنا المسيح عليه السلام لكونه من بني إسرائيل، والذين لا يزالون يدينون له بالحب والتعظيم يجتهدون أن يثبتوا أنه كان من سلالة آرية، وظهرت في ألمانيا نزعة إلى إحياء الآلهة القومية القديمة التي كان يعبدها الشعب الألماني في عهده القديم.

وليست روسيا العالمية بأقل حماسة للعصبية الجنسية والوطنية من منافسها القديم ألمانيا".

ويقول:

"ومما يدعو إلى الأسف والاضطراب، أن هذه العدوى القومية قد سرت إلى بعض الأقطار الإسلامية التي كان يجب وكان من المترقب أن تكون زعيمة لدعوة الإسلام العالمية، حاملة في عصرها لرسالة الأمن والسلام، وأن تكون جبهة قومية ضد القومية والوطنية، وذلك بانحلال الدين في هذه البلاد، وبتأثير الآداب الأوربية والحضارة الغربية، فترى في الترك النزعة الطورانية والدعوة إلى إحياء جاهليتها القديمة وآدابها وثقافتها،

www.abulhasanalinadwi.org

والنظرة إلى الدين الإسلامي الذي انتشر على أيدي العرب وشريعة الإسلام وثقافته و لغته نظرة تشبه نظرة ألمانيا الجديدة إلى الأديان التي جاء بها الأنبياء من غير النسل الآري والآداب السامية وثقافتها، فاعتقد بعض المفكرين في تركيا الفتاة أن الإسلام دين طارئ غريب لا يصلح للترك، وأن الأولى بهم أن يرجعوا إلى وثنيتهم الأولى قبل أن اعتنق آباؤهم الدين الإسلامي".[١]

نموذج من أسلوبه التاريخي

يقول العلامة الندوي وهو يبيّن إصلاحات عمر بن عبد العزيز الواسعة في نظام الحكم:

"إن عظمة عمر بن عبد العزيز وعبقريته ليست محصورة في ورعه وزهادته ـ وهو عظيم في ذلك حقاً، ويستحق أن يسمى عبقرياً إذا عرفنا ما كان يحف الملوك من الإغراءات وفرص المتعة، وما كان يملكه من الحرية المطلقة ـ وليست عظمته محصورة في ما كان يؤاخذ به عماله وأمراءه من التورع، إن أعظم ما يمتاز به هو أنه نظر إلى الحكومة نظرة لم ينظرها إلا الرسول وخلفاؤه الراشدون، فقد كانت الحكومة في عهده مقصورة على جباية الأموال وإنفاقها في مصالح الدولة، لاصلة لها بأخلاق الجمهور وعقائده، وأخلاق الناس، ولا شأن لها بالضلالة والهداية، وكان الذين يخلفون الرسول الذي أرسل للناس كافة بشيراً ونذيراً

---

[١] -ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة الندوي، ص: ٢٢٨-٢٣٠.ط: المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ٢٠٠١م

www.abulhasanalinadwi.org

وهادياً بإذنه وسراجاً منيراً، كان الذين يخلفون هذا الرسول عصابة من جباة الأموال يقيسون كل قضية في هذه الدولة ـ التي كانوا يسمونها الخلافة ـ بالمقياس المالي، ولا ينظرون إلى شيء إلا بالناحية المالية.

ظهر عمر بن عبدالعزيز في هذه الأسرة الحاكمة، فثار على هذه النظرة وعلى هذه النفسية، وقال عن الحكومة كلمته المأثورة التي سجلها التاريخ، ولا أعرف كلمة في التاريخ تبيّن روح الخلافة الراشدة وما تمتاز به عن الحكومة الزمنية أبلغ من هذه الكلمة، لقد شكا إليه بعض العمال أن أهل الذمة بدأوا يقبلون على الإسلام في عدد كبير وقد فشا فيهم الإسلام، وأصبحت هذه قضيّة تشغل عقول "الإداريين" ذلك أن الجزية التي يفرضها الإسلام على أهل الذمة ـ ولو كان بمقدار طفيف، يتضاءل بجانب ما يتمتعون به من حقوق، وما يعفون عنه من خدمات ـ من أعظم موارد بيت المال، فإذا أسلم هؤلاء سقطت عنهم الجزية، وخسرت مالية الدولة الإسلامية خسارة باهظة، بلغت هذه الشكوى عاهل الدولة الإسلامية، فأجاب عنها في هدوء وثقة، وكتب إليه: "إن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جابياً".

وعلى هذا الأساس وعلى هذه النظرة قامت دولته، وهو أساس "الهداية" التي بعث لها النبي صلى الله عليه وسلم، وبهذه النظرة كان ينظر إلى قضايا الحكومة ومصالحها، وهي نظرة "المرشد" ونظرة "الداعي" ونظرة خليفة الرسول الهادي، وذلك مفتاح شخصية عمر بن عبد العزيز الذي نستطيع أن ندخل به إلى

www.abulhasanalinadwi.org

رحاب هذه الشخصية الفذة في الإسلام، الفذة في الأمم "[١].

نموذج في الموضوع الديني

يقول العلامة الندوي في كتابه "الأركان الأربعة":

"وكذلك وردت نصوص وإشارات في هذه الكتب ـ وشهد العلم والتجربة بصحتها ـ بوصف هذا الإنسان المخلوق، وبيان ما فُطر عليه، وتركبت به طبيعته من أضداد ومتناقضات، فليس هنالك مخلوق ـ على كثرة المخلوقات والموجودات ـ أدق وأعمق منه صنعاً، وأكثر منه غرابة وغموضاً، وأعظم منه تناقضاً وتضارباً، فهو ضعيف يحب القوة والغلبة، فقير يحب الغنى والخير، خاضع لناموس الموت والفناء، محب للخلود والبقاء، متعرض للأمراض والأخطار، ولوع بالصحة والسلامة، هلوع جزوع، ولوع طموح، كثير الحاجات، دقيق الرغبات، عميق الهواجس والخواطر، بعيد الآمال والنظرات، لا تروى غلته ولا تُشبع جوعته، ملول طرف، سؤوم ضجر، يكره القديم التليد، ويطلب المزيد الجديد، ويزهد في الميسور الموجود، ويرغب في المعدوم المفقود، حاجاته ومطامعه أكثر من أنفاسه، وأطول من حياته، وأوسع من أن يسعها هذا العالم المحدود.

وفي هذا التناقض الغريب، والصراع العنيف، وفي هذا الطموح البعيد، والحرص والنهامة، والطلب والاستزادة، سر

---

[١] -رجال الفكر والدعوة في الإسلام للعلامة الندوي، الجزء الأول، ص: ٣٦-٣٧، ط: دار القلم، الكويت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣م

www.abulhasanalinadwi.org

شرفه وكرامته، واصطفائه وخلافته، وبه استطاع أن يتسلم الأمانة التي اعتذرت عنها السموات والأرض والجبال ﴿ **فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان** ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧٢]، وبه استحق الخلافة في هذه الأرض، ووصل إلى أسمى مكان تحسده عليه الملائكة المقربون"[١].

نموذج للموضوع الأدبي

ينقل العلامة الندوي شعر إقبال الأردي إلى النثر العربي:

"أيها العرب قد منَّ الله عليكم، إذ جعلكم مثل السيف البتار، أو أحد منه، وكنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصحراء، تركبون عليها، وتظعنون بها، ثم انعكست الآية، فسخر الله لكم المقادير، فضلاً عن الإبل، فأصبحتم من مالكي أعنتها، فلو أقسمتم على الله لأبركم، وهنالك دوت تكبيراتكم وصلواتكم، وزمزمت جلبة حروبكم ومغازيكم بين الخافقين، فارتج بها ما بين الشرق والغرب، فما أحسن تلك المغامرات، وما أجمل تلك الغزوات".

"أسفاً على هذا الخمود والجمود، أيها العرب! ألاترون إلى الأمم الأخرى، كيف تقدمت وسبقت! أما أنتم فما قدرتم قدر هذه الصحراء التي نشأتم فيها، وهذه الحرية التي ورثتموها، كنتم أمة واحدة، أمة الإسلام، فصرتم اليوم أمماً، وكنتم حزباً واحداً، حزب الله، فأصبحتم أحزاباً، لقد فرقتم جمعكم،

---

[١] -الأركان الأربعة للعلامة الندوي، ص: ١٦-١٧، ط: دار القلم، دمشق ط: ١٩٩٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

ومزقتم شملكم، وانقسمتم على أنفسكم".

"اعلموا أيها السادة! أن من ثار على شخصيته وكرامته، وفقد الثقة بنفسه مات ومحي من الوجود، ومن فرَّ من معسكره وانحاز إلى صفوف الأعداء، وتطفل على مائدتهم، عوقب بالهوان والشقاء، والطرد والجلاء، ألا إنه لم يجن عدو على عدو مثل ما جنيتم أنتم على أنفسكم، ولم يسيء أحد إلى أحد إساءتكم إلى أمتكم، إنكم آذيتم روح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصنيعتكم، فهي متألمة متوجعة شاكية مستغيثة"[١].

في موضوع الدعوة

يقول العلامة الندوي :

"إذا حجب الليل النهار، وهجمت جنود الهوى من كل جانب، وهزمت الفضيلة والأخلاق، وإذا أصبح الإنسان ينحر أخاه لأجل فلس أو لأجل قرص، وإذا أصبحت الشعوب الكبيرة تزدرد الشعوب الصغيرة في سبيل الجشع أو الخيلاء، وإذا صار وثن المال يعبد على قارعة الطريق، وإذا ضحي بألوف من الناس على أنصاب الجنسية والوطنية، وإذا حال الإنسان بين الإنسان ورزقه، إذا التهبت نار الشهوات، وانطفأ نور القلب، إذا نسي الإنسان الموت، وعكف على الحياة يعبدها، إذا غلا الجماد والمعدن، ورخص الإنسان في سوق العالم، فصارت المدن العامرة تسوي بها الأرض، وألوف من البشر يقتلون في دقائق

---

[١] -روائع إقبال للعلامة الندوي، ص: ١٢٧-١٢٨، ط: المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ، ٢٠٠٤م

www.abulhasanalinadwi.org

وثوان بالقنبلة الذرية، إذا تغلبت الأمم الأوربية على العالم، وجعلته بيت المقامرين، أو سوق الجزارين، وعبثت بالإنسانية عبث الوليد بجانب القرطاس، وتلاعبت بالأمم كالكرة، إذا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، هنالك يستصرخ هذا الكون المؤمن، ويستغيث به، وهنالك تناديه الإنسانية باسم الإسلام الذي طلع كالصبح الصادق في ظلام الليل الحالك، وباسم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أغاث الله به الإنسانية في احتضارها وانتحارها، وحفظ به مهجة الإنسانية، وأدال به من الجاهلية الجهلاء"[١].

في مجال الأسلوب القصصي

واختار سماحته أسلوباً قصصياً كذلك عندما كتب في مجاله، ولقد ظهر فيه نجاحه بحيث إن بعض كبار أصحاب الأسلوب القصصي اعترفوا بنجاحه في هذا المجال، ولكنه لم يطرق فن القصة للكبار، بل حصر عمله في القصة للصغار والناشئين، فله عدة حلقات لقصص النبيين سار فيها على الأسلوب القصصي، كما أنه اختار أحداثاً من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقصها على الأطفال والصغار، ولهذه القصص مجموعة اسمها" قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال" كما أنه اتبع الأسلوب القصصي كذلك في المواضع التي تقتضيه في كتابه لتعليم اللغة العربية باسم" القراءة الراشدة" ففيه فصول

---

[١] -إلى الإسلام من جديد، للعلامة الندوي، ص: ٣٩-٤٠، الطبعة السادسة، ط: المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ٢٠٠٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

قصصية كذلك، وهدف سماحته في كل ذلك تربية النشء تربية خلقية واجتماعية صالحة، وفيما يلي نموذج من هذا الأسلوب:

"فالغزوة ما خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جند من المسلمين للجهاد في سبيل الله.

نعم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، ورجع عنها في الظهيرة، وكانت أيام الصيف، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستريح.

وليس في البرية مكان يستريح فيه الإنسان إلا الشجر، وليس في البرية في بلاد العرب شجر كبير، وليس فيها إلا السمر.

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة وعلق بها سيفه، وتفرق الناس، وناموا، ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت السمرة.

وجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالسمرة، وهو في غمده.

فأخذ المشرك السيف، وسله من غمده، واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال المشرك.. والسيف مسلول في يده.. لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تخافني؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا".

قال المشرك: من يمنعك مني؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله".

فسقط السيف من يد المشرك، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف.

www.abulhasanalinadwi.org

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشرك: "من يمنعك مني"؟

فقال المشرك: كن خير آخذ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"؟

قال المشرك: لا! ولكني أعاهدك على ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله.

فأتى المشرك أصحابه، فقال جئتكم من عند خير الناس"

ونموذج آخر:

"وجاء ضيوف مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقسمهم على المسلمين.

وأخذ كل واحد نصيبه من الضيوف، وأخذ أبوطلحة نصيبه من الضيوف.

وفرح أبو طلحة بالضيوف، لأنهم ضيوف الله ورسوله وضيوف الإسلام.

وفرح أبو طلحة، لأنه يرجو في ذلك رضا الله ورسوله، وثواب الآخرة.

وسار أبو طلحة بضيوفه، وهو لا يعلمُ هل يجد لضيوفه طعاماً في بيته.

ولا يدري أبو طلحة ماذا طبخت أم سليم؟

ولا يدري أبو طلحة هل في البيت فضل من الطعام يأكله

www.abulhasanalinadwi.org

الضيوف؟

ولا يدري أبو طلحة هل أكل الأطفال طعامهم، وناموا، أم ينتظرون الطعام؟

لم يفكر أبو طلحة في ذلك، ولم يمنعه شيء.

وقطع أبو طلحة الطريق في فرح وسرور، والضيوف وراءه.

وقرع أبو طلحة الباب وسلم على أهل البيت؟ السلام عليكم، أأدخل؟.

وإذا صوت من الدار: وعليك السلام، ادخل.

ودخل أبو طلحة، وقال في صوت المبشر: معي ضيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت أم سليم في صوت المستبشر: مرحباً بضيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أبوطلحة: وما في البيت من الطعام؟

قالت أم سليم في غير جزع ولاخوف: طعام الأطفال فقط.

وماذا يفعل أبوطلحة والطعام لا يكفي أهل البيت، فكيف بالضيوف؟!.

فكر أبو طلحة، واهتدى إلى حيلة لطيفة.

والكريم له حيل ولطائف.

عزم أبو طلحة على أن يجوع هذه الليلة، ويطعم ضيوفه.

وعزمت أم سليم على أن تجوع الليلة، وتطعم ضيوفها.

وماذا عليهما لو جاعا ليلة من الليالي، وأطعما ضيوفهما؟ إنهما لا يموتان إذا جاعا ليلة.

www.abulhasanalinadwi.org

وعزما على أن يؤثرا الضيوف على أنفسهما.

وعزما على أن يسكنا الأطفال، فينامون، ويأكل الضيوف.

ولكن كيف يأكل الضيوف والمضيف لا يأكل، فكر أبو طلحة في ذلك، فوجد إلى ذلك سبيلاً.

قال لأم سليم: إذا جلسنا نأكل، اذهبي إلى السراج، كأنك تريدين أن تصلحيه، وأطفئيه.

وهكذا كان، جلس الضيوف ليأكلوا، وجلس أبو طلحة ليأكل.

وذهبت أم سليم إلى السراج، كأنها تريد أن تصلحه.

وأطفأت أم سليم السراج.

وانطفأ السراج، وبدأ الضيوف يأكلون في الظلام.

وكان أبو طلحة يمد يده إلى الصحفة، ويرفعها، ولا يتناول شيئاً.

وكان أبو طلحة يريهم أنه يأكل، وهو لا يأكل شيئاً.

ولا يشك الضيوف في أكله، ولماذا يشكون؟ من يترك العشاء؟ ومن يجوع الليلة؟ أكل الضيوف مطمئنين، وشبعوا وظنوا أن أبا طلحة شبع أيضاً.

ولكن أبا طلحة لم يرفع لقمة إلى فيه، وكان الظلام عوناً لأبي طلحة، وقام الضيوف، وغسلوا أيديهم، وحمدوا الله، ودعوا لمضيفهم بالبركة.

وقام أبوطلحة، وغسل يده.

وبات الضيوف شباعاً، وبات أبو طلحة جائعاً.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن أبا طلحة كان أكبر سروراً، وأكثر شكراً لله في هذه الليلة منه في الليالي السابقة.

حضر أبو طلحة مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على عادته.

وكان أبو طلحة مطمئناً مسروراً، كأنه بات شبعان.

ويظن أبوطلحة أن قصة الليل كانت سراً من الأسرار، لا يعلمه إلا هو وزوجه أم سليم.

ولكن الله يعلم السر وأخفى، وقد أنزل الله في ذلك آية، وقال: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾ [الحشر: ٩].

وسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن القصة، وأخبره أبي طلحة بخبره.

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الإيثار، وبهذا الكرم، ورضي عن أبي طلحة.

وبقيت القصة خالدة في التاريخ والتفسير.

رضي الله عن أبي طلحة وأرضاه"[١].

على كل فإن جمال التعبير، وحسن الأداء، وانسجام الصورة اللفظية بالمعاني المقدمة إلى القارئ كان من صفات أسلوب سماحته، فكانت هذه السمة تظهر في تأليفاته العلمية كذلك مع المحافظة على جدية الفكر وحصافة الرأي في المعاني

---

[١] -قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال للعلامة الندوي، ص: ١٢-١٤، و١٩-٢٢، الطبعة الثانية ط: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، لكناؤ الهند، ٢٠٠٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

العلمية، ومراعاة مقتضيات الكرامة والشرف للأمة الإسلامية ومواجهتها لأوضاع العصر غير المتلائمة في الموضوعات الدعوية، فإن شعور سماحته بكل ذلك، والحديث عن كل ذلك مؤيداً بخبراته الفكرية والعلمية الجليلة مع جمال في التعبير إنما يوجد في كل كتاب من مؤلفاته باختيار أسلوب مناسب لكل موضوع يبحثه من الموضوعات المتصلة بذلك.

وقد كتب سماحته في موضوع الأدب خاصة، فله كتاب "نظرات في الأدب"، وله "روائع من أدب الدعوة"، وله "مختارات من أدب العرب" وهذا الكتاب يدل على حسن اختياره لفصول وقطع حاملة للسمة الأدبية من كلام البلغاء ورجال العلم والدعوة والفكر في مختلف أزمان التاريخ للكلام العربي، وقد كتب سماحته موضحاً عن فكرته في اختيار هذه المقتبسات المتنوعة ما جاء في مقدمته لكتابه "مختارات من أدب العرب" بقوله:

"إن الأدب العربي قد أصيب بمحنة أصيب بها أدب كل أمة، وهي محنة تكاد تكون طبيعية ومطردة للآداب واللغات، إن هذه المحنة هو تسلط أصحاب الصناعة والتكلف على هذا الأدب الذين يتخذونه حرفة وصناعة، ويحتكرونه احتكاراً، ويتنافسون في تنميقه وتحبيره ليثبتوا به براعتهم وتفوقهم، ويصلوا به إلى أغراضهم، ويستمر ذلك ويستفحل حتى يصبح الأدب مقصوراً عليهم مختصاً بهم، ويأتي على الناس زمان لا يفهم من كلمة "الأدب" إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع وأدب تقليدي لاقوة فيه ولا روح، ولا جدة فيه ولا طرافة، ولا متعة

www.abulhasanalinadwi.org

فيه ولا لذة.

ويطغى هذا الأدب الصناعي التقليدي على كل ما يؤثر عن هذه الأمة، وتحتوي عليه مكتبتها الغنية الزاخرة من أدب طبيعي وكلام مرسل، وتعبير بليغ يحرك النفوس، ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة، ولا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب والإنشاء، ولم يتخذوه حرفة ولامكسباً، ولم يشتهروا بالصناعة الأدبية، ولم يكن لهذا النتاج الأدبي الجميل الرائع عنوان أدبي، ولم يكن في سياق أدبي، وإنه جاء في بحث ديني، أو كتاب علمي، أو موضوع فلسفي، أو اجتماعي، فبقي مغموراً مطموراً في الأدب الديني، أو الكتب العلمية، ولم يشأ الأدب الصناعي ـ بكبريائه ـ أن يفسح له في مجلسه ولم ينتبه له مؤرخو الأدب ـ بضيق تفكيرهم وقصور نظرهم ـ فينوهوا به ويعطوه مكانه اللائق به.

إن هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية، بل هو أكبر سناً وأسبق زمناً من الأدب الصناعي، فقد دوّن هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة قبل أن يدون الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم ما حظي به الأدب الصناعي، مع أنه هو الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها وبراعة أهل اللغة ولباقتهم، وهو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى"[1]

---

[1] –مقدمة مختارات من أدب العرب، الجزء الأول، للعلامة الندوي. ط: مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء لكناء، ١٩٩٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد وافقه أديب العربية الكبير الأستاذ علي الطنطاوي في نظرته المذكورة فيما أعلاه بقوله:

" لقد كنت أتمنى من قديم أن نخرج بتلاميذنا من هذا السجن الضيق المظلم الذي حشرناهم فيه، إلى فضاء الحرية، وإلى ضياء النهار، فلا نقتصر في الاختيار على "وصف الكتاب" للجاحظ، وهو جمل مترادفة، لا تؤلف بينها فكرة جامعة، ولا يمدها روح، ولا تخالطها حياة، وعلى ألاعيب ابن العميد، وغلاظات الصاحب، وهندسات القاضي الفاضل، فننفر التلاميذ من الأدب، ونكرهه إليهم، وكنا نقول لهم إن البيان الحق عند غير هؤلاء، وإن أبا حيان التوحيدي أكتب من الجاحظ، وإن كان الجاحظ أوسع رواية وأكثر علماً، وأشد تصرفاً في فنون القول، وأكبر أستاذية، وإن الحسن البصري أبلغ منهما، وإن السماك أبلغ من حسن البصري"[1].

هذا هو سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في نظرته الأدبية وفي أسلوبه الخاص المتسم بالسمة الأدبية، وقد وافقه في هذه النظرة عديد من الشخصيات العملاقة في الأدب والفكر.

[1] - نفس المصدر، ص: ٥

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي

بقلم

عبد القادر بن عيسى بطاهر

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والألسن، جامعة زمار، اليمن، دكتوراه في البلاغة واللغويات من الجامعة الأردنية بالأردن ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يعد الأدب أحد الفنون المهمة التي تسهم في توجيه الثقافة والمعرفة لدى الشعوب، وفي بناء الإنسان الفعال القادر على صناعة التاريخ، والمشاركة بإيجابية وعمق في الدفع الحضاري، ونظراً لهذه الأهمية المنوطة بوظيفة الأدب ربط كثير من الدارسين والمفكرين بين ازدهار الأدب وصحة الأمم وعافيتها، وبين انحراف الأدب ومرض الأمم ودمارها، وذلك لما للأدب من خصائص تتصل بنفوس الناس، وترتبط بروح الأفراد والجماعات، فضلاً عن كونه - وباطراد في جميع العصور - أحد عناصر التربية الضرورية لتوجيه الإنسان نحو الترقي الحضاري [1].

وقد عرفت الحضارة الإسلامية منذ ميلاد فكرتها الأولى في غار حراء قيمة الكلمة أداة للتغيير، ومكانة الأدب مفجراً للطاقات، وموجهاً للأفراد والجماعات، فكان الإعلان الأول كلمة تدعو للقراءة والمعرفة ﴿إقرا﴾، تبعتها كلمة أخرى تدعو للقيام والحركة ﴿قم﴾، ثم كان فيض القرآن بآياته وسوره في ذلك

---

[1] -مالك بن نبي: شروط النهضة، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧، ص: ١١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

الثوب البلاغي الرائع مادتهم، يقيمون عليه تصوراتهم، ويستلهمون منه وجهتهم، ثم كان الحديث النبوي الشريف بياناً للشريعة، ومصدراً للهداية والمعرفة، ومنبعاً للأدب الجميل لا يستغني عنه الأديب المسلم في تكوين فكرته وتحديدها، وبناء رؤيته وتشكيلها.

وفي إطار هذه الحضارة تشكل تراث متميز، وأدب حي عبر عن شخصية الأمة وثقافتها، ودافع عبر العصور عن هويتها، وعن خصوصيتها حين كانت تبرز في الآفاق من حين لآخر الأخطار والتحديات، وكان سلاحاً قوياً في أيدي المخلصين من أبناء الأمة يردون به كيد الحاقدين، وتأويل الجاهلين، وتحريف المشككين.

ولم يكن هذا الأدب الحي الذي شهده التاريخ الإسلامي وحده سائداً في الساحة الثقافية، فقد كان هناك أدب يناقضه في المبدأ والاتجاه، بعضه يرغب فيه أهل الضلال والبدعة، وبعضه يحبه أهل التكلف والصنعة، وبعضه مؤيد من أهل الرئاسة والسلطة، وبعضه ممزوج بأفكار أهل الأهواء والغفلة، مما أدى إلى إضعاف القاعدة الفكرية الداخلية، والقوة الروحية للأمة، وأسهم منذ البداية في ذلك السقوط الحضاري الذي عاشه المسلمون في سنوات الضعف.

وشهد العصر الحديث تحديات كثيرة، وأخطاراً متنوعة بسبب الاستعمار والتمزق والتخلف، وبسبب الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، وقد كانت الفرصة سانحة أمام كثير من بلاد العالم الإسلامي للنهضة والإقلاع الحضاري، وبخاصة بعد

www.abulhasanalinadwi.org

حصولها على استقلالها، ولكن بسبب فقدان الاستعداد النفسي، وغياب الرؤية الحضارية الواضحة، وبتأثير المناهج المستوردة التي سيطرت على الحياة الإسلامية بمستوياتها المختلفة وغير ذلك من الأسباب، لم نشهد أية نهضة حضارية تجلب احتراماً في عالم التمدن المتسارع، حتى قامت جهود إسلامية مخلصة لتعلن رفضها لمبدأ التغريب، والبدء في بناء المشروع الحضاري الإسلامي لإعادة الأمة إلى استئناف حياتها الإسلامية الراشدة.

وقد كان للأدب حيز من الاهتمام في العمل الإسلامي، فبذلت جهود لإعادة الأدب إلى دائرة الرؤية الإسلامية في التعبير عن الحياة والكون والإنسان، وظهر مفكرون وأدباء دعوا في أعمالهم إلى ضرورة الاهتمام بالأدب الإسلامي، نذكر منهم الشهيدين: حسن البنا وسيد قطب رحمهما الله، والشيخ أبا الحسن الندوي، والأستاذ محمد قطب، ورائد القصة الإسلامية الأديب الراحل نجيب الكيلاني رحمهم الله.

ويعد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله أحد الرواد الأوائل الذين اهتموا في هذا العصر بالأدب الإسلامي، وقد كان له حضور متميز في مجال الكتابة والنقد والتنظير، وقد توجت جهوده في السنوات الأخيرة، بإقامة رابطة عالمية للأدب الإسلامي، وهذا البحث قراءة نقدية سريعة لبعض جوانب فكره في ميدان أسلمة الأدب، مع التناول السريع لبعض آرائه في النقد الإسلامي.

www.abulhasanalinadwi.org

حول الأدب الإسلامي

١- مفهوم الأدب الإسلامي

إن مصطلح الأدب الإسلامي ـ مذهباً أدبياً ـ قد استقر وجوده بين الدارسين، وتلك بديهية تنطق بها نصوصه العديدة، وبحوثه المتجددة، وأصبح اتجاهاً وحقيقة واقعة[١]، وهو مصطلح ظهر في كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي منذ الخمسينيات، وقد حدد مفهومه انطلاقاً من رؤية واضحة فقال: الأدب الطبيعي الجميل هو التعبير البليغ الذي يحرك النفوس، ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة[٢].

فهذا المفهوم يشمل مجموعة من الخصائص والمقومات الشكلية والقيمية والجمالية التي إذا توافرت في الأدب الإسلامي منحته قوة الإقناع والإمتاع، وأعطته صفة البقاء والخلود، فالأدب من حيث المقومات الشكلية لا بد أن يكون بعيداً عن الصناعة والتكلف، يأخذ من الأشكال أجملها وأقربها إلى

---

[١] -أحمد محمد حنطور "مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين" مجلة الأدب الإسلامي، العدد الخامس، سنة ١٩٩٥م.

[٢] -أبو الحسن الندوي :نظرات في الأدب الإسلامي، عمان: دار البشير ١٩٩٠، ص ٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

الطبيعة الإنسانية السوية، وهو أدب بليغ هدفه توصيل المعنى إلى القلوب في أحسن صورة من الألفاظ: وهو من حيث المقومات القيمية أدب ملتزم برسالة في المجتمع بما يحمل من قيم إيجابية تقوّم السلوك، وتوسع المدارك، وتبعث في النفس الثقة والفاعلية، وهو من حيث المقومات الجمالية أدب جميل يوظف الجمال في إبراز الأبعاد القيمية، لأن القيم في الرؤية الإسلامية هي المقياس الأول للجمال.

ويأتي تركيز الشيخ الندوي الشديد على الوظيفة المعرفية والتأثيرية للأدب الإسلامي فيقول: "الأدب الإسلامي في أوسع معانيه هو تعبير عن الحياة، وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم مؤثر لا غير"[١].

ويرى الشيخ الندوي أن عنصري الإخلاص والصدق في الأدب الإسلامي هما اللذان يهبانه هذا البعد الوظيفي، لأنهما يمنحانه الروح والقوة والحيوية، ويجعلانه معبراً عن حقيقة أبدية خالدة[٢].

٢ ـ وظيفة الأدب الإسلامي

إن الأدب بنحو عام رسالة في الحياة، وهو ليس عبثية، أو فناً مطلقاً يقصد منه مجرد الفن، كما هو رائج في كثير من المذاهب الأدبية الغربية،[٣] ونقاد الأدب المنصفون لا ينكرون أبداً

---

[١] – المرجع نفسه: ص ٣٥

[٢] – المرجع نفسه: ص ٣٦.

[٣] – تتبلور هذه الآراء في المدرسة الجمالية الغربية (Aestheticism) التي أسسها كروتشه (Benedetto-Croce) وفي مدرسة الفن للفن، وفي

www.abulhasanalinadwi.org

قضيــة الالــتزام في الأدب[١]، وإذا نظرنــا إلى الأدب الإســلامي وجدناه مرتبطا برسالة سامية في المجتمع الإسلامي، وبهذه الرسالة يكتسب مكانتــه وقيمتــه الحقيقيــة بوصفــه راعيــا لقيــم الخــير في المجتمع، وموجها للثقافة النافعة الـتي تسـهم في البنـاء الحضـاري، ومـن هنـا حـرص الشـيخ النـدوي علـى بيـان هـذا البعـد الوظيفـي لـلأدب الإسـلامي فقـال: " حاجتنـا وحاجـة هـذا العـهد، وحاجـة العالم العربي بصفة خاصة، هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية، المتدفق بالقوة، الـذي يحمـل رسـالة سـامية سماويـة، إنسانية إسلامية عالمية".[٢]

فـهذا الأدب الملـتزم بـالرؤى الإسـلامية، الحـامل لقيـم الحضارة، له وظيفته الخطيرة في المجتمع، لأنه ملـتزم بحمـل قضايا الفكر والمعرفة والثقافة السليمة، وقيم الخير والعدل وفـق مـا جـاء في الكتـاب والسـنة لمزجهـا بقلـوب النـاس وعقولهـم لبنـاء الفـرد المسلم فالمجتمع المسلم.

وهذا الالتزام ليس قيدا علـى حريـة الأديـب، كمـا يعتقـد دعـاة التحريـر في الفـن والأدب،[٣] بـل هـو مـيزة الأدب الجـاد، وروحـه الـتي تهبـه خصوصـية المنشـأ والهـدف، كمـا أن الالـتزام ـ قضية ـ حقيقة مقررة، وخطة مسلم بها في عالم الفن والأدب.[٤]

المدرسة الوجودية.

[١] -نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسـلامي، قطـر: كتـاب الأمـة، الدوحة، ١٩٨٧م، ص ٨٦ وما بعدها.

[٢] -أبو الحسن الندوي: نظرات في الأدب الإسلامي، ص ١١٣.

[٣] -نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص ٧٦.

[٤] -نجيب الكيلاني: الإسـلامية والمذاهـب الأدبيـة، بـيروت، مؤسسـة

www.abulhasanalinadwi.org

ويستدل الشيخ الندوي على أهمية هذا البعد الوظيفي للأدب الإسلامي بما تركه أدباؤنا وكتابنا القدماء من أدب حي أسهم في ذلك الانقلاب الحضاري المتميز فقال: "كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة، أو يكتبون لأنفسهم، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين، فتشتعل مواهبهم، ويفيض خاطرهم، ويتحرق قلبهم، فتنهال عليهم المعاني، وتطاوعهم الألفاظ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها، لأنها خرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب.[1]

٣ ـ الأدب الإسلامي والتسلية

الأدب الهادف والجاد مناف للتسلية الرخيصة، وبخاصة حين تصبح التسلية غاية أولى لقارئ الأدب، الباحث عن المتعة الزائلة قتلاً للوقت، وتسلية للنفس، دون إعطاء القيم الإيجابية في الأدب أي اعتبار، وهذا بلا شك مما يبعث السلبية والركود في المجتمع، ويعطل الكثير من الطاقات الحية في الأمة، وقد أشار الشيخ الندوي إلى هذا المعنى فقال: "الأدب ليس أداة تسلية أو إزجاء وقت (أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء) فحسب، وإنما الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، وللتأثير في النفس الإنسانية:.[2]

فالأدب الإسلامي في نظر الشيخ الندوي ينبغي ألا يكون

الرسالة: ١٩٨٧، ص: ٤٦.

[1] –أبو الحسن الندوي: مختارات من أدب العرب، جدة، دار الشروق، ص ١٥.

[2] –نظرات في الأدب، ص ١٠٥

www.abulhasanalinadwi.org

هدفه الأول تسلية القارئ ومده بالوسائل والمضامين الإمتاعية فقط، بل هو أداة إيجابية لها أثر تغييري في الحياة، لأنه وسيلة من الوسائل المهمة في البناء النفسي، والدفع الحضاري، وتغيير النفوس، وتمكينها من تجاوز السلبية والعجز، وبخاصة حين يأخذ الأديب المسلم على عاتقه مسئولية توجيه الثقافة نحو العمل الجاد، ومد المجتمع بالقيم الإيجابية الحضارية.

ونفي التسلية الرخيصة عن الأدب الإسلامي لا يقتضي بالضرورة القضاء على جانب المتعة فيه، لأن الإمتاع غاية لا يمكن إلغاؤها من الأدب، وإلا فقد تميزه الفني بوصفه أدبا، والقرآن الكريم نفسه أعطى هذا الجانب حقه من الاهتمام، حتى عد الإمتاع الوجداني من الغايات الأساسية التي يهدف إليها الأسلوب القرآني،[1] إن الأدب الإسلامي أدب جاد يجمع بين الإمتاع والإقناع، وتمتزج فيه المتعة بالمنفعة، وتنتفي عنه التسلية المؤذية، لأنه أدب نابع عن الرؤية الإسلامية التي تهدف إلى غرس الإيجابية في الحياة،[2] يقول الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال: "لا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور، والخمول، والذوى والذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم والأدب لوعة الحياة الدائمة، ما قيمة شرارة تلتهب سريعا وتنطفئ سريعا؟ وما قيمة لؤلؤة كريمة، أو صدفة

---

[1] -محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، الكويت: دار القلم، ص: ١٠٣ وما بعدها.

[2] -نجيب الكيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م، ص ١٢٥.

www.abulhasanalinadwi.org

لامعة لا تحدث اضطراباً في الأمواج، ولا اضطراباً في البحار؟ لا تنهض الأمم إلا بمعجزة، لا خير في أدب ولا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى [١].

٤. الأدب الحي والأدب المزخرف

إن الأدب في تكوينه العام مرتبط بالنفس الإنسانية، لأنه تعبير صادر عن قواها الوجدانية والفكرية، فهو يحيا بحياتها، ويجمد بجمودها، وتارة يكون كالكائن الحي بما فيه من قوة في العاطفة والعقيدة، وتارة يصبح جامداً لا حياة فيه بعد التجرد من إشعاع الروح وعمق التجربة.

وقد اهتم الشيخ الندوي اهتماماً كبيراً في كتاباته بهذا البعد الحيوي في الأدب الإسلامي فقال: "إنني أتصور الأدب كائناً حياً له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة خازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت خامد، أشبه بالحركات البهلوانية والرياضيات الجمبازية".[٢]

هذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يبعث في النفوس روحاً جديدة بما يحمل من خبرة صادقة، وأفكار حية، وقيم نافعة، أما الأدب الجامد، الذي يسميه الشيخ الأدب المزخرف، فهو أدب فاقد للمنهج السليم، بعد ما التصقت به شروط وصفات وتقاليد

---

[١] - أورده أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب الإسلامي، ص: ١٠٦

[٢] - المرجع نفسه، ص ١٠٥.

www.abulhasanalinadwi.org

أفسدته، وطمست نوره، فلابد فيه من السجع والصناعة، ولابد فيه من البديع والمحسنات اللفظية، ولابد فيه من تقليد من يُعد في الطبقة الأولى من الأدباء.[١]

يذهب الشيخ الندوي إلى أن محنة الأدب العربي تكمن في تسلط أصحاب التصنع والتكلف على الأدب، أولئك الذين يتخذونه حرفة وصناعة، وغايتهم الأولى إثبات البراعة في التنميق، والتحبير، وإحراز الشهرة والمنفعة الشخصية، بعد التملق للأشخاص أو للهيئات، وأصبح هذا الأدب السائد بين الناس في هذا العصر كأنه تماثيل وصور لا حياة فيها.[٢]

ويستدل الشيخ الندوي على الأدب الإسلامي الحي بما وصل إلينا من كتابات علمية ودينية عن علمائنا القدماء، وقد كتبها أناس لم يحترفوا الأدب، ولم يجعلوه صناعة، وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير في الناس على مر العصور، وما زال تأثيرها مستمراً إلى الآن، والسر وراء تأثيرها يكمن في قوتها وجمالها، وكونها كتبت عن عقيدة وعاطفة، هذا إلى جانب تحررها من السجع والبديع، ومن التكلف، والزخرفة.

ويؤكد الشيخ أن الروح التي تبعث في الأدب الحياة والبقاء والخلود كامنة في صدق التعبير عن العقيدة، والعاطفة،[٣] فإذا كان الأديب متحلياً بالصدق والإخلاص في التعبير عن فكره وعاطفته، فإن أدبه سيؤدي غايته من التأثير والإقناع، لأن

---

[١] -المرجع نفسه، ص ٣١

[٢] -المرجع نفسه، ص ٢١

[٣] -المرجع نفسه، ص: ٢٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الكلام إذا خرج من القلب كان محله القلب، وهذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يحرك النفوس ويبعث فيها الثقة والرغبة في العمل الجاد المثمر.

وعن كيفية وصول الأديب المسلم إلى هذا المستوى الراقي من الأدب يقول الشيخ الندوي: "إن الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء الحس، ولطافة النفس، وعذوبة الروح، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة، واقتداراً على التعبير البليغ، فتأتي كتابته قطعة من نفس صاحبها، وصورة لروحه".[١]

إن الأدب الإسلامي الذي يسهم في التعبير الحضاري هو الأدب الحي الذي يدخل في النفوس فيمنحها القدرة على تجاوز السلبية والعجز، ويكسبها الفاعلية والنشاط والإرادة لتفجير الطاقات المعطلة، وتزويد العقول والقلوب بالأفكار الحية حتى تصل إلى المستوى الذي يؤهلها إلى التغيير الإلهي، قال الله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [الرعد: ١١].

٥ ـ الأدب الإسلامي وقضايا الحضارة

إن الأدب ـ لكونه أحد عناصر التربية في المجتمعات المتمدنة ـ يسهم إسهاماً فعلياً في بناء الحضارات، أو يكون سبباً في هدمها، فقد يكون الأدب مقوماً أساسياً في التربية والبناء والتوجيه، ويصبح قوة دافعة للشعوب نحو التغيير وتجاوز المعوقات

---

[١] - المرجع نفسه، ص: ٢٣.

www.abulhasanalinadwi.org

والسلبيات، وقد يكون على النقيض من ذلك حين ينحرف عن مساره الإيجابي، ويصبح معولاً من معاول الهدم، يروج للقيم الهدامة، والأفكار القاتلة، وينخر في الجسم السليم فيصيبه بالشلل، والتاريخ يدعم هذه الحقيقة بشواهده الكثيرة، وخاصة تاريخ الحضارة الإسلامية.

والحضارة الإسلامية في أيام عزها مثال يحتذى به في قيم الخير والعدل والموازنة بين الحاجات الروحية والمادية، فقد أعطت الحضارة الإنسانية المفهوم السليم الذي ينبني على فكرة التوحيد، ومساواة البشر أمام الله، واحترام الإنسان المؤمن الفعال الذي يؤدي بسلوكه وعمله رسالة الحق والخير والجمال.

وقد كان الأدب الإسلامي وجهاً مشرفاً من وجوه الحضارة الإسلامية في أيام ازدهارها وقيادتها للعالم، وذلك بمساهمته الحقيقية في توجيه الثقافة وشحذ الهمم، وبعث روح العمل والفاعلية بين أبناء الأمة، وكان سلاحاً فعالاً في أيدي الدعاة والمخلصين، وفي بث الدعوة، وقمع المنكر والبدعة، وحين بدأ إشعاع الحضارة الإسلامية بالأفول، رأيت الأدب يتجه اتجاهاً سلبياً غلبت عليه الصنعة والنفاق، والشهوة والانحراف، وبدأ يفقد شيئاً فشيئاً قيمته الروحية والاجتماعية التي فيها حياة الأمة بكاملها.

فالأدب الإسلامي ـ أو الأدب الحي كما يسميه الندوي ـ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بازدهار الحضارة ونهضة الأمة، لأنه الروح التي تحيي الجسد وتبعث فيه الحركة والنشاط، وقد نقل الشيخ الندوي هذا المعنى عن الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال الذي

www.abulhasanalinadwi.org

قال: " لا خير في نشيد شاعر، ولا في صوت مغن، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس".[١]

وإذا كان الشيخ الندوي في تناوله لموضوع النهضة الإسلامية وشروطها الموضوعية قد أعطى تطوير العلوم وتنظيمها، وأسلمتها واستقلالها أهمية كبيرة، فإنه على غرار ذلك لا ينسى البعد الحضاري للأدب وأهميته في البناء الحضاري،[٢] فكثيراً ما كان يكرر هذه الجملة: إننا نحتاج إلى أدب ينفخ في نفوسنا حياة جديدة،[٣] أي أن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى أدب حي يحمل رسالة حضارية تغييرية، تهدف إلى تكوين الفرد المسلم فالمجتمع المسلم، وتغيير القيم وأنماط السلوك السلبية التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم، وذلك بإثارة الرغبة في النفوس للعمل الجاد، وبث الفاعلية المتوقدة لصنع شيء له قيمة في الحياة، وبناء حضارة ترضي الله ورسوله ﷺ، وتجلب احترام الآخرين.

وقد لفت الشيخ الندوي أنظار المعنيين بالأدب والكتابة ودراسة الأدب وتاريخه إلى ضرورة الاعتناء بهذا الجانب المهم في الأدب، الذي يستطيع أن يغير الاتجاه من السقيم إلى السليم، ومن سيطرة الأهواء والغرائز إلى سيطرة الأخلاق والقيم النبيلة، ومن الاستسلام للكسل والكساد والخمول إلى الحرص على

---

[١] -المرجع نفسه، ص: ١٠٦

[٢] -أبو الحسن الندوي :"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م ص ٢٧٥- ٢٧٦.

[٣] -أبو الحسن الندوي: نظرات في الأدب، ص ١١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

الحركة والنشاط والفاعلية، إذ الخروج من هذا المأزق الحضاري يقتضي الاستعداد الروحي والاستعداد الصناعي والحربي والاستقلال التعليمي، ووجود الرؤية الحضارية الواضحة، والبناء النفسي المتكامل، فليست القيادة بالهزل، إنما هي جد الجد، فتحتاج إلى جد واجتهاد، وكفاح وجهاد، واستعداد أي استعداد.[١]

٦. أدب الرحلات

أولى الشيخ أبو الحسن الندوي عناية خاصة بأدب الرحلات، ومارسه كتابة وتنظيراً منذ الخمسينيات محاولاً التجديد فيه شكلاً ومضموناً، وقد وجه جل اهتمامه إلى ربطه بالرؤية الإسلامية، وإدخاله في دائرة الأدب الإسلامي بعد ما لاحظ أن كثيراً من الأدب لا ينطلق من مبادئ واضحة في الفكر والتصور، ولا يعبر بصورة جيدة عن عاطفة الأديب وعقيدته، مما يفقده طابعه الفني الذي يمنحه الحياة والجمال، ويخرجه عن خطه الالتزامي بوصفه تجربة إنسانية تستحق الذكر والتنويه، وآراء الشيخ النقدية في هذا الفن الأدبي تتمحور حول ثلاثة مقاصد[٢]:

أولاً: يركز الشيخ الندوي على أهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة، فقد لاحظ أن كثيراً من كتب الرحلات يغلب عليها الجانب الجغرافي، وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء آخر، ولا تتناول في الغالب إلا جانباً من

---

[١] -أبو الحسن الندوي :"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ص ٢٧٧.
[٢] -أبو الحسن الندوي : نظرات في الأدب ، ص : ٦٣ - ٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

جوانب الحياة يتلاءم مع ذوق الأديب، فإذا كان الرحالة أديباً مثلاً اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين وتصوير الحياة الأدبية في تلك البلاد، وإذا كان مؤرخاً اهتم بذكر الجوانب التاريخية وكل ما يمت بصلة إلى ماضي تلك البلاد، وهذا لا يعطي صورة متكاملة عن المجتمع والحياة، والعلاقات وأنماط السلوك السائدة، والعادات والتقاليد وغيرها من الأمور المهمة في أدب الرحلة.

ثانياً: ينبه الشيخ الندوي أيضاً إلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات من قبل الأديب لتبقى المشاعر والانطباعات حية في الذاكرة، لأنه إذا مر عليها زمان ولم تسجل فستفقد حيويتها وصدقها، فالأحداث والمواقف أشبه بالظلال والأمواج لا تدوم ولا تبقى في الذهن، ولا يستطيع الأديب أن يستعرضها بدقة وعناية بعد مرور فترة من الزمن، ولا يستطيع أن يستعيد ما شعر به، وما ترك الحادث فيه من أثر نفسي.

ثالثاً: ويؤكد الشيخ الندوي دائماً أهمية ظهور ذات الأديب وشخصيته في أدب الرحلة، فلابد أن يعكس عاطفته وعقيدته في عمله، لأن هذا العمل إذا تجرد من العاطفة والعقيدة والمشاعر تحول إلى آلة تصوير باردة لا تؤثر في النفس، ولا تصلح للبقاء، وسنقف الآن عند كتابين في أدب الرحلات طبق فيهما الشيخ هذه الآراء وفق رؤيته الإسلامية للأدب وهما كتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي" وكتاب "أسبوعان في المغرب الأقصى".

www.abulhasanalinadwi.org

أ ـ مذكرات سائح في الشرق العربي [١]

خرج الشيخ الندوي سنة ١٩٥١م في رحلة إلى بلدان الشرق العربي ليدرس أوضاع هذه البلدان الدينية والعلمية والاجتماعية، وليستفيد من تجارب علمائها ورجالاتها، وليعرف ببلاده شبه القارة الهندية وتجربة الدعوة والإصلاح فيها، وقد حرص في هذه الرحلة ـ كما ذكر ـ [٢] على تسجيل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالباً، وأن يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، هذا فضلاً عن حرصه على تصوير المجتمع بنظرة متكاملة، وإبراز شخصيته ومشاعره وأفكاره وما يجول في خاطره حول كل حادث وموقف عاشه أثناء الرحلة، وقد تميز هذا الكتاب بجملة من الخصائص الفكرية والأسلوبية تتمثل فيما يأتي:

أولاً: إن قارئ هذه المذكرات يدرك أن كاتبها حريص على رسم صورة متكاملة الجوانب للمجتمع الذي عايشه في تلك المرحلة من حياته، ويستطيع القارئ أن يأخذ فكرة واسعة عن الحياة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية، وأن يعرف

---

[١] ـ مذكرات سائح في الشرق العربي، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م.
[٢] ـ المرجع نفسه ص: ٨

www.abulhasanalinadwi.org

التيارات الثقافية، والمستويات الحضارية لتلك المجتمعات المتنوعة، مما يعطي هذا العمل قيمة تاريخية وحضارية مهمة فضلاً عن القيمة الأدبية والفكرية التي أكسبته طابعه المتميز.

والدارس لهذه المذكرات يلاحظ اهتماماً كبيراً بالجوانب الدعوية والأدبية، لعلاقتها المباشرة بشخصية الكاتب، فهو رجل يحمل رسالة فكرية حضارية ويعيش الهم الإسلامي، ويحس ويشعر بآلام المسلمين ومشكلاتهم في هذه البلدان التي زارها، وهو من ثم رجل فكرة ودعوة يريد التعبير عن مشاعره وتجسيد عقيدته بجلاء ووضوح في هذا العمل، وهو الأمر الذي طالما أكده في نظراته النقدية لأدب الرحلات.

ويمكن إجمال القضايا المعروضة في المذكرات هذه في فكرة واحدة وهي أن الشيخ الندوي يتألم للواقع الإسلامي المؤسف بمستوياته المختلفة، فهناك أزمة حضارية في البلاد العربية، والسبب يعود إلى تفسخ في الأخلاق، واستبداد في الحكومات، والاستقطابات الحزبية في السياسة، وانصراف بالكلية عن الدين، وعبادة المادة.[1]

ولا سبيل إلى التحضر إلا بوجود الشعور الديني الصحيح القوي في الشعب، ولا يكون هذا إلا عن طريق الدعوة العامة، والاتصال بالشعب وتربيته الدينية، وإيجاد الوعي في طبقاته، ثم في الجمع بين العلم الديني والمعارف العصرية.[2]

ويؤكد الشيخ الندوي أن استعادة روح التحضر إلى

---

[1]- المرجع نفسه ص: ٣٠

[2]- المرجع نفسه ص: ٣٠

www.abulhasanalinadwi.org

المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن تكون إلا بالجمع بين العاطفة القوية، والعقل الصحيح،[1] أي بتحقيق شروط الاقتناع التام لقوى النفس المسلمة لتتولد لديها الإرادة الكافية للانطلاق نحو العمل والحركة والإبداع.

ومما يجذب الانتباه في هذه المذكرات اهتمام الشيخ الندوي بموضوع أسلمة الأدب، وضرورة قيام جبهة قوية ضد الأدب المنحرف الذي أثر تأثيراً سيئاً في الأمة، وأسهم في إفساد الطبائع والأخلاق، وشارك مشاركة أكيدة في تردي الأمة الحضاري.

ثانياً: تميز أسلوب الكاتب في هذه المذكرات بوضوح العبارة، وسلامة الألفاظ، ودقة المعاني، فالكاتب كما يظهر يحب الاسترسال في الكتابة مع البعد عن التكلف والتصنع مما أكسب كتابه أسلوباً يجمع بين الفائدة والمتعة، وقد جاء الكتاب وكأنه قطعة من مؤلفه، فالأسلوب هو الرجل كما قرر النقاد، ويكفيك أن تقرأ هذا الكتاب لتعرف جوانب كثيرة من شخصية كاتبه، ومنهجه في الكتابة الأدبية.

---

[1] -المرجع نفسه ص: ٣٠

www.abulhasanalinadwi.org

ب ـ أسبوعان في المغرب الأقصى

قام الشيخ أبوالحسن الندوي برحلة إلى المغرب الأقصى سنة ١٩٧٦م لحضور مؤتمر حول الجامعات الإسلامية، وكان أن قضى أياماً زار خلالها مناطق مختلفة من هذا البلد الجميل، واطلع على آثاره ومكتباته، وتعرف على شعبه وعلمائه، وكتب هذه المذكرات معبراً فيها عن مشاعره وانطباعاته بأسلوب جميل بليغ.

يغلب على هذه المذكرات الطابع التاريخي، غير أن كاتبها حرص على تسجيل انطباعاته عند كل مشهد أو موقف يتعرض له، فجاء الكتاب مصوراً لجوانب من الحياة بمستوياتها المختلفة في هذا البلد الإسلامي، ومعبراً عن شخصية الكاتب الذي ينطلق دائماً من فكره وعقيدته وعاطفته الإسلامية حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء.

ويرى كاتب هذه المذكرات أن أكبر ما يعانيه العالم الإسلامي من الفراغ والعوز، وأشد ما يقاسيه من أزمات، هو الضعف الإيماني، والفساد الخلقي، والتزعزع العقدي، يقول: ألق نظرة على العالم الإسلامي، وانظر ماذا يعوزه، إنه غني بكل شيء، بعدد أفراده، وبوسائله، وبثرواته، وبثقافته، وبذكائه، ولكنه على الرغم من ذلك كله لا يملك ثقلاً في الميزان

www.abulhasanalinadwi.org

العالمي، ولا دوراً مؤثراً في اتجاهات العالم وأوضاعه وحوادثه، والأزمة الإيمانية هي سبب هذا التراجع الحضاري.[١]

ويدعو الشيخ الندوي إلى ضرورة التمسك بقيم الحضارة الإسلامية، وطابع الأمة الخاص، والاستفادة من الحضارة الغربية في مجالاتها الإيجابية وتجاربها المفيدة التي تتفق مع تعاليم الإسلام، كي يعود للأمة عزها ومكانتها في العالم.

ويبقى أن نشير إلى أن هذه المذكرات كتبت بأسلوب جميل مؤثر، على الرغم من ترجمتها من الأردية إلى العربية.

❁❁❁

[١] -أسبوعان في المغرب الأقصى ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٩٨٨م

www.abulhasanalinadwi.org

في النقد الأدبي

١ ـ التأصيل الإسلامي للنقد

قبل الحديث عن آراء الشيخ الندوي النقدية التي شملت موضوعات أدبية متنوعة، لا بد من الحديث عن أهمية النقد في ظل المفهوم الإسلامي الشامل، وهي أهمية لها خصوصيتها ومذاقها المتميز من زاوية أن الإسلام وضع مقاييس لعملية الإبداع، كما أن وضع مقاييس لتقويم هذه العملية وفق التصور العام الذي تجتمع فيه قيم الخير والحق والجمال كما هو مفصل في كتاب الله، وكما بينته السنة النبوية الشريفة.

ولا نريد أن نقف عند تفسير المفاهيم الكثيرة حول كلمة نقد، وهل النقد علم أم فن؟ ويكفينا القول إن النقد وسيلة تقويمية للأدب والفن، وسواء قام هذا التقويم على قواعد علمية، أو على مجرد الذوق والتأثر والانفعال، فإن الغاية من النقد هي التقويم الإيجابي لعملية الإبداع الأدبي، لأن العلاقة بين الأدب والنقد علاقة تكاملية، يوجد كل واحد منهما الآخر، ويسهم كل منهما في تطوير الآخر، ومع خصوصية كل من الأدب والنقد في الوسائل المستخدمة إلا أن الغايات والأهداف قد تكون واحدة عند خطاب المتلقي، وبخاصة عند أولئك الذين

www.abulhasanalinadwi.org

يعدون النقد فناً يساهم في تربية الذوق السليم لدى الإنسان وتنميته، والأخذ بيده نحو معرفة عناصر الكمال والجمال في فنون الأدب على اختلاف أشكالها.

والنقد في أيامنا هذه أصبحت له قواعده ومناهجه الخاصة، وأصبح له جمهوره العريض، وقد تفنن الغربيون في تطوير نظرياته حتى أصبح ما أنجزوه في ذلك مثلاً أعلى عند بعض النقاد العرب والمسلمين يستمدون منه آراءهم، ويقلدونه حذو الحافر بالحافر، مما ولد ظواهر نقدية غربية في الساحة الثقافية.

وقد كان تلقيب هؤلاء النقاد بلقطاء الموائد الغربية عند بعض الدارسين [1] نتيجة للأخطار التي يتعرض لها الأدب الإسلامي بفعل الأفكار التخريبية التي يروجها دعاة التغريب، والتي ظهرت ملامحها منذ بدايات هذا القرن عند أدباء وكتاب من أمثال طه حسين وسلامة موسى ولويس عوض وغيرهم.

إن الآثار السلبية لمدارس النقد الغربي في النقد العربي الإسلامي أمر جلي يلاحظه كل ممارس ومتابع لأحوال الحركة النقدية في مسيراتها المعاصرة، وقد أشار إلى هذه الإشكالية بعض النقاد منهم سيد قطب ونجيب الكيلاني رحمهما الله، وقد تنبه أيضاً إلى ذلك الشيخ الندوي منذ وقت مبكر حين دعا دعوة صريحة إلى ضرورة التحرر من رق الفلسفات الغربية، والحضارة العصرية ونظرياتها غير الدينية.[2]

---

[1] – نجيب الكيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، ص ٨٧

[2] – واضح رشيد الندوي، أدب الصحوة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م، ص ٧٧.

www.abulhasanalinadwi.org

ومما تنبغي الإشارة إليه أن النقد الغربي في عمومه أصبح لا يقيم وزناً للقيم الخلقية في الفن والأدب، حيث إن الاهتمام بالقيم الجمالية سيطر على أغلب الرؤى النقدية، ولذلك أصبحت المعايير الخلقية والدينية والمضامين الفكرية، غير ذات مغزى للعمل الفني، وأصبحت مهمة الناقد هي تفسير الأشكال الأدبية بالدرجة الأولى، وليس الحكم على المضمون بالجودة أو الرداءة، ومثل هذه الأحكام النقدية التي تأثر بها الكثير من أدبائنا ونقادنا، وبخاصة عند دعاة الحداثة بمفهومها التغريبي كما هو رائج في هذه الأيام في أسواق الدعاية والإعلام، قد ظهر خطرها الجسيم على الفكر الإسلامي، وعلى الأدب الجاد، وعلى مستقبل الثقافة الذاتية التي هي الحصن الحصين الحافظ لهويتنا الإسلامية ووجودنا الحضاري.

وقد ظهرت مثل هذه الدعوات النقدية الرامية إلى استبعاد القيم الخلقية عند طه حسين حين قال: " الكلام لا يكون أدباً حتى يكون فيه هذا الجمال الذي تجده فيما تنتجه الفنون الجميلة الأخرى، وليكن موضوع الأدب بعد ذلك ما يكون، ليكن موضوعه جميلاً أو قبيحاً، محبباً أو بغيضاً، فليس يعنيني من الأدب إلا ما يحدث في نفسي ما يحدثه الأثر الفني من الشعور بالجمال، فالجمال مقياس أساسي للحكم على الأدب، وحيثما وجد الجمال في الكلام كان الأدب، وحيثما خلا الكلام من هذا الجمال كان ما شئت أن يكون". [1]

---

[1] – نقلاً عن محمود السمرة وعبد الله الشحام، مدخل إلى النقد الأدبي، مسقط: وزارة التربية والتعليم العمانية، ١٩٨٥م ص ٢٣٦

www.abulhasanalinadwi.org

والمعايير الجمالية التي ينطلق منها النقاد الغربيون ومن سار في فلكهم من نقادنا المعاصرين في فهم الأعمال الأدبية وتذوقها معايير قلقة لا تثبت على مبدأ، ولا يمكن الاتفاق عليها دون الرجوع إلى ثوابت فكرية، إذ للجمال مقاييس مختلفة تحددها الديانات الإلهية، والفلسفات البشرية، والثقافات المتباينة، وعلى هذا الأساس من التذوق الجمالي تنشأ الأفكار كما يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي، وتتباين الثقافات التي تطبع كل حضارة من الحضارات بطابع مميز.[1]

فالجمال لابد له من مرجعية، وتتمثل مثل هذه المرجعية أساساً في قاعدة فكرية محددة، ومع أن الجمال أحد العناصر التي يقوم عليها الأدب، إلا أنه أيضاً أحد مرتكزات العملية النقدية التي تساعد على فهم النصوص الأدبية وتفسيرها، ولكن يبقى الجمال عنصراً حيوياً من عناصر أخرى كثيرة لها حضورها الدائم في عملية الإبداع الأدبي وما قد يثار حولها من أحكام نقدية.

إن الحاجة إلى تأصيل النقد وفق هذه المعطيات أصبحت ضرورة ملحة في هذه الأيام، وذلك لبلورة نظرية إسلامية تقف في وجه النظريات الغربية، وتسهم في تقويم الأدب المنحرف المنتشر في الساحة الفنية والأدبية، وتواكب مسيرة الأدب الإسلامي الذي خطا خطوات راسخة في الربع الأخير من هذا القرن، ومهما كانت قلة مصادر النقد الأدبي الإسلامي فإنها بلا شك ستسهم - بتوافرها في قادم الأيام - في إزالة الشبهات المترسبة

---

[1] -مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤م ص ٨٢.

www.abulhasanalinadwi.org

في أذهان كثير من أبناء الأمة الإسلامية فتتضح الصورة الصافية للأدب الجاد، والنقد الملتزم.

وعلى الرغم من الجهود القيمة التي قدمها بعض المفكرين المعاصرين مثل سيد قطب، وأبي الحسن الندوي، ونجيب الكيلاني، وعماد الدين خليل وغيرهم، لتأصيل خصائص المذهب الإسلامي في الأدب والنقد، إلا أن الطريق ما زال طويلاً وهذا ما أشار إليه الشيخ الندوي في بعض كتبه حين دعا في عمق وإيجاز إلى النقد الإيجابي الذي ينبغي أن يحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من أفكار المستشرقين وغيرهم من أصحاب النظريات الغربية، قال: " أما بدون الجمع بين هذا العمل الإيجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط وإتقان، والفهارس المفصلة المفيدة المتنوعة، (وذلك كله مما يعد من خصائص المستشرقين) والإفادة من مواد لم تستخدم بعد، وكتب ومظان لا يتبادر إليها الذهن، وليست في صميم الموضوع ولا من التاريخ الرسمي الذي يدور حول البلاد والأسر الحاكمة والحروب والحوادث الجسيمة، وكل ذلك مع تحر للدقة والوجازة والبعد عن التنميق والاستطراد، وبين العمل العلمي وهو المحاسبة العلمية في أسلوب علمي نزيه، وكلام وقور رزين، ولفظ موزون، بعيد عن التهكم والتنكيت، والتجني والافتراض، فإن كل ذلك يفقد النقد قيمته العلمية، ووقعه النفسي، وبدون الجمع بين هذا وذاك لا تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير

www.abulhasanalinadwi.org

أفكار المستشرقين المسمومة، وسيطرتهم العلمية"[١].

فبمثل هذا العمل الإيجابي الجاد الذي يحرص الشيخ على أن يتبناه أهل الاختصاص، يمكن تأصيل الفن الإسلامي بعامة، وبلورة رؤية نقدية إسلامية تعيد للنقد أثره الإيجابي في الحياة، وتزيل الغشاوة والاضطراب، اللذين أحدثهما النقد الغربي بمدارسه المتباينة، وبأفكار رواده المتناقضة، وبآراء مستشرقيه المشوِّشة، فمنطق الفكرة الإسلامية في ميدان الفنون قائم على أسس التصور الإسلامي ومقوماته حول الله والكون والإنسان، ولذلك وجد التميز الطبيعي للفن الإسلامي الذي لا يعرف سوى الإيجابية والفاعلية في الحياة، وينأى عن العبث والفوضية والعدمية والإفلاس وما إلى ذلك.

فالفن الإسلامي ـ كما أصله الدكتور عماد الدين خليل ـ، يأبى الانحراف ممثلاً في تأليه الإنسان (كلاسيكياً) وإغراقه الذاتي الأناني(رومانسياً) وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعياً) وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجودياً)، فليس ثمة عبث ولا جدوى كما يرى ألبرت كامو، وليس ثمة لا معقولية للحياة والوجود كما يرى كافكا، وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى سارتر، ذلك أن الفن الإسلامي يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، فللوجود غاية ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾

---

[١] -الإسلاميات في كتابات المستشرقين والباحثين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص ٢١- ٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

[المؤمنون: ١١٥]، ولكدح الإنسان جدوى ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾ [الانشقاق: ٦]، وللحياة معقولية لأنها صدرت عن إرادة الله التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.[١]

٢- وظيفة النقد الإسلامي

إن النقد في الرؤية الإسلامية الشاملة رسالة تعليمية وتوجيهية[٢]، وهو شريك الأدب والفن بنحو عام في بناء الذوق السليم وتربيته لدى الناس، وتزويدهم بالغذاء الفكري والروحي، وإشراكهم في المتعة النظيفة، وإدخالهم في عالم الأفكار الموجهة للطاقات نحو الخير في المجتمع، والمفجرة للقوى المؤمنة برسالة الحق والخير والجمال، في سبيل تأدية وظيفتها الحضارية الإيمانية في زمن سيطرت فيه الفسلفات المادية، والمدنيات الوضعية.

فالنقد في الرؤية الإسلامية نقد ملتزم، وهذا الالتزام نابع من تصور الناقد المسلم وثقافته وتميزه الحضاري، والنقد ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة يُلجَأُ إليها لتقويم الأدب والفن وجعلهما في خدمة الرسالة الإلهية، والنقد الإسلامي الملتزم يسعى - كالأدب الإسلامي - إلى أن تسود الإيجابية والفاعلية في الحياة، ويعمل على تقويم السلوك الإنساني وفق التصور

---

[١] -عماد الدين خليل في النقد الإسلامي المعاصر، بيروت: مؤسسة الرسالة: ١٩٨٤م ص ٤٢

[٢] -نجيب الكيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، ص ٨٥

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي، ومن هنا يأتي تميز المفهوم الإسلامي من المفاهيم النقدية الأخرى[١].

ومع وضوح الرؤية النقدية الإسلامية في مبادئها النظرية العامة، إلا أن النقد التطبيقي الإسلامي الذي يتناول الأعمال الأدبية المتنوعة بهذه الرؤية هو الذي ينبغي أن يتحقق سريعاً وبقوة وكفاءة لإزالة الشبهات المطروحة في الطرق، وتوضيح معالم النظرية النقدية الإسلامية، وكشف العيوب والمزالق التي تقدمها النظريات الغربية، بالمنهج العلمي المؤصل، وهذا ما أشار إليه الشيخ الندوي حين دعا إلى النقد الإسلامي العلمي الذي يحسن التعامل مع النظريات الغربية الخطيرة على العقيدة والسلوك، قال: لقد مضى علينا قرن كامل وأوربا تغتصب شبابنا وعقولنا، وتنبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية، ونحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، معرضون عن فلسفتها ونظمها ومحاسبتها محاسبة علمية، ونقدها وتشريحها كتشريح الأطباء الجراحين، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة، وبالزيادة في ثروتنا العلمية القديمة، حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي في الإيمان والعقيدة، وملك زمام الأمور في البلاد الإسلامية جيل لا يؤمن بمبادئ

---

[١] - بن عيسى بطّاهر: "نجيب الكيلاني والرؤية النقدية الإسلامية" مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٩-١٠ (عدد مزدوج)، السنة ٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام وعقيدته.[١]

وفضلاً عما ذكره الشيخ الندوي عن وظيفة النقد الإسلامي المنتظرة منه، فإن الرسالة الكبرى هي تصحيح الخطأ الذي وقع فيه النقد الحديث حين تحول في كثير من المواقف إلى نوع مقيت من الدعاية والإعلام، وأصبح ميداناً للجدال المذموم، يبيح تشويه القيم، وانحراف السلوك، وقد غلبت عليه هذه الصفات السلبية حتى ضاع الكثير من القيم الجمالية والأخلاقية من جراء الصداقات والتشرذم، وسيطرة القيم المادية في مجالات الأدب المختلفة وبخاصة في السينما والمسرح.[٢]

٣. صفات الناقد المسلم

ذكر في السابق أن النقد الإسلامي رسالة تعليمية وتوجيهية، وهو في تكامله مع الأدب الإسلامي ضرورة حياتية في المجتمع الإسلامي، فهما مثل الروافد المائية النظيفة التي تمد النهر بالغذاء والماء والاستمرارية، ولتحقيق هذه الغاية السامية لابد من وجود الأديب المسلم بالدرجة الأولى، ثم الناقد الأمين الذي يستطيع أن يقوم بواجبه، ويؤدي وظيفته حارساً لقيم المجتمع المسلم، وذلك بتمسكه بالمبادئ الأخلاقية التي يجد شذاها في كتاب الله وسنة رسوله، ويذوق طعمها الطيب في حضارة الأجداد، وتقديمه للرؤى الإيمانية المقومة للسلوك المعوج، ومنح الإنسان التوازن الروحي والمادي، والتصور الصحيح عن حقيقة

---

[١] -الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ص ٨٠

[٢] -نجيب الكيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، ص ٨٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وجوده ومهمته في الحياة.

ولنتساءل: ما الشروط التي من شأنها إيجاد هذا النوع من النقاد، وتشكيل هذه الرؤية الإيجابية لديهم؟ وهذا هو الجانب الذي نبه إليه الشيخ الندوي في بعض كتبه، إذ حدّد شروطاً واضحة لناقد الأدب تجمع بين الخصائص الذاتية والمهارات الموضوعية، فالناقد الأدبي في حاجة إلى الشجاعة والصبر والاحتمال، فضلاً عن رحابة الصدر، وسعة النظر، وفضلاً عن ذلك كله ينبغي ألا يكون ضيق التفكير جامداً متعصباً لفهمه للأدب، متعصباً لبلد أو لطبقة أو لعصر، بل يجب أن يكون حر التفكير، واسع الأفق، بعيد النظر، متطلعاً إلى الدراسة والتجربة، واسع الاطلاع على الكنوز القديمة.[1]

ومثل هذه الصفات التي يركز عليها الشيخ الندوي في غاية الأهمية في النقد الإسلامي، ولعل الشيخ - في حدود علمنا - هو أول من أشار إلى هذه الصفات الجامعة بين الاستعدادات الذاتية - مثل الشجاعة والصبر ورحابة الصدر - والموضوعية العلمية مثل سعة الاطلاع، وحرية التفكير، وعدم التعصب، والتجربة، وهي صفات من شأنها - إن توافرت في ناقد موهوب - بلورة رؤية نقدية سليمة تسهم في بناء الأدب وتطويره، وتشكيل الذوق السليم لدى المتلقي، وذلك بمده بما يحتاج إليه من قيم جمالية وفكرية وأخلاقية.

وقد جرت العادة عند نقاد الأدب - كما هو شائع بين

---

[1] - نظرات في الأدب، ص ٣٤-٣٥.

www.abulhasanalinadwi.org

الدارسين ـ على التركيز على الصفات المتعلقة بعملية النقد، وذلك بالإشارة إلى التجرد التام من الالتزام، والتعامل مع العمل الأدبي في شكله بالدرجة الأولى، ثم مضمونه، دون أن يكون للناقد أي أثر في فهم هذا المضمون وتوجيهه وفق المبادئ التي يؤمن بها، إذا الالتزام ـ كما يزعمون ـ يقيد حرية الأديب والناقد على حد سواء.

وإيمان الشيخ العميق برسالة الناقد المسلم يندرج ضمن إيمانه بالرسالة الكبرى التي تنتظر المسلم في الحياة، وهي رسالة الدعوة إلى الله التي نجد صداها في جل كتابات الشيخ، فقد ملأت قلبه وروحه، وأخذت مساحة كبيرة من فكره وعقله، فكثيراً ماعبر عن الحاجة إلى رجال ينقطعون إلى الدعوة، ويقفون لها علمهم ومواهبهم وكفاءتهم، ولا يطمعون في منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، ولا يحملون لأحد حقداً، ينفعون ولا ينتفعون، ويعطون ولا يأخذون.[1]

٤ ـ النقد وسيلة وليس غاية

إن إزالة اللبس والخلط اللذين قد يقع فيهما كثير من دارسي الأدب والنقد في تحديد هوية فن، أو علم من حيث هو وسيلة أو غاية، قضية ذات أهمية كبيرة، وخاصة في الرؤية الإسلامية التي تفرق في نظرتها المطردة بين الوسائل والغايات، وتعد التفريق بينهما ضرورياً ومهماً منذ البداية لوجود الضوابط الشرعية والعقدية التي تعنى بهذا الأمر عند الحديث عن

---

[1] ـ محمد واضح رشيد الندوي، أدب الصحوة الإسلامية، ص ٣٤ـ ٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

أية حركة أو سلوك إنساني في الحياة، ولذلك كان من واجب الأدباء والنقاد والمفكرين المسلمين تحديد هوية النقد الإسلامي بعدِّه وسيلة فنية وعلمية يلجأ إليها لأداء غايات سامية في المجتمع، ويردون بذلك على أولئك الداعين إلى النقد غاية في حد ذاته، واعتباره فناً من الفنون التي يأتي التعبير عنها بحرية مطلقة لتكون إحدى غايات الإبداع.

وقد أشار الشيخ الندوي - وهو الأديب المسلم، والناقد الملتزم - إلى هذه القضية معتبراً أن الفنون جميعها وسائل ينبغي أن يكون هدفها بعث الحياة والروح المتجددة في النفوس الخامدة، والقلوب الجامدة، وهي غاية حضارية تميز رغبة الشيخ وطموحه الغامر بالتفاؤل، الحريص دائماً على إعادة الأمة الإسلامية إلى مركز القيادة والسيادة كما ذكر في كتابه "الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة" فقد قال بجلاء ووضوح: الحقيقة أن الأدب والشعر، والفنون الجميلة، والحكمة والفلسفة، والتأليف والتصنيف، ليس من وراء كل ذلك إلا غرض واحد، وهو أن تتولد في صاحبه حياة جديدة، وإيمان جديد، وبالتالي في الأمة الإسلامية التي هو عضو فيها، والمجتمع الذي هو جزء منه".[١]

وتُعد نظرية "الفن للفن" الرائجة في النقد الغربي المعاصر من أبرز النظريات التي تجعل الإبداع الفني والنقد مستقلين عن الغايات العلمية، والقيم الخلقية، ولذلك قال كروتشه Croce: "إن

---

[١] - الطريق إلى السعادة والقيادة، بيروت، ط: ٣، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨م ص ١٤٣.

www.abulhasanalinadwi.org

القيم الأخلاقية أيضاً يجب ألا تكون لها أهمية عند تقويمنا للعمل الفني وتذوقنا له، فنحن في نقدنا للعمل الفني لا نعيب على الموضوع ذاته، بل الطريقة التي يعالج بها الكاتب ذلك الموضوع، وإذا كان التعبير الفني كاملاً فلا يهمنا الموضوع".[١]

فالفن عندهم ليس له غاية، ولا اعتبار بعد ذلك للقيم الأخلاقية والاجتماعية والعملية إذا كان الهدف هو التقويم الصحيح للعمل الفني، وهذا مخالف تماماً للنظرية النقدية الإسلامية التي تجعل الفنون والآداب والأبحاث النقدية وسائل في خدمة الأفكار والتصورات والمبادئ الدينية والأخلاقية.

٥ ـ القيم وأثرها في النقد الإسلامي

عند الحديث عن القيم ومسألة حضورها في النقد بنحو عام، وفي النقد الإسلامي على وجه الخصوص، لا بد من الإشارة إلى أن هذا الموضوع له وجود قوي في الأفكار والفلسفات المتعلقة بتطور المجتمعات عند كثير من المفكرين الغربيين والمسلمين، ذلك أن قضية القيم ذات علاقة مباشرة بالمجالات الروحية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وغيرها من مجالات الحياة الحيوية، ولا نريد في هذا المقام التفصيل في هذا الموضوع، إذ نحن ملتزمون بالحديث عن نظرية النقد الإسلامية كما جاءت ملامحها في كتابات الشيخ الندوي، ولكن نشير إلى أن الإشكالية التي يعرض لها بعض المفكرين الغربيين خاصة، والمتمثلة في وحدة منظومة الحضارة الغربية، وإنه لا يمكن رفض

---

[١] ـ محمود السمرة وعبد الله الشحام: مدخل إلى النقد الأدبي، ص ٣١٧.

www.abulhasanalinadwi.org

فكرها المادي وقيمها الخلقية النفعية والأخذ بتقنيتها العلمية فقط، وإنه إذا أراد المسلمون التقدم العلمي والصناعي من منظومة الحضارة الغربية، فلابد لهم من الانخلاع عن شخصيتهم الحضارية، وقيمهم الروحية والخلقية، والاندماج كلياً في بوتقة الحضارة الغربية، إذ ليس بإمكانهم القيام بعملية انتقائية، لأن غياب القيم التي ولدت العلم والصناعة المتقدمة سيحول دون الإنجاز المطلوب.[١]

وفي مجال النقد النظري رفض علماء اجتماع كبار منهم ماكس فيبر فكرة وجود علاقة مباشرة بين البنية الاقتصادية والتحتية والبنية الثقافية الفوقية، وليس هذا فحسب بل رفض فكرة وجود هذه العلاقة، وهو يشير إلى أن الطبيعة الوراثية للمؤسسات السياسية الإسلامية هي التي أعاقت ظهور المقدمات الضرورية للرأسمالية، وبالأخص القانون العقلاني، وسوق العمالة الحرة، والمدن المستقلة، والاقتصاد النقدي، والطبيعة البرجوازية.[٢]

فالقيم الإسلامية - في نظر فيبر وغيره - هي المعوقات الأساسية للنمو الحضاري في البلاد الإسلامية، وخاصة في الجوانب المادية والاقتصادية، وهذا أمر يرفضه الواقع التاريخي للأمة الإسلامية، وترفضه تجارب العصر الحاضر، عند بعض الدول كاليابان ودول شرق آسيا الناهضة، وهي متمسكة بقيمها

---

[١] - أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي الدوحة كتاب الأمة، ص ٥٢.

[٢] - المرجع نفسه، ص ٥٢.

www.abulhasanalinadwi.org

الأخلاقية والثقافية، ولعل الانفصام بين الأمة والقيم الإسلامية هو أبرز عوامل التخلف كما يرى المفكرون المسلمون المنصفون،[١] ومنهم الشيخ الندوي الذي تناول هذا الموضوع في جل كتاباته؛ وما من مناسبة أو حديث إلا وتجد له دفاعاً قوياً عن القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية التي هي جوهر المسلم وشخصيته وتميزه الحضاري.

يقول الشيخ الندوي عن أثر النظام التعليمي الغربي بمناهجه المضللة، وأفكاره المقصية للقيم الإيجابية، وقد طبق في الأقطار الإسلامية: "قد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة، على أن خسارة الأمة والبلاد في هذا النظام التعليمي، وفي هذه المعاهد ودور التعليم الحديث كانت أكبر من ربحها، فقد استنفد دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم وأموال المسلمين في إنشاء هذه المدارس وإقامتها، واستخلصوا لها أفلاذ أكباد المسلمين وخيرة شبابهم، فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشك وارتياب في الدين، واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسيرة، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر".[٢]

ومسألة المناهج التربوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنقد

---

[١] -المرجع نفسه، ص ٥٣.

[٢] -نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، بيروت مؤسسة الرسالة، ط: ٥، ١٩٨٧، ص ٩.

www.abulhasanalinadwi.org

ووظيفته الضرورية في تمحيص المواد، واختبار النصوص، وبلورة المفاهيم وتقويمها وفق المنهج الإسلامي، ونقدها بميزان القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية المشكلة لثقافة الأمة، وهذا ما جعل الشيخ الندوي يشير إلى ضرورة وضع مناهج للتعليم الإسلامي تقوم على النقد الإسلامي للعلوم والكتب الذي شاد بنيانه علماء المسلمين، ويجب أن تدون هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً، وتؤلف فيها كتب مبتكرة، وتشبع بالروح الدينية، وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين.[١]

ويقول عن وظيفة النقد المؤصل في التربية والتعليم: "والحاصل أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع، والسبك والترتيب، لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية أو الآداب الإنجليزية من روح الدين والإيمان، هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلامي، ويكتب بقلم مسلم".[٢]

وحين تحدث عن الإسلام والحضارة الإنسانية دعا إلى القيام بدراسة نقدية عميقة لتاريخ الشعوب والأمم والبلاد والمجتمعات، وذلك لمعرفة خصائص الحضارة الإسلامية، للاهتداء بها في تغيير العقيدة وإصلاحها، والقضاء على آثار الجاهلية والفلسفات الوثنية والتقاليد الموروثة، وتحويل تيارات

---

[١] -نحو التربية الإسلامية الحرة ص ١٠-١١

[٢] -المرجع نفسه، ص ١١.

www.abulhasanalinadwi.org

الفكر من وجهة إلى وجهة، والتغيير الثوري في القيم والمثل".[١]

أما عن الوظيفة المنتظرة من الأمة الإسلامية للتأثير في الحضارة الإنسانية، وتوجيهها اليوم فلن يتحقق إلا بالإيمان العميق بالشخصية المميزة للحضارة الإسلامية، ورسالتها المستمدة من الهداية الربانية التي جاء بها الوحي، والتعاليم النبوية المستفادة من السنة، ثم بالابتعاد عن قيم الحضارة الغربية التي تتحكم فيها المادية، ويسود في روحها العداء للدين، والثورة على الأخلاق والقيم.[٢]

ثم يستشهد بموقف الشاعر الإسلامي الكبير العلامة محمد إقبال من الحضارة الغربية حيث قال: " إن روح هذه المدنية ما عادت عفيفة طاهرة".[٣]

ولن تتحقق هذه الوظيفة أو المهمة إلا بالقضاء على الأزمة الروحية والأخلاقية داخل جسم الأمة الإسلامية، وقد عبر عن ذلك في كتابه "ربانية لا رهبانية" حيث قال: " انظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله والربانية وتزكية النفوس من زمان، وندر فيها وجود الدعاة إلى الله، وتجديد الصلة بالله، وإصلاح الباطن، بنفوذ الحضارة الغربية، أو للقرب من مركزها، أو بفعل عوامل أخرى، إنك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحر في العلم، ولا التعمق في التفكير، ولا فضل من ذكاء،

---

[١] -أحاديث صريحة مع إخواننا العرب المسلمين، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م ص ٦٥.

[٢] -المرجع نفسه، ص :٧٥.

[٣] -المرجع نفسه، ص: ٨٥.

www.abulhasanalinadwi.org

ولا غنى من أدب، ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة، ولا نعمة من استقلال، إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها، ولا علاج لكل ذلك إلا في "التزكية النبوية" التي نطق بها القرآن، وبعث لها الرسول ﷺ، وفي "الربانية" التي طولب بها العلماء[1] ﴿**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾[آل عمران: ٧٩]

إن اهتمام الشيخ الندوي بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية لكونها تحمل أبعاداً واسعة في حياة الفرد المسلم بالدرجة الأولى، وفي حياة الأمة الإسلامية الشاهدة على الناس بحضارتها، وبقيمها ومبادئها الطاهرة، ثم في حياة الإنسانية المتعطشة إلى القيم الروحية، والمثل والأخلاق، وإلى المبادئ التي تساهم في تقويم البناء المتصدع في صرح الحضارة الحديثة.

ويمتد هذا الاهتمام ويشمل قضايا الأدب والنقد، وهما نشاطان لا ينفصلان عن نشاط المسلم وحركته في الحياة، فالأدب تعبير عن الحياة والشعور والوجدان والأفكار والتصورات والقيم والمبادئ، والنقد هو تقويم الأدب وتوجيهه فنياً وجمالياً وفكرياً وخلقياً نحو التطور والبناء وأداء الغاية المنشودة منه في الحياة، وكما أن الأدب لا يمكن تجريده من القيم والمثل والمبادئ التي يؤمن بها الأديب سواء كان هذا الأدب إسلامياً أو غير ذلك من الآداب العالمية، فإن النقد لا يمكن تجريده من القيم أو الأخلاق

---

[1] -ربانية لا رهبانية، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م، ص ١٤-١٥

www.abulhasanalinadwi.org

العملية، بدعوى الموضوعية والحرية، وبحجة أن الناقد فنان وظيفته الأساسية هي البحث عن الجمال المتجسد في الأشكال الفنية للأعمال الأدبية، أما نقد المضمون فليس من وظيفة النقد في شيء ما دام الجمال ماثلاً في الشكل وطريقة التعبير، كما يزعم أصحاب هذا الموقف.

ولعل اهتمام الشيخ الندوي بالأبعاد القيمية في سلوك الفرد المسلم، وفي فاعلية المجتمع الإسلامي ونشاطه ومساهماته في المد الحضاري، هو الحكم العام الذي ينبغي أن ينسحب على حركة المسلم في نشاطه الإيجابي في الحياة، وممارسته العملية النقدية والفنية هي من النشاطات الضرورية التي تمنح البقاء والاستمرارية والفاعلية للثقافة الإسلامية،[1] وهي عمل شاق يحتاج إلى القدرة الفنية، وقوة الشخصية لدى الناقد، فضلاً عن الإيمان العميق بالمبادئ والقيم والتصورات الإسلامية التي لابد أن يكون لها حضور قوي يمنح النقد الإسلامي تميزه وأصالته.

وتتجلى رؤية الشيخ في هذه القضية في المبدأ الواضح الذي يرى فيه أن الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله، والعزوف عن الشهوات، يمنح صاحبه صفاء حس، ولطافة نفس، وعذوبة روح، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة، واقتداراً على التعبير البليغ،[2] أي أن القيم الروحية والأخلاقية يحتاجها الأدب الجاد كما يحتاجها النقد الهادف السليم، لحمل الرسالة السماوية

---

[1] -أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، الدوحة، كتاب الأمة، ١٤٠٥هـ، ص ١٢٩.

[2] - نظرات في الأدب، ص ٣٣.

www.abulhasanalinadwi.org

السامية، وهي رسالة الإسلام إلى الإنسانية.

وينبه الشيخ إلى تلك العناصر المهمة التي يجب أن تشغل بال النقاد دائماً وهي أساس المبادئ الخلقية فيقول: "إن أهم عناصر الأدب الإخلاص والصدق، وهما اللذان ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب، واللذان يهبان الأدب روحاً وقوة وحيوية، ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة".[١]

إن هذه القيم التي تشكل العناصر الحيوية في النقد يتغافل عنها كثير من النقاد المتأثرين بالرؤية الغربية في الفن - وخاصة مذهب الفن للفن - التي ترى أن قيمة الفن توجد في ممارستنا له، وليس فيما يقال عن تأثيره في السلوك، وهذا ما أكده الأديب الإسلامي الكبير نجيب الكيلاني - رحمه الله - حين قال: "معظم النقاد الجماليين يزعمون أن المعايير الخلقية والدينية والفلسفية هي غير ذات مغزى تجاه قيمة العمل الفني، وإذا كان للمحتوى (المضمون) من أهمية فهي في حدود ما يساهم فيه في إطار الانطباع الجمالي العام".[٢]

والرؤية النقدية الإسلامية تؤكد دائماً أن الفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود".[٣]

---

[١] -المرجع نفسه، ص ٣٦

[٢] -مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص ٩٥-٩٦.

[٣] -محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، بيروت: دار الشرق، ١٩٨٧م ص ٦.

www.abulhasanalinadwi.org

وهي ترى أيضاً أن القيم هي مقياس الجمال في نظر المسلم، وأن الفكرة الجميلة هي عماد العمل الأدبي، وأن إلغاء مبدأ القيم من حقل الممارسة النقدية يعني السقوط في شراك المذاهب النقدية الغربية التي تحرص دائماً على إبعاد مبدأ القيمة عن العملية النقدية.[١]

ويرى الشيخ الندوي أن الجمال وقوة التأثير في العمل الأدبي الناجح يعودان إلى قوة العقيدة والعاطفة، والالتزام والإيجابية، فقد اتسمت بعض الكتابات العلمية والدينية لدى علماءنا القدماء بالجمال والبراعة والتأثير، والسبب الكبير في ذلك هو أنها قد كتبت عن عقيدة وعاطفة، وعن فكرة واقتناع، وعن حماسة وعزم، فضلاً عن تحررها من السجع والبديع،[٢] وهذا كله يؤكد الموقف الواضح من مسألة القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية التي يجب أن يكون أثرها قوياً في النقد الإسلامي.

[١] -محمد إقبال عروي :"مقال في نقد النقد الإسلامي" مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٦ السنة : ٢

[٢] - نظرات في الأدب، ص ٣٢.

www.abulhasanalinadwi.org

نظرات نقدية في الشعر والنثر

أ. في عالم الشعر

إن الكلمة لمن روح القدس كما يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي رحمه الله،[١] فهي حين تدخل إلى سويداء قلب الإنسان تحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة، وقد التزم الشيخ الندوي في حياته الحافلة في مجال الدعوة بقاعدة الجمع بين الإيمان والعمل والعلم،[٢] وكان ينظر إلى الكلمة الطيبة - أو ما كان يسميه بالأدب الحي - بوصفها الروح الباعثة للحياة في جسم الأمة الإسلامية، وكانت نظرته الحضارية الإسلامية العميقة في فكره وثقافته هي مقياس التقويم لديه في كل شأن من الشؤون التي تهم المسلمين في هذا العصر.

وقد تميز الشيخ بمواقف نقدية جزئية، ونظرات جديدة إلى الأدب، وخالف كثيراً من النقاد والدارسين الذين اعتادوا أن لا ينظروا إلى الأدب إلا من زاوية الصناعة والفن، ولا يعدونه - في غالب الأحوال - إلا أداة تسلية أو آلة طرب، أو طريقة إظهار براعة، أو وسيلة تحقيق مآرب،[٣] فالأدب عنده من أكبر الوسائل

---

[١] -شروط النهضة، ص ٢٤

[٢] -محمد واضح رشيد الندوي :أدب الصحوة الإسلامية ص ٦٩.

[٣] -محمد الرابع الحسني الندوي، الأدب وصلته بالحياة، بيروت، مؤسسة

www.abulhasanalinadwi.org

للوصـول إلى الأهـداف النبيلـة، والتأثـير في النفـس الإنسـانية، والإسهام في بناء الحضارة.

ومن هذا المفهوم الإيجابي للأدب انطلق الشيخ في الدراسة والبحـث عـن هـذا النـوع مـن الأدب الحـي في تاريخنـا القديـم والحديث، فعثر على نماذج رائعة في مجال النثر الفني كان يمكن أن تكون في المكانة الأولى في دراستنا الأدبية، ولكنها أفلتت من نظر المؤلفين والناقدين لأنها لم تدخل في رحاب الأدب المصنوع، وأما في مجال الشعر فقدم لنا نموذجين أثرا تأثيراً كبيراً في حياته كما يبدو، أما النموذج الأول فهو شعر جلال الدين الرومي، وهو يمثل الجانب التراثي، وأما الثاني فهو شعر محمد إقبال، وهو من الشعراء الذين عاصرهم وعرف الكثير عنهم، وقد كان للشيخ الندوي نظرات نقدية في دراسته لهذين النموذجين كشفت عن ملامح وأهداف إنسانية دقيقة لها قيمة كبيرة في الأدب سنقف عند بعضها في هذا العرض.

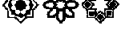

الرسالة، ١٩٨٥م ص: ٩.

www.abulhasanalinadwi.org

مع جلال الدين الرومي

١ . الحب في شعر جلال الدين الرومي

إن الاهتمام بالتعبير الصادق عن الحب والعاطفة في الأدب، وبخاصة في الشعر قد جعل الشيخ الندوي يطلق حُكمه النقدي السافر الذي يتجلى في أن الأدب إذا تجرد من العاطفة القوية كان محاكاة أو مضاهاة، فقوة العاطفة هي التي تضفي على الأدب القوة والخلود وصلاحية الانتشار والحلول في قرارة النفوس.[١]

والحب من الملامح الإنسانية الرائعة، وهو في تساميه وتجرده من الرغبات والأهواء البشرية قيمة تدل على الغنى والسمو والكرامة، وقد حفل شعر جلال الدين الرومي بالحديث عن الحب وعجائبه وتصرفاته وقيمته عند من يعرفه ويدرك معناه، وتبدو نظراته إلى هذه العاطفة الإنسانية - كما فصلها وحدد ملامحها الشيخ الندوي - بكونه جالباً للمعجزات، وقاهراً للأسقام والعلات، ومنقذاً لأصحابه من بحر الحياة، وعالماً مأموناً من الآفات والعاهات.

---

[١] - نظرات في الأدب، ص: ١٠٨.

www.abulhasanalinadwi.org

فهو كما يقول الرومي: "يحول المر حلواً، والتراب تبراً، والكدر صفاء، والألم شفاء، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة، ويسود العبد."[١]

وهذا الشعور قد لا يمر بنفوس الغارقين في عالم المادة، لأن ملكهم ودولتهم غير دولة الشاعر: "بارك الله لعبيد المادة وعباد الجسم في ملكهم وأموالهم، لا ننازعهم في شيء، أما نحن فأسارى دولة الحب التي لا تزول ولا تحول".[٢]

والحب سفينة نجاة في بحر الحياة الهائج، فقد رأى شاعرنا أن كثيراً ممن لا يحسنون السباحة قد غرقوا في هذا البحر اللجي، ولكننا ما رأينا سفينة الإيمان والحب تغرق".[٣]

ويكشف الشيخ من هذا الشعر النابض بالمشاعر الملتهبة، والصور الدقيقة، عالم القلب الحي الفائض بالحياة والحرارة الذي لابد أن يحتضن هذا الحب ليعيد للإنسان كرامته، أما العقول الباردة، والغرائز الفانية، فتعجز عن أداء هذه الوظيفة، فقد ذكر الرومي حديث القلب وما له من مكانة وكرامة في حياة الإنسان، وما يحويه من عجائب وكنوز، وذكر أن الإنسان يحمل في جسمه روضة أكلها دائم، وربيعها قائم، وأنه يحمل في نفسه الصغيرة عالماً أوسع من هذا العالم المادي.[٤]

---

[١] -المرجع نفسه: ص: ٩٢
[٢] - نظرات في الأدب: ص ٩٣
[٣] -المرجع نفسه، ص: ٩٤
[٤] -المرجع نفسه، ص: ٩٧.

www.abulhasanalinadwi.org

٢ ـ قيمة الإنسان في شعر جلال الدين الرومي

هذه قضية كبيرة في الآداب العالمية اليوم، وهي تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الأدباء والنقاد المدافعين عن كرامة الإنسان، ويرى الشيخ الندوي أن قضية التعبير عن قيمة الإنسان وشرفه جاءت بسبب ما أصيب به الإنسان من استهانة بقيمته من قبل الحكومات المستبدة، والفلسفات الخاطئة، والأديان المحرفة، وما نتج عن ذلك من فساد في المجتمع، ومقت شديد للحياة وقنوط من المستقبل ورغبة في الفناء، وقد نشأ عن ذلك أدب متشائم ينظر إلى العالم وإلى الحياة بمنظار أسود، وأصبح الإنسان يستنكف من إنسانيته، ويعتقد أن رقيه في الثورة على الإنسانية.[١]

وفي هذا المجتمع العاق والمتبرم من ابنه الشرعي الإنسان، قام جلال الدين الرومي ممثل الفكرة الإسلامية الصحيحة ليشير كرامة الإنسان المطمورة في أنقاض الأدب المتشائم، والشعر المتراجع المنهزم، وبدأ يتغنى بكرامة الإنسانية في حماسة وإيمان وبلاغة حتى دب في المجتمع دبيب الحياة، أصبح الإنسان يشعر بكرامته وحقيقة وجوده، وانطلقت في عالم التصوف موجة جديدة تستحق أن تسمى" الاعتزاز بالإنسانية".[٢]

وقد اختار الشيخ الندوي من شعر الرومي نماذج رائعة عرضها في أسلوب جميل، تترجم نظرته الإيجابية إلى الإنسان، والذي يرى فيه خلاصة هذا الكون، ومجموع أوصاف العالم،

---

[١] -المرجع نفسه، ص: ٩٩- ١٠٠.
[٢] -المرجع نفسه، ص: ١٠٠- ١٠١.

www.abulhasanalinadwi.org

وهو غاية هذا الخلق، لأجله خلق العالم، وهو القطب الذي تدور حوله رحى الكون، تحسده الكائنات، وقد فرض الله طاعته على جميع الموجودات، ودعاه إلى الاعتراف بقيمته، والاعتزاز بوجوده، وألا يبيع نفسه رخيصة إلا لأكرم المشترين، وهو الله تعالت قدرته.[١]

إن الأثر الإيجابي لهذه الأفكار في حياة الإنسان المؤمن بالله ممتد إلى آفاق عريضة، فشعوره أولاً بذاته وقيمة نفسه، ثم الاعتزاز بالانتساب إلى الله، والارتباط بكل ما في الوجود، يجعله يحيا عزيز النفس، عالي الرأس، أبياً للضيم، عصياً على الذل والهوان، بعيداً عن الشعور بالتفاهة والعدم، والفراغ،[٢] يشعر بأثره ورسالته في الحياة، وأنه يملك شيئاً ذا قيمة يمكن أن يقدمه للآخرين.

---

[١] -المرجع نفسه، ص : ١٠٠- ١٠٣.

[٢] -يوسف القرضاوي : قيمة الإنسان ووجوده في الإسلام ، القاهرة ، دار الوفاء ، ص : ١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

وقفة مع إقبال

كان محمد إقبال ـ شاعر الإسلام ـ من أعظم رجال الفكر والدعوة والأدب في هذا العصر، فقد جمع في شخصيته بين الفكر الثاقب، والعلم الواسع، والقلب الواعي، والعقيدة القوية الصادقة، والرؤية الحضارية العميقة.[١]

وقد لا يوجد شاعر معاصر أثر تأثيراً كبيراً في الشيخ الندوي كما أثر إقبال، بل إن الشيخ الندوي نفسه يرى أنه ما من شاعر أو أديب أو كاتب في شبه القارة الهندية إلا وقد تأثر به في قليل أو كثير، وليس لأحد أن يدعي أنه قد تحرر من هذا الأثر، حتى الذين كان اتجاههم غير اتجاهه أو عكس اتجاهه تماماً، فكلهم قد خضعوا له من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.[٢]

ويرى الشيخ أنه ما نال شاعر أوربي في اللغات الحية مثل اللغة الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والفارسية، والعربية مثل هذا الاهتمام سواء في سيرته أو شاعريته أو مدرسته الفكرية كما

---

[١] - نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ص ٢١-٢٢

[٢] - نظرات في الأدب، ص ١٠٨.

www.abulhasanalinadwi.org

نال إقبال، لا شكسبير (Shakespeare) ولا ميلتون (Milton)، والسبب في ذلك راجع إلى قوة شخصيته أولاً، وقوة العقيدة ثانياً، وقوة العاطفة ثالثاً.[١]

ويحلل الشيخ هذا العناصر التي منحت القوة والجاذبية والجمال لأدب إقبال فيرى أنها في قوة العقيدة عنده، وهي إيمانه العميق بصلاحية الإسلام للخلود، وانه هو الرسالة الخاتمة المختارة التي تملك إنقاذ الإنسان من براثن الجاهلية، وعبادة الإنسان، وعبادة الشهوات والأوثان، ثم في إعجابه القوي بشخصية الرسول ﷺ الفلسفية الواسعة العميقة من التعبير الوجداني المتدفق عن حبه ومبادئه وآماله.

١. نظرة إقبال إلى الشعر والأدب

كان إقبال يعتقد أن الأدب لا يصل إلى حد الإعجاز حتى يستمد حياته وقوته من أعماق القلب، فغاية الأدب أن يبعث في الذات القوة، ويثير فيها الحرارة والعشق والنزوع إلى عالم الروح، ويفيض على المجتمع الحياة والحماس، وقد قال: " لا خير في نشيد شاعر، وفي صوت مغن إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى".[٢]

وكان إقبال ينفر بطبعه من الأدب والفن الذي تكون

---

[١] -المرجع نفسه، ص ١٠٨.

[٢] -أبو الحسن الندوي: "روائع إقبال"، المجمع العلمي الإسلامي، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند) ص ٧٤.

www.abulhasanalinadwi.org

غايته الأولى المتعة والتسلية وقتل الوقت، يقول:[١]

الـدين والفـن والتدبيـر والخـطب
والشعـر والنثـر والتحرير والكتـب
إن تحفظ (الـذات) هذي فالحياة بهـا
أو لم تطق ذاك فهي السحر والكذب

وكان يعتقد اعتقاداً جازماً أن الفن وسيلة لفهم حقائق الحياة، وهو رسالة عظيمة في الحياة، يقول:[٢]

الشعر فيه من الحياة رسالة
أبديـة لا تقبل التبـديلا
إن كان من جبريل فيه نغمة
أو كان فيه نفخ إسـرافيلا

ويرى الشيخ الندوي أن نظرة إقبال هذه إلى الشعر والأدب كانت في الحقيقة ثورة في تاريخ الأدب وفي تاريخ الشعر، وذلك بما أحدثه من تأثير عميق في الأدب الحديث، وبما قام به من تأثير في بلورة مدرسة جديدة في الشعر والأدب في شبه القارة الهندية.[٣]

٢. الرؤية الحضارية في شعره

كان إقبال ـ كما ذكر سابقاً، ـ يؤمن إيماناً عميقاً بصلاحية الإسلام للخلود، وبقدرته على حل مشكلات الإنسانية، وقد انعكست هذه الرؤية الواضحة في شعره، يقول:[٤]

---

[١] -نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر، ص ٧٩.
[٢] -المرجع نفسه، ص ٨٣.
[٣] -نظرات في الأدب، ص ١٠٦.
[٤] -إقبال الشاعر الثائر، ص ١٢٨.

www.abulhasanalinadwi.org

كم أصاب الإنسان في هذه
الأرض من اسكندر ومن جنكيز
ويقول التاريخ في كل عصر
خطر فرط قوة لعزيز
وهي سم بغير دين، وبالدين
دواء لكل سم نجيز

وعن هذه الرؤية الواضحة يقول الشيخ الندوي: "إن محمد إقبال له فضل كبير في أنه استخدم شاعريته الموهوبة السليقية لصالح الإنسانية، واستخدمها لصالح الإسلام، إنه كان يستطيع أن يتصدر دست الأدباء والشعراء فيسلمون له الزعامة والرئاسة، وقد نال ذلك كثير من إخوانه المعاصرين، ولكنه أبى إلا أن يستخدم كل شاعريته، وكل مواهبه الشعرية، والأدبية لخدمة الإسلام والإنسانية، فأعاد بذلك الإيمان والثقة بالإسلام والحب للرسول ﷺ".[1]

وكان إقبال يعتقد أن البعث الإسلامي القادم سيكون على أيدي المسلمين المؤمنين بمبادئهم وقيمهم، العاملين في ميادين الحضارة والعلم والكفاح بهمة وعزم ونشاط.

ولقد كان إقبال كما يرى الشيخ الندوي النموذج الطيب لقيادة حركة البعث الإسلامي بشعره الإسلامي البليغ، ورؤيته الحضارية الواضحة، وهو النموذج الذي ينبغي أن يرزق العالم العربي بمثله للقيام بدور القيادة والثورة في عالم الأدب والشعر.

---

[1] - نظرات في الأدب، ص ١١٢.

www.abulhasanalinadwi.org

ب ـ في مجال النثر

صفحات من النثر الفني

تجلى الإبداع النقدي عند الشيخ الندوي في اكتشافه لصفحات مشرقة رائعة من النثر في الإبداع العربي، هذه الصفحات التي غفل عنها النقاد ودارسو الأدب لقصور نظرتهم، وضيق فهمهم، وذلك بعنايتهم بالأدب الصناعي المنمق الموجود في دواوين الشعراء وكتب الرسائل والمقامات وغيرها من أنواع الأدب الذي يتخذ في الغالب صناعة وحرفة.

وقد استعرض الشيخ مكتبة الأدب العربي من جديد، فلاحظ أن هناك نوعاً من الأدب النثري الطبيعي الجميل لم يحظ بدراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم مثل ماحظي به الأدب الصناعي، مع أنه يملك خصائص كثيرة منها: الكثرة، وفضل السبق، وعبقرية اللغة العربية وأسرارها، والبعد عن الصناعة والتكلف.[1] ويتجسد هذا الأدب على وجه الخصوص في كتب الحديث والسيرة وفي بعض الكتب العلمية والدينية، وفي كتب الطبقات والتراجم والرحلات.

---

[1] -المرجع نفسه، ص ٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

ويرى الشيخ أن هذا الأدب ثروة أدبية زاخرة تكاد تكون ضائعة،[١] وذلك بما يمتاز به هذا الأدب من خصائص فكرية وجمالية تفتق القريحة، وتنشط الذهن، وتقوي الذوق السليم، وتعلم الكتابة الحقيقية.

والسر في فضل هذه الكتابات العلمية والدينية وقوتها وجمالها ليس في التحرر من الصناعة والتكلف فحسب، بل في كونها كتبت عن التزام وإيمان بالعقيدة، وعن عاطفة متدفقة بالحماس والعزم، لقد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة، يكتبون لأنفهسم لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين، فتشتعل مواهبهم، وتفيض خواطرهم، وتتحرق قلوبهم، فتنهال عليهم المعاني وتطاوعهم الألفاظ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها، لأنها خرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب.[٢]

ويقدم الشيخ الندوي أدلة تطبيقية كثيرة على رأيه، فيذكر نصوصاً من كتب الحديث والسيرة والتاريخ والتراجم، ثم يقف منها وقفات نقدية دقيقة ليكشف عن أسرار الجمال والإبداع فيها في ميزان الرؤية الإسلامية في الأدب والفن.

وقد قام الشيخ بمراجعات نقدية رائعة لأدب التراجم والتقديمات وأدب الرحلات، أضافت الكثير من العناصر التأصيلية إلى النقد الإسلامي، الذي يسعى إلى بلورة نظرية متكاملة في النقد تقف في وجه النظريات الغربية الوافدة.

---

[١] -المرجع نفسه، ص: ٣٤.
[٢] -المرجع نفسه، ص: ٣٢.

www.abulhasanalinadwi.org

الآفاق العالمية للأدب والنقد الإسلاميين

عرف الشيخ الندوي - هو الأديب الإسلامي العالمي - بأفقه الواسع، ونظرته العالمية إلى الأدب والنقد الإسلاميين، وقد ترجمت جهوده في دراسات وأبحاث ومحاضرات امتدت لأكثر من خمسين سنة، وقام بتأسيس رابطة عالمية تُعنى بشؤون الأدب الإسلامي إبداعاً ودراسة ونقداً، وهي أول رابطة تجمع الأدباء والباحثين الإسلاميين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم لإعادة الأدب والنقد إلى الدائرة الإسلامية، وبلورة النظريات وفق الرؤية المنبثقة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد عرض الشيخ في بعض كتبه جوانب مشرقة عن المدرسة الأدبية الإسلامية في الهند، وهي مدرسة حافظت على أصالتها الإسلامية، ومشاعرها الدينية، وعبرت عن القضايا الإسلامية المختلفة باللغة الأردية والفارسية، مما يؤكد العالمية التي يسير نحوها الأدب الإسلامي، على الرغم من الاختلافات القومية والعرقية التي حاول الاستعمار الغربي غرسها في النفوس، لتترسب الأنانية والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة.

إن تأثر الشيخ وإيمانه الكبير بالإسلام ومبادئه وحضارته المتميزة، وحبه الكبير لشاعر الإسلام محمد إقبال الذي علمه

www.abulhasanalinadwi.org

الطموح والحب والإيمان،[١] جعله ينظر إلى الفكر الإسلامي بالدرجة الأولى، وإلى الأدب الإسلامي ونقده اللذين هما وليدا هذا الفكر، برؤية إنسانية واسعة، وبأفق إسلامي عالمي، تجتمع فيه الإنسانية، وقيم الحق والخير والجمال، بعد التحرر التام من جميع النزعات الوطنية والقومية والإقليمية الضيقة.

[١] – نظرات في الأدب الإسلامي، ص: ٨٢.

www.abulhasanalinadwi.org

الخاتمة

يعد الشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ أحد الرواد الأوائل الذين أسهموا في بلورة المشروع الحضاري الإسلامي وتأسيسه في النصف الثاني من هذا القرن، فشارك في مسيرته بفكر عميق، ورأى سديد، وعزيمة ماضية، في تزويد هذا المشروع الحضاري بالأدب الحي الذي يبعث الحماس والحيوية والفاعلية في الأمة.

وقد دأب الشيخ على الدعوة إلى بناء أدب إسلامي متميز وتشكيله، ليقف في وجه الأدب المنحرف الذي أصبح معادياً للقيم، ومجانباً للأخلاق، ومثبطاً للهمم، وحدد الشيخ الأطر العامة لهذا الأدب الذي لابد أن ينطلق من الرؤية الإسلامية، ويعبر عن المشاعر والأفكار بصدق وإخلاص حتى يحقق غايته من التأثير والإقناع.

واهتم الشيخ بالنقد، ودعا إلى تأصيله وبلورة نظرياته، ليؤدي وظيفته في حراسة القيم والمبادئ والأخلاق، ويحفظ المجتمع الإسلامي من التحديات والهجمات العلمانية الهادفة إلى قتل الروح الدينية لدى الأمة، وعزل شبابها عن الإيمان والقيم والمبادئ التي تميزهم إسلامياً وحضارياً.

وقد كانت له نظرات نقدية جديدة في الأدب فتحت أبواباً

www.abulhasanalinadwi.org

أمام الدارسين، ولفتت أنظارهم إلى الكثير من القضايا والمقاييس والقواعد في الأدب الإسلامي ونقده.

ويمثل الشيخ الندوي - وهو من رواد الأدب الإسلامي الأوائل - النموذج الحي في مسيرة أسلمة الأدب الإسلامي وتأصيله في النصف الثاني من هذا القرن، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجازي به عباده المؤمنين المجاهدين.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبو الحسن الندوي الأديب الناقد

بقلم

الأستاذ محمد حسن بريغش رحمه الله تعالى

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبوالحسن الندوي الأديب الناقد

لم يكن الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - محباً للعربية، ومهتماً وشغوفاً بها، عارفاً لأساليبها، ومتذوقاً لجمالها فحسب، بل كان أديباً موهوباً، وكاتباً بارعاً منذ نشأته، ترك الكثير من المؤلفات والكتب والبحوث.

وأصبحت له مكانة مرموقة في العالمين العربي والإسلامي، بين الدعاة والمصلحين، والكتاب والمؤلفين.

وظهرت مواهبه تلك منذ وقت مبكر في مسيرة حياته الحافلة بالعطاء، حيث كان شديد الحرص على كتابة المقالات في أمور الدعوة، والتراجم، والأدب، والفكر، وكان ينشرها في المجلات الثقافية والأدبية المشهورة، ولا غرابة في ذلك، لأن الندوي كان يرى أن مصير العلم مرتبط بالقلم، أي الكتابة، حيث يقول معقباً على أولى الآيات التي نزلت من كتاب الله العزيز﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لا يعلم**﴾[1].

"الدين الذي لم ينس هذا القلم المتواضع حتى في الحلقة

---

[1]- العلق : الآيات : ١-٥

www.abulhasanalinadwi.org

الأولى من وحيه، ولم ينسه لدى هبوب النفحة الأولى من النفحات الربانية، لم ينس أن يؤكد أن مصير العلم مرتبط بالقلم، لم ينس في خلوة غار حراء التي ارتادها نبي أمي يتلقى الرسالة الإلهية لهداية البشرية، ذلك النبي الذي لا عهد له بالقلم، ولم يعرف من ذي قبل كيف يحرك القلم، ولم يتعلم فن الكتابة والقراءة بتاتاً، شيء لن يجد الإنسان نظيره في تاريخ العلم البشري"،[1] وإلى جانب حب الشيخ الندوي للعربية كان يحب الأدب - بعامة - والأدب العربي - بخاصة - وظهرت مواهبه الأدبية في كثير من كتاباته وتراجمه، وتحليلاته الدقيقة، وأسلوبه المتميز في اختيار الألفاظ والعبارات والصور المناسبة لكل موقف، والنظريات الأدبية والنقدية البارعة.

وظهر حبه للأدب منذ وقت مبكر من حياته، حيث كان يعيش في جو الأسرة العلمي والأدبي، المليء بالمحبة والمشاعر والرعاية، وكان - ولا شك - لأمه تأثير عليه، وكذلك كان لأخيه الأكبر مثل ذلك التأثير[2]، وكما يقول الندوي، فأسرته أسرة العلماء والمؤلفين، والده كان من كبار المؤلفين في عصره[3]، وكانت أمه من حافظات القرآن الكريم وكاتبة وشاعرة[4]، وكان

---

[1] - كتاب "الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة" للندوي/ ١٣٤

[2] - اسم أخيه السيد عبد العلي الحسني، رئيس ندوة العلماء سابقاً، وهو عالم ومرب وطبيب.

[3] - في مسيرة الحياة (١-٥٦) و(١-٦٠).

[4] - في مسيرة الحياة (١-٧) كتاب (العلامة السيد عبد الحي الحسني /١٧٤-١٧٥)

www.abulhasanalinadwi.org

أخوه الأكبر عبد العلي من المؤلفين والكتاب، وكذلك أخته السيدة أمة الله عائشة مؤلفة لعديد من الكتب وقصص الأنبياء للأطفال[١].

وفي هذا الجو نشأ الشيخ أبوالحسن، يحب القراءة، ويتذوق الأدب، ويطالع الكتب المختلفة.

وللأسرة تأثيرها، ولا سيما إذا كانت أسرة متعلمة واعية، وهذا ما يؤكده الشيخ الندوي الذي يتحدث عن أعراف أسرته وتقاليدها، ومن ذلك عندما تصاب بحادث حزين، أو تفجع القلوب بأمر طارئ، حينها تجتمع الأسرة في بيت من بيوتها، وتتشاغل لساعة أوساعتين بإنشاد منظومة الجهاد وغزوات الصحابة، وكانت هذه المنظومة أوالملحمة تشتمل على خمسة وعشرين ألف بيت تمتلئ بالقوة، والحماسة، والتدفق، وبهذه الطريقة التي تذكرهم بجهاد الصحابة والشهادة، ينسى الإنسان همومه وأحزانه في خضم آلام الصحابة والمجاهدين[٢]، وكان لمثل هذه المناسبات أثر كبير في تربية ذوق الطفل ووجدانه، وتأجيج عاطفته وشغفه للمثل العليا، والتعبير عن ذلك بأسلوب جميل ومؤثر.

ومن ذلك أيضاً تأثره بتدريس الشيخ خليل بن محمد الذي درسه العربية بطريقته الخاصة المؤثرة، حيث كان يختار إلى جانب الدروس بعض الكتب الأدبية ومجموعة من النظم والنثر للحفظ

---

[١] - في مسيرة الحياة (١-٤٤-٤٥)

[٢] - في مسيرة الحياة ٧-٣.

www.abulhasanalinadwi.org

والتسميع، مع إلزام طلابه التكلم بالعربية [١]، وكان لأستاذه هذا ميزة فريدة، وقدرة عجيبة في صبغ الطلاب بأفكاره وآرائه، (بحيث تتغلغل في أحشائهم، وتمتزج بلحومهم ودمائهم) وإنشاء الذوق الصحيح والملكة الصالحة في الفن الذي يتناوله، وتقريب الطلاب إلى مؤلف الكتاب ـ الذي يدرسون فيه ـ ذوقاً وملكة ومشرباً، لقد كان هو نادرة في هذا الأمر، لا يوجد مثله في الآلاف إلا الواحد بعد الواحد من الأساتذة البارعين وأصحاب النبوغ الماهرين، وهي ملكة موهوبة وليست مكتسبة".

"ولقد شاهدت في الشيخ ملكة عجيبة في التذوق الصحيح للعربية وآدابها ولغتها، ونقل هذا التذوق إلى الطلاب، لعلها يندر نظيرها في الأوساط العلمية والعربية، في البلاد العربية، فضلاً عن الهند التي كانت محرومة من قرون من الذوق الصحيح للعربية، وطريقة التدريس الصالحة".[٢]

وإلى جانب إشارته إلى تأثير أستاذه البارع ـ يرحمهما الله ـ في تعلم العربية وتذوقها يشير إلى أمر مهم، وهو تأثير المعلم ومسئوليته في تكوين شخصية الطالب، وزرع القيم والأفكار والسلوك الصحيح، ونبش المواهب والقدرات لدى الطالب ورعايتها، وإعطاؤه القدُرة الصحيحة، حتى يكون حافزاً له على السمو والارتقاء والتعلم، واستخدام جميع طاقاته المبدعة، ومهما تكن الوسائل التعليمية متقدمة، ومهما تغيرت المناهج والتقنيات يظل العنصر الأهم في عملية التربية والتعليم، هو

---

[١] ـ في مسيرة الحياة / ١ـ٧٨

[٢] ـ السابق : ١/٧٩.

www.abulhasanalinadwi.org

المعلم، وهذه الحقيقة تضع المسئولية على كاهل المؤسسات التربوية والتعليمية في ضرورة إعداد المعلم واختياره ليكون أهلاً لهذه المهنة، ومحباً لها، ومقدراً لمسئوليته نحو تلاميذه وطلابه، وقادراً على العطاء والتفاعل، لا أن يكون موظفاً رمت به الظروف في هذا العمل الشاق للحصول على المرتب، وبدأ يتقلب ويتحرق، ويعاني، حتى يترك آثار ذلك في نفوس طلابه وعقولهم وأخلاقهم.

ومنذ هذه السن المبكرة، بدأ اهتمام الشيخ بالعربية والأدب وتذوقه لما يقرأ وتطلعه إلى الكتابة الأدبية.

يتحدث الندوي وهو في سن العاشرة أو الحادية عشرة عن تأثره من كتاب اختاره واشتراه بجهد، ثم قرأه، وترك في نفسه إلى وفاته أثراً لا ينساه، ومما قاله في وصف هذا الأثر: "بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة رقيقة رفيقة، وبدأ قلبي يهتز له ويطرب:

كما اهتز تحت البارد الغصن الرطب

وهذا هو الفارق بين هزة الكتب التي ألفت في حياة الأبطال والفاتحين الكبار، وبين هزة الكتب التي ألفت في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فالأولى هزة تغير على القلب وتزعجه، والثانية هزة تنبعث من النفس وتريحها، وشعرت في أثناء قراءتي لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذة تختلف عن جميع اللذات التي عرفتها في صغري - ولم أزل مرهف الحس قوي الشعور - فلا هي لذة الطعام الشهي في الجوع، ولا هي لذة اللباس الجديد في يوم العيد، ولا هي لذة اللعب في حين الشوق

www.abulhasanalinadwi.org

إليه، ولا هي لذة العطلة، والفراغ بعد الدراسة المضنية والاشتغال المرهق، ولا هي لذة الانتصار والظفر في المباراة، ولا هي لذة صديق قديم أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذة من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها ولا أستطيع وصفها، وأعترف أني لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة وأعبر عنها بكلمة.

إن غاية ما أستطيع أن أقول: إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح؟ ولا يشعرون باللذة الروحية؟ بلى إن الأطفال أشف روحاً، وأصح شعوراً، وإن عجزوا عن التعبير..!![1]

وهذا النص إلى جانب دلالته على اهتمام الندوي منذ صغره بالمطالعة، واختياره للكتب المؤثرة المفيدة، وتأثره بما يكتب في السيرة النبوية، والتراجم التاريخية فهو يشير أيضاً إلى أمر ذي أهمية خاصة في معرفة الجانب الأدبي لأبي الحسن الندوي، لأنه يتحدث عن الأثر الذي تركه كتاب (رحمة للعالمين) للقاضي محمد سليمان المنصورفوري في نفسه وفكره، وعبر عن هذا الأثر بطريقة دقيقة وجميلة، تجعل القارئ يشاركه في فرحته ولذته بعد قراءة الكتاب ـ بل تدفع القارئ للتعرف على هذا الكتاب، وعلى طريقته التي جعلت الندوي، بعد رحلته الطويلة في عالم الدعوة والفكر والعلم والأدب يقول: "وقل ما كان لكتاب آخر من التأثير في قلبي وعقلي مثل ما كان لهذا الكتاب"، وعلل ذلك التأثير قائلاً: "فكان إخلاص المؤلف وإيمانه، وطرازه الخاص في الدعوة

---

[1] ـ شخصيات وكتب / ١٧٨ ـ ١٨٠ مطبعة ندوة العلماء في لكناؤ، وص ١٤٠ ـ ١٤١ طبعة دار القلم دمشق، وفي مسيرة الحياة: ٨١/١ ـ ٨٢.

www.abulhasanalinadwi.org

والتربية، وبساطة حوادث السيرة وجمالها، وتأثيرها الذي نفذ منه إلى جسمي وروحي تيار كهربائي، وأرى أن هذا الكتاب من الكتب التي لها منة جسيمة عليّ، وأنا دائم الترحم على المؤلف والدعاء له بالقبول عند الله تعالى، ورفع الدرجات"[1].

وهو بهذا يعطينا نموذجاً من تذوقه للأساليب، وفهمه للأفكار، وتحليله البارع الذي يكشف عن سر الكتابة الناجحة، والتأليف الناجح.

وكان حب الندوي للأدب - كما قلنا - وقدرته على التعبير بالعربية ميزة له منذ صغره، وهذا ما جعل كبار العلماء والأدباء المشتغلين بالعربية، أو الأدب عموماً يشجعونه ويثنون عليه، فمنذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وأثناء رحلته إلى لاهور - وكانت أكبر مركز ثقافي وأدبي وصحافي في شبه القارة الهندية آنذاك - التقى بالشاعر الشهير محمد إقبال، وقدم إليه بأنه ابن مؤلف كتاب" كل رعنا" الذي يترجم والده فيه لعدد من الشعراء في الأردية، وكذلك عرف لإقبال بأنه نقل بعض قصائده إلى العربية نثراً، وهو في هذه السن المبكرة، دلالة على تذوقه وفهمه للأدب، وقدرته على التعبير الأدبي الدقيق.

وكذلك قدم في هذه الرحلة إلى الدكتور (الشيخ محمد شفيع) الذي لقب بـ" نجم باكستان" لمكانته العلمية والأدبية، وأثره في كثير من العلماء والطلبة في الجامعات الهندية، وعندما اطلع الدكتور محمد شفيع على بعض مقالات الندوي التي نشرت

---

[1] - في مسيرة الحياة (١-٨٢).

www.abulhasanalinadwi.org

آنذاك، وهو في هذه السن المبكرة قال:

"رأيي فيه أن يتخذ العربية موضوعه، ويركز عليها، ويختص فيها، ولا بأس بأن يتعلم قدراً ضرورياً من الفارسية، لأنها تحمل ثروة ضخمة في المواد الإسلامية، إلا أن اشتغاله الرئيسي ينبغي أن يكون بالعربية، ويحاول فيها النبوغ وبلوغ الكمال[١].

وكذلك كان هناك تأثير واضح للشيخ الأستاذ تقي الدين الهلالي، الذي يصفه الشيخ أبو الحسن الندوي بقوله: "العلامة المحقق في اللغة العربية وآدابها، والمعلم الناجح الأستاذ تقي الدين الهلالي المراكشي.. وهو من أساتذة اللغة العربية وفضلائها المعدودين الذين يحتج برأيهم وحكمهم على صحة الكلمات وأصالتها"[٢].

واستفاد الشيخ الندوي منه، استفادة كبيرة، حيث قرأ عليه ديوان النابغة، وقيد فوائده ونكته التي تحدث عنها الشيخ الهلالي، كذلك رافقه في جولة ببعض مناطق الهند، حيث تم الاتفاق بين الأستاذ الهلالي والعلامة سليمان الندوي في هذه الجولة على إصدار مجلة"الضياء" التي استمرت ثلاث سنوات من عام ١٣٥١هـ في محرم الموافق لشهر آيار(مايو) عام ١٩٣٢م، وكانت البذرة التي أنبتت فيما بعد مجلة "البعث الإسلامي" التي لا تزال تصدر عن ندوة العلماء، وجريدة "الرائد".

وكان من ثمرة هذه الصحبة والتلمذة على يد الأستاذ

---

[١] -السابق: ١/ ٩٣.

[٢] -مسيرة الحياة: ١/ ٩٧.

www.abulhasanalinadwi.org

الهلالي أن بدأ الشيخ الندوي، وهو في السادسة عشرة من عمره، ينشر المقالات في العربية، حيث أرسل ترجمة للإمام أحمد بن عرفان الشهيد، مجدد القرن الثالث عشر- كما يقول الندوي - إلى مجلة المنار، فنشرت، ثم طبعت في كتيب صغير، وكان ذلك موضع ابتهاج وفرح للشاب الصغير الذي بدأ يصعد درجات المجد في هذه السن المبكرة.

ولم يعتمد الندوي على هذه الوسائط فحسب، في تعلم العربية، وتذوق الأدب العربي، بل درس ذلك دراسة نظامية في دار العلوم، واجتاز المراحل المختلفة في دراسة الأدب العربي، ثم بدأ يطالع الصحف العربية التي كانت تصل إلى أخيه مثل صحيفة "فتى العرب" الصادرة من دمشق، وصحيفة "الجامعة الإسلامية" الصادرة من فلسطين، وهي لسان حال الحاج أمين الحسيني يرحمه الله، ومجلة "المنار" و"الهلال" و"المقتطف" و"الزهراء" و"المجمع العلمي" و"العرفان" التي كانت تصدر في صيدا في لبنان، وغيرها.

كما كان يطالع مجلة "الفتح" التي يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب، وهي تنشر لعدد من الكتاب، وأهل الأقلام، وأصحاب الفكر الإسلامي، ثم بدأ الندوي ينشر بعض المقالات في هذه المجلة.

وأسهمت مجلة "الضياء" التي صدرت في الهند في صقل الذوق الأدبي للشيخ الندوي، وكانت - كما يقول - السبب الأول في سيلان القلم، وتفتق القريحة، واتساع الأفق، وصقل الذوق الأدبي والتمرين الكتابي وحركته إلى الأمام.

www.abulhasanalinadwi.org

ويضيف الندوي متحدثا عن أثر داخلي وفكري عميق لكتاباته الأدبية المؤثرة فيقول: "ولكن رغم ذلك - لم يكن القلم قد تعرف على الروح الدعوية، وكان ينقص الكتابة عنصر القوة والاندفاع..."[١].

هذه العوامل كلها وغيرها، إلى جانب مطالعاته الكثيرة المتعددة في الأوردية والعربية والإنجليزية، ومتابعته لما كان يصدر في الهند والبلاد العربية من كتب ومجلات وصحف، ومراسلته لبعضها، وكتاباته فيها، إلى جانب صلاته الواسعة بكثير من العلماء والأدباء والمفكرين في ذلك الوقت كان لهذا كله أثره في تكوين شخصيته، وتفتح مواهبه المختلفة، وبداية لعطاء ثر أصيل، في الدعوة، والتربية، والفكر، والعلم، والأدب، وكان يعرف أن الشهادات ليست إلا مفتاحا لآفاق الدراسة والمطالعة، ومن يكتفي بها يظل بعيدا وخارجا عن عالم الفكر، والأدب، والعلم، ومن استخدم هذا المفتاح للتدبر، والتأمل، والمطالعة، والإفادة من جهود المتقدمين والمعاصرين، واقتطاف ثمرات العلم من حديقته الغناء، فقد عرف الطريق "إن التخرج في المدارس والجامعات وسيلة لا غاية، وهو عبارة عن بدء السير والشروع في الرحلة الطويلة في مسار العلم الشاسع البعيد..."[٢].

وكان لهذا الإعداد الشامل لقدراته ومواهبه ثمرات مبكرة، وبدأت هذه الثمرات تظهر منذ الخامسة عشرة من عمره، وبعد أن عين مدرسا في عام ١٩٣٤م في أول شهر أغسطس (آب) في

---

[١] - السابق: ١-١٠٥.
[٢] - السابق: ١/١١١.

www.abulhasanalinadwi.org

دار العلوم بدأ يفكر أثناء تدريسه بالتطوير المناسب لمادة الأدب، والنظر في تاريخ الأدب العربي الذي اهتم به دراسة وتدريسا.

ولذلك كانت له جهود في إعداد منهج دراسي لمادة الأدب يجدد فيه طريقة التدريس لتصبح هذه المادة لغة حية نابضة، ووسيلة للدعوة الإسلامية.

جهود الشيخ في بعث الأدب الإسلامي من جديد

تحدث الشيخ عن كنوز في الأدب العربي يغفل عنها الكثيرون، أو يتجنبون النظر فيها لسبب أو لآخر، وهذه الكنوز تتمثل في الحديث النبوي الشريف، وكتب السير، والتراجم، والتاريخ، وغيرها من الكتب، وقد أعد كتابا يحوي مختارات من كتابات الكثيرين ممن لا يظن في الأوساط الأدبية التقليدية بأنهم من الأدباء والكتاب، أمثال الحسن البصري، وابن السماك، والمسعودي، والغزالي، وابن الجوزي، وأبي حيان التوحيدي، والبستي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن خلدون، وولي الله الدهلوي، وغيرهم، إلى جانب اختيارات من الحديث الشريف والسيرة النبوية [١].

وكان لهذه الاختيارات أثرها عند كثيرين، ممن يرون أن منحى الأدب العربي، والدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب، قد تأثر بالأفكار الغربية، وأصبح بعيدا عن واقع الحياة العربية الإسلامية وآدابها، وأنه يهدف إلى تغيير الذوق العربي ليبتعد عن فهم القرآن الكريم، وتذوق بيانه، والتأثر بأحكامه، وقد نجح

---

[١] -السابق: ١-١٤٣.

www.abulhasanalinadwi.org

أصحاب هذا المنهج نجاحاً كبيراً، ورسموا المناهج الدراسية بطريقة تخدم مبادئهم وتوجهاتهم في الابتعاد عن تحكيم شرع الله، ومحاربة الدين بطريقة غير مباشرة.

وكانت نظرة الشيخ في هذا الكتاب نظرة أصيلة وصائبة ومبكرة، وقد تحدث في مقدمة كتابه "مختارات من أدب العرب" عن فكرته هذه ومما قاله: " إن الأدب العربي قد أصيب بمحنة أصيب بها أدب كل أمة... وهي تسلط أصحاب الصناعة والتكلف على هذا الأدب، الذين يتخذونه حرفة وصناعة، ويحتكرونه احتكاراً... ويستمر ذلك ويستفحل حتى يصبح الأدب مقصوراً عليهم مختصاً بهم، ويأتي على الناس زمان لا يفهم من كلمة الأدب، إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع، وأدب تقليدي لا قوة فيه ولا روح، ولا جدة فيه ولا طرافة، ولا متعة فيه ولا لذة"[1]، ويطغى هذا الأدب الصناعي التقليدي على كل ما يؤثر عن هذه الأمة، وتحتوي عليه مكتبتها الغنية الزاخرة من أدب طبعي، وكلام مرسل، وتعبير بليغ يحرك النفوس، ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويبعث في

---

[1] -هذا الرأي يصدق على الأدب القديم والحديث، وعلى أصحاب المذاهب الجديدة الذين لايرون الأدب إلا من خلال ما يكتبون وينشرون، ويتهمون غيرهم بالعقم والجمود والخروج عن الأدب، ويحاولون فرض آرائهم ونظرياتهم بما لديهم، من وسائل الدعاية والإعلام والسيطرة، وأدوات الثقافة، وكل ذلك يصب في الجهود المبذولة في محاربة هذا الدين، والعربية، والأدب، والذوق، والأخلاق الأصيلة، وإشاعة ما لديهم من شذوذ وأفكار تقتل الحقيقة، والخلق، والرجولة، والإنسانية، والذوق.

www.abulhasanalinadwi.org

النفس الثقة، ولا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب والإنشاء، ولم يتخذوه حرفة ومكسباً، ولم يشتهروا بالصناعة الأدبية، ولم يكن لهذا الإنتاج الأدبي الرائع عنوان أدبي، ولم يكن في سياق أدبي، وإنما جاء في بحث ديني، أو كتاب علمي، أو موضوع فلسفي، أو اجتماعي، فبقي مغموراً مطموراً في الأدب الديني، أو الكتب العلمية... إن هذا الأدب الطبعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية، بل هو أكبر سناً وأسبق زمناً من الأدب الصناعي....."[١].

ويعطي - يرحمه الله - أمثلة من الحديث الشريف، والسيرة النبوية، وكتب أخرى في التراجم، والتاريخ، والمواعظ، والسير، والرحلات، وهي تمثل ثروة أدبية زاخرة، تكاد تكون ضائعة، مما جعله يقول: "إن مكتبة الأدب العربي في حاجة شديدة إلى استعراض جديد، وإلى دراسة جديدة، وإلى عرض جديد"[٢].

ولقي هذا الكتاب قبولاً جيداً، واختير كمقرر دراسي في كتب المدارس الشرعية في كلية الشريعة في سوريا، وفاز بالجائزة العربية من رئيس الجمهورية الهندية في جامعات عليكراه، وإله آباد، وحيدر آباد، ومدراس وغيرها.

وضمت هذه المختارات آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وخطباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصوصاً من السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، ونصوصاً لعدد من العلماء والدعاة

---

[١] - مختارات من أدب العرب (دار الشرق، ط ٣ ص: ٧-٨)
[٢] - السابق: ٧.

www.abulhasanalinadwi.org

كالحسن البصري، وللكتاب والأدباء وكتاب السير والمواعظ كابن المقفع، وابن السماك، والجاحظ، وابن عبد ربه، والمسعودي، وابن خيان البستي، والأصبهاني صاحب الأغاني، والخوارزمي، وأبي حيان التوحيدي، والغزالي، والقاضي بهاء الدين (ابن شداد) وابن الجوزي، وابن خلكان، وابن تيمية، وابن خلدون، وولي الله الدهلوي، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد عبده، والمنفلوطي، وشكيب أرسلان، وأحمد أمين، وطه حسين، والشيخ على الطنطاوي، وزياد بن أبيه، وطارق بن زياد، والحجاج، وعمر بن عبد العزيز، وعبد الحميد الكتاب، وأبو الربيع محمد ابن الليث، وابن العميد، والصاحب ابن عباد، وعبد القاهر الجرجاني، وبديع الزمان الهمذاني، والحريري، والقاضي الفاضل، وابن جبير الأندلسي، ومحمود بن محمد الجونفوري، ومصطفى صادق الرافعي، ومحمد كرد علي، وعباس محمود العقاد، والزيات، وسيد قطب.

إن هذه النصوص المختارة من الكتب المختلفة في شتى مشارب المعرفة والعلوم في القديم والحديث، فضلاً عمن عرف من الكتاب والأدباء في العصر الحديث تدل على سعة إطلاع الشيخ، وعلو همته في البحث والتنقيب، والفحص، والتذوق، والاختيار، وتدل على ثقافة موسوعية، وقدرة أدبية بالغة للتعرف على هذه الدرر، والموضوعات في آلاف الصفحات التي يصعب على كثير من الدارسين الصبر على قراءة واحد منها.

وإن من يقرأ هذه النصوص يدرك ـ أيضاً ـ هذه النظرة العميقة للندوي في معرفة صفات الأدب الحقيقي، والكشف عن

www.abulhasanalinadwi.org

الكنوز التي تحتاج إلى من يزيل عنها غطاء النسيان، وغبار السنين.

كما يدرك الشجاعة والثقة والحس النقدي الرفيع الذي جعله يخوض في هذا المعترك الأدبي، وسط العجيج لأصحاب المذاهب الحديثة، ومع المشاهير الذين حملوا آراء الآخرين، وراحوا يبشرون بها في دراسة الأدب العربي.

والندوي في مختاراته هذه يضع المسئولية - بعد أن يلفت النظر - على الأدباء الإسلاميين نحو العودة إلى كنوزهم التي يود الكثيرون نسيانها أو إهمالها، للتعرف على ما فيها من قيم فكرية، وخلقية، وجمالية، ولما تتميز به من صفات إبداعية وفنية تضاهي أجمل النصوص الأدبية الأخرى، كما يدعوهم للوقوف على ألوان من الفنون الأدبية، مثل الخطابة، وأدب التراجم، والتقديمات، والرحلات، والمواعظ، وغيرها من الألوان التي ارتبطت بحياة مجتمعاتنا، ومثلت صوراً حية ومؤثرة في تاريخنا وحضارتنا.

كما إنه في اختيار نصوص مختلفة من العربية في البلدان العربية وفي الهند وغيرها، ينبه إلى ضرورة التعرف على الأدب الإسلامي في جميع البيئات والمجتمعات، في شرق آسيا، وفي إفريقيا، وفي كل مكان عاش فيه مسلمون، وتركوا نصوصا أدبية، ويدعو للبحث عن ذخائر الأدب العربي الثمينة في التاريخ، والسير، والتراجم، وفي مؤلفات العلماء، والتعرف على القطع الأدبية الرائعة التي تتفوق في قوتها وحيويتها، وسلاستها وسلامتها، وفي بلاغتها، وجمال لغتها على دواوين

www.abulhasanalinadwi.org

أدبية، ومجاميع ورسائل أكب عليها الناس وافتتنوا بها [١].

إن ما قدم منها يؤكد اهتمام الشيخ الندوي بالأدب، وصدوره عن طبيعة أدبية ذواقة، وحس أدبي مرهف، وقدرة على اكتشاف النصوص الأدبية، والكشف عن مميزاتها الفريدة، وسبق في مجال الدعوة إلى بعث الأدب الإسلامي، ولفت الأنظار إلى أهميته في مجال الدعوة والمجتمع.

كما يؤكد على إعطاء نماذج أدبية من الأدب الإسلامي في عصوره المختلفة، وإعطاء المفهوم الصحيح لهذا الأدب من خلال هذه الاختيارات، وهو أمر كبير الأهمية، وله التأثير والدلالة أكثر بكثير من الحديث عن هذا الأدب أو وضع نظريات له، واختراع مصطلحات، وكأنه أدب مولد حديث ليس له صلة بالماضي، ومسيرة الآداب الإسلامية في العربية والفارسية والأردية وغيرها.

هذا العمل الذي كان سباقا ومبكرا في هذا العصر، أرفده بعدد من المؤلفات الأدبية الأخرى التي سنشير إليها - إن شاء الله - كما سار على دربه وبطريقة منهجية، وموضوعية الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - يرحمه الله - الذي أدخل في الجامعة منهج الأدب الإسلامي، وأصدر بإشرافه وجهده، وعمل طلابه ستة مجلدات تحتوي على مختارات من كتب التراث الشعري والنثري، منها أربعة تضم شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين [٢]، وشعر الدعوة في العصر الأموي [١]، وشعر الدعوة

---

[١] - مقدمة المختارات، وانظر (نظرات في الأدب) ص ٣٠.

[٢] - جمع هذه الأشعار عبد الله الحامد.

www.abulhasanalinadwi.org

في العصر العباسي الأول [٢]، وشعر الدعوة في العصر العباسي الثاني [٣]، أما المجلدان الخامس والسادس فيضمان القصص الإسلامي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين [٤].

هذا العمل الكبير الذي صنعه الدكتور الباشا وضع أساساً علمياً مدروساً، وموضوعياً للدارسين والباحثين للعودة إلى أدبنا، والكشف عن كنوزه، وعرض موضوعاته من خلال التصور الإسلامي، وجعل هذه المجلدات نماذج تطبيقية في غرضين إثنين من الأغراض الأدبية، أولهما غرض الدعوة من الشعر، وثانيهما القصة من النثر [٥].

تربية الناشئة على حب العربية وتذوق الأدب

ومضى الشيخ الندوي، بهذا التصور الواضح عن الأدب العربي والإسلامي، يكتب ويحاضر، ويؤلف، بل أراد أن يضع

---

[١] -جمع هذه الأشعار عبد العزيز بن محمد الزير، ومحمد بن عبد الله الأطرم.

[٢] -جمع هذه الأشعار عبد الله بن عبد الرحمن الجعيثن.

[٣] -جمع هذه الأشعار عائض الردادي.

[٤] -جمع هذه القصص أحمد بن الحافظ الحكمي، وأصبح أكثر هؤلاء الطلبة فيما بعد أساتذة في الجامعة.

[٥] -وهذا يدعونا لإعادة الكتابة في تاريخ الأدب على ضوء الحقائق الثابتة، والتصور الإسلامي الذي أسس تلك الحضارة الممتدة على مدى خمسة عشر قرناً، وتنقية هذا الأدب من آثار الدراسات والتقسيمات التي انبثقت من عقائد الغربيين وفلسفاتهم ونظرتهم إلى الإسلام، التي أصبحت الصورة التي يدرسها أبناء المسلمين في مدارسهم، وجامعاتهم، أنظر كتابي "في الأدب الإسلامي المعاصر" ط مؤسسة الرسالة ص٤٤.

www.abulhasanalinadwi.org

للطلاب في مراحلهم المختلفة أسساً صحيحة، يسترشدون بها على هذا الأدب، ويتربون على فهمها، وتذوق جمالها، وكان من أهم ما صنعه في هذا السبيل تأليف كتب" القراءة الراشدة"[١] لطلاب المرحلة الابتدائية، تحوي موضوعات متعددة ومتنوعة تلائم عقول الناشئة وأذواقهم، وحرص على أن تكون لغة هذه الكتب لغة أدبية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة، وأن تحتوي في استعمالاتها على كثير من الكلمات المستحدثة ذات الأصول العربية والاشتقاقات الصحيحة، مع تنوع الموضوعات لتساعد الطلاب على تذوق هذا الأدب، والتعرف على مآثر الإسلام وتاريخه، ورجالاته، وبلدانه، وجاءت هذه الكتب صورة تطبيقية أخرى لما كان يؤمن به، ويرمي إليه الشيخ الندوي في دراسة اللغة العربية التي يصفها بأنها لغة الإسلام، وتربية المسلمين منذ طفولتهم على فهمها، وتذوق آدابها، والتمسك بدينها، والتمثل بقيمها.

وجاءت هذه الكتب متنوعة الموضوعات، شيقة الأسلوب، سهلة العبارة، جميلة الصور، ذات معان ومرام مفيدة، تعطي الطلاب خبرات ومهارات متعددة، واستعمل فيها شتى الأساليب الأدبية من الحديث المباشر إلى القصة، إلى طريقة الحوار، إلى الرمز.[٢] ..... إلخ.

---

[١] -وهي ثلاثة أجزاء.

[٢] -من المستحسن طباعة هذه الكتب ونشرها بأسلوب جيد، لأنها تصلح لطلاب المرحلة الابتدائية، وهي أفضل بكثير مما يقرر في مدارس هذه المرحلة في البلدان العربية والإسلامية، وربما كانت تحتاج إلى وضع

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك ألف الأستاذ الندوي في هذا السبيل مجموعة من القصص للأطفال، وكان باعثه على ذلك خلو المكتبة الإسلامية الحديثة من كتب مناسبة للأطفال، ولم يكن بين يدي هؤلاء الأطفال" إلا حكايات السنانير والكلاب والأسد والذئاب والقردة والدباب" [١]

ولذلك أراد الشيخ الندوي أن يكتب لهم، وبلغة القرآن الكريم، والرسول العربي، ولغة الدين قصصاً عن الأنبياء والمرسلين، عليهم صلاة الله وسلامه، بأسلوب سهل يوافق أعمارهم، وأذواقهم، ويهدف إلى إفادتهم، وتربيتهم، وزيادة ثروتهم اللغوية، وإمتاعهم، وتنمية مواهبهم، وتعميق إحساسهم بالإيجابيات، ولذلك لجأ إلى سهولة الألفاظ، وإلى كتابة القصص بأسلوب ممتع شائق، وواضح وسهل، وخفيف وجميل، وصادق ومفيد[٢]، وصدرت هذه القصص في خمسة أجزاء، ثم كتب الجزء السادس عن سيرة خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

وأتبع هذه القصص بجزء يتحدث فيه عن العبر والفوائد في القصص السابقة، وفيه يتحدث للأطفال بأسلوب مناسب حديث الأب والأستاذ والصديق، ويناقشهم فيه بما قرؤوا في القصص السابقة، ويفتح أبصارهم وعقولهم على كثير من الأمور التي ينبغي الوقوف عندها، وبذلك يدفعهم للمناقشة،

التدريبات المناسبة بعد كل نص منها.

[١]-مقدمة كتاب قصص النبيين للأطفال الجزء الأول.

[٢]-المقدمة السابقة.

www.abulhasanalinadwi.org

والتحليل والمشاركة في فهم أهداف كل قصة فضلا عن التمتع بحوادثها.

كما كتب ـ رحمه الله ـ قصصا أخرى من التاريخ الإسلامي، وضع لها عناوين لافتة للأنظار، ومحرضة على معرفة القصة" المضيف الجائع، من دون أحد، كلمة قتيل كانت سببا لإسلام القاتل، رسالة إلى رسول الله . . . إلخ"[١] .

وإن من يقرأ هذه الكتب التي ألفها في مجال أدب الأطفال، يدرك أي موهبة أدبية كان يتمتع بها الشيخ أبو الحسن، وأي قدرة على استخدام الأساليب المختلفة للصغار، والكبار، ولطلبة العلم والعلماء، والأدباء، والنقاد، وبما يتناسب مع كل شريحة من هذه الشرائح.

ويدرك ـ أيضا ـ ذلك الهدف التربوي المتحقق من مثل هذه القصص، فضلا عن الإسهام في ترسيخ صورة لأدب الأطفال وفق التصور الإسلامي، وتحرير هذا اللون الأدبي من هيمنة المدرسة الغربية، وإعطاء نماذج من هذا الأدب تسهم في ترسيخ أسس فنية وتربوية لأدب الأطفال .

كما وإن اهتمامه بهذا اللون من الأدب، مع مشاغله الكثيرة، واهتماماته المتنوعة يلفت النظر إلى أهمية الكتابة للأطفال، ومسئولية الأدباء والمفكرين نحو الأجيال القادمة، وتأثير الأدب والكلمة بشكل عام في تنشئة الأطفال وتربيتهم، وتشكيل شخصياتهم وفق التصور الإسلامي، والفطرة السليمة،

---

[١] -قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، مؤسسة الرسالة .

www.abulhasanalinadwi.org

ويرسخ في أعماقهم حقائق الإيمان والنفور من الشرك والكفر، والمعاصي، ويرسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء وجلالة مكانهم.

www.abulhasanalinadwi.org

جهوده في رعاية الأدب الإسلامي، وجمع أدبائه

يذكر الشيخ الندوي في كتابه "مسيرة الحياة" أن ندوة العلماء عقدت ندوة عالمية للأدب الإسلامي [١]، وكان موضوعها: " البحث في الأدب العربي وآداب اللغات الأخرى عن العناصر الإسلامية". ونجحت هذه الدعوة نجاحا كبيرا، ولبى دعوة ندوة العلماء الكثيرون من الأدباء والعلماء، ورؤساء الأقسام الأدبية في عدد من الجامعات العربية والهندية، وبلغ عدد المندوبين أكثر من مائتين، منهم خمسون من البلاد العربية، وقدمت في هذه الندوة عدة بحوث حول الأدب الإسلامي، وبعثه ومسيرته وخصائصه، إضافة للكلمات التي ألقاها عدد من الأدباء والعلماء.

وكان انعقاد هذه الندوة مهما، لأنه أول تجمع أدبي

---

[١] -كان ذلك ما بين ١١-١٣ جمادى الآخرة من عام ١٤٠١هـ الموافق ١٧-١٩ نيسان أبريل من عام ١٩٨١م(في مسيرة الحياة ١/٤٠٧) ومجلة "البعث الإسلامي" في العددين الأول والثاني (عدد ممتاز) في رمضان - شوال ١٤٠١هـ المجلد السادس والعشرين الموافق حزيران وآب (يوليو وأغسطس) من عام ١٩٨١م.

www.abulhasanalinadwi.org

إسلامي، تبحث فيه قضية الأدب الإسلامي، ويلتقي فيها العربي والهندي، والفارسي، وغيرهم من أبناء الشعوب الإسلامية ليتحدثوا عن موضوع الأدب الإسلامي.

كما كان لهذه الندوة دلالتها، وهي تعقد في الهند التي ظلت وفية للغة العربية، لغة كتاب الله، وجعلت مدارس الهند وجامعاتها الإسلامية هذه اللغة من مقرراتها الأساسية، وكانت اللغة العربية هي لغة الحديث والخطابة، وكثير من المحاضرات في هذه الندوة.

وللندوة دلالة أخرى مهمة، وهي التي أشار إليها الشيخ الندوي في كلمة الافتتاح، وهي صلة الأدب بالدين، وصلة الأدب بالدعوة، وبالتالي الاهتمام بالأدب ليكون الوسيلة المؤثرة، والأسلوب الطيب في حمل الدعوة، والتبشير بالدين الإسلامي، وإصلاح المجتمعات، ورعاية المواهب، وتربية الأذواق، والأخلاق.

وفي الكلمة الافتتاحية هذه، تحدث الشيخ الندوي عن جهود الأدباء والعلماء الهنود في خدمة اللغة العربية وآدابها، ونفض قيود التقليد، والتبعية عنها، وأشار إلى صلة العقيدة والدين التي جعلت القارة الهندية وثيقة الصلة بالعربية والأدب العربي.

وكانت نظرات الشيخ الثاقبة في الدعوة لعقد هذه الندوة التي بعثت الهمم في نفوس الأدباء الإسلاميين، وجعلت الكثيرين - ولا سيما في البلاد العربية - يسعون إلى إيجاد كيان أدبي إسلامي، ويجددون الدعوة للاهتمام بهذا الأدب، والبحث في

www.abulhasanalinadwi.org

سماته وخصائصه، وبعث كنوزه وفنونه.

وليس غريباً، ولا مصادفة، أن يختار الشيخ، وهو راعي هذه الندوة ورئيسها، الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا مقرراً عاماً للندوة، الذي كان يسعى ويدعو للأدب الإسلامي، ولاسيما في مجال العمل الجامعي[١].

وبذل الدكتور الباشا جهوداً كبيرة في تنظيم هذه الندوة، والوصول إلى التوصيات المناسبة، كما ناب عن الشيخ الندوي في رئاسة الكثير من الجلسات.

وقدمت في الندوة بحوث عديدة، باللغة العربية، وأخرى باللغة الأردية، وبعضها بالإنجليزية، ومن البحوث المتميزة المتعلقة بموضوعنا - بحث للدكتور الباشا بعنوان" نحو أدب إسلامي معاصر".

وبحوث أخرى حول خصائص هذا الأدب، وتعريفه، ونماذج منه.

---

[١] - كان للدكتور الباشا جهود كبيرة ومؤثرة وعلمية في بعث الأدب الإسلامي، وتوضيح مميزاته، بل كان أول أستاذ جامعي يدخل دراسة الأدب الإسلامي في منهج الدراسات الجامعية، وجعل منه مادة متخصصة، بل رعى كثيراً من الطلاب والدارسين الذين نالوا درجتي الماجستير والدكتوراه في موضوعات الأدب الإسلامي، وكانت هذه الجهود في الوقت الذي كان فيه كثير من الذين تصدروا فيما بعد - في المنتديات والمؤتمرات الأدبية، وحملوا الألقاب الإدارية في مجال الأدب الإسلامي، ورابطة الأدب الإسلامي، كان هؤلاء غارقين في اهتماماتهم الخاصة، ودراساتهم التقليدية، وربما كان بعضهم ممن يعارض إدخال مادة الأدب الإسلامي في قسم الأدب، مما دفع بالدكتور الباشا، لإدخال هذه المادة باسم منهج الأدب الإسلامي في قسم البلاغة.

www.abulhasanalinadwi.org

وخرجت الندوة بتوصيات عديدة منها:

- دعوة الباحثين إلى إبراز مفهوم الأدب الإسلامي، والكتابة في تاريخ الأدب العربي وفقاً للنظرة الإسلامية الصحيحة.

- إنشاء أمانة دائمة لندوة الأدب الإسلامي، ومقرها في ندوة العلماء في لكناؤ بالهند.

- تنسيق جهود الأدباء الإسلاميين.

- بذل الجهود لإخراج دليل لمكتبة الأدب الإسلامي، وإبراز المفهوم الإسلامي للنقد.

- الدعوة للاهتمام بالأدب الإسلامي المعاصر

- دعوة الجامعات في البلاد الإسلامية وغيرها إلى أن تشتمل خطط الدراسة بها على مقررات في الأدب الإسلامي، وإنشاء مراكز متخصصة للأدب الإسلامي، وتدريس آداب الشعوب الإسلامية.

- دعوة الأدباء الإسلاميين إلى توثيق الأواصر فيما بينهم وتنسيق جهودهم، ومن خير ما يحقق ذلك إقامة رابطة عالمية لهم ...

وهكذا كان لهذه الندوة أثر كبير في بعث فكرة الأدب الإسلامي من جديد وإبرازها إلى حيز التطبيق الواقعي، وكان لمبادرة الشيخ الندوي في عقد هذه الندوة، ودعوة الأدباء والشعراء والعلماء والدعاة إليها أهمية كبيرة في تحقيق خطوة إيجابية مهمة في مسيرة الأدب الإسلامي حيث برزت في هذه الندوة أيضاً جهود الدكتور عبد الرحمن الباشا، الذي كان يعد

www.abulhasanalinadwi.org

موضوع الأدب الإسلامي - رسالة علمية وأدبية وتربوية ودعوية له، ويجاهد بكل طاقاته وجهوده لإبرازها وتحقيقها في أبحاث وموضوعات ونصوص شعرية ونثرية، خلال تدريسه في الجامعة التي كان يعمل فيها، وخلال نشاطاته الكثيرة.

وجاءت هذه الندوة فرصة ذهبية له لكي ينقل فكرة الأدب الإسلامي من جامعته إلى الجامعات الأخرى من خلال المحاورات والمناقشات التي تجري بين المشتركين من أساتذة الجامعات ورؤساء الأقسام، وبرز جهده الكبير في الندوة في العديد من التوصيات التي حرص على صياغتها وإدراجها في البيان الختامي للندوة - ولا سيما ما يتعلق بدعوة الباحثين لإبراز مفهوم الأدب الإسلامي، والاهتمام به، ودعوة الجامعات لوضع مادة الأدب الإسلامي في خططها ومناهجها، وكذلك دعوة الأدباء لإنشاء رابطة عالمية لهم توثق أواصر التعاون بينهم.

ولقد أشار الشيخ الندوي إلى هذا عند الحديث عن تأسيس رابطة الأدب الإسلامي فقال: " لقد كان الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - يرحمه الله - هو الداعي الأول لإنشاء هذه الرابطة . . . " وأشار إلى جهوده في نشر البحوث والنصوص الأدبية في الجامعة"[١].

وفي هذه السنوات نشط عدد من الأدباء، والعاملين في هذا المجال لإبراز الأدب الإسلامي، والدعوة إلى إنشاء تجمع للأدباء الإسلاميين، يوحد جهودهم، ويفتح لهم آفاقاً في الإبداع

---

[١] - في مسيرة الحياة: ٢/١٩.

www.abulhasanalinadwi.org

والنقد، والتبشير بفكرة الأدب الإسلامي[١].

وكان الدكتور الباشا - يرحمه الله - على رأس هؤلاء الداعين للرابطة، لا سيما وإنه ضمن هذا الهدف في توصيات ندوة الأدب الإسلامي.

واستمر البحث في وضع نظام للرابطة، ومراسلة الأدباء الإسلاميين، حتى اهتدت اللجنة التحضيرية إلى اختيار الشيخ الداعية أبي الحسن الندوي رئيسا للرابطة، وتمت مراسلته فوافق على ذلك، ثم جرى الاجتماع معه في مكة المكرمة في ٩ أيار (مايو) من عام ١٩٨٤م الموافق ١٣٩٤هـ حيث تقرر إقامة الرابطة برئاسته، والدعوة إلى الاجتماع التأسيسي للرابطة في ٧-٨ كانون الثاني ١٩٨٦م، بدار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ، وهناك تم إقرار النظام الأساسي، واختيار الشيخ الندوي رئيسا للرابطة مدى الحياة - استثناء من بنود النظام كما تم اختيار مجلس للأمناء مكون

---

[١] - لقد كان لي جهد في هذا المجال، حيث دأبت منذ كنت في سوريا على الدعوة للأدب الإسلامي، والكتابة عن أدبائه، وعرض الآراء والأفكار عنه، ثم أتيح لي وأنا في الرياض أن أنشر كتابي الأول "في الأدب الإسلامي المعاصر" وفيه موضوعات ودراسات عن الأدب الإسلامي، وكذلك "ديوان هاشم الرفاعي" والتقيت ببعض العاملين في هذا المجال من خلال العلاقات والصداقات والنشاطات الإسلامية الدعوية، فاتفقنا على العمل لتحقيق هذا الهدف، وبدأنا نلتقي لوضع الإطار القانوني لهذه الرابطة، وأسمينا هذه اللجنة (التحضيرية) واتصلنا بعدد من الأدباء وطرحنا عليهم الفكرة، فجاءت الردود مشجعة، مما دفعنا للإعلان عن إنشاء رابطة الأدب الإسلامي، وتداولنا فيمن نختاره لرئاسة الرابطة، فأشار علينا أحد الأساتذة الدعاة الفضلاء باختيار الشيخ الندوي، وكان هذا الاختيار موفقا، وجرى اللقاء مع سماحته فوافق على ذلك.

www.abulhasanalinadwi.org

من خمسة عشر عضوا - نصفهم من البلاد العربية، وكذلك تم اختيار مكتبين لإدارة أعمال الرابطة أحدهما للبلاد العربية برئاسة الدكتور عبد الرحمن الباشا، والثاني في الهند برئاسة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، وتمثل في هذا الاجتماع التأسيسي وحدة العالم الإسلامي، حيث حضر الاجتماع أدباء من سوريا، والسعودية، وفلسطين، والأردن، والمغرب، والحبشة، والهند، وبنغلاديش واليمن...[١].

وكان اختيار الشيخ الندوي يرمز إلى هذه الوحدة التي تجمع العربي والفارسي، والهندي والإفريقي، بلا تمييز، وأشار إلى ذلك رئيس الرابطة حينما قال في كلمته: "إنه لا عجب أن يعقد مؤتمر للمنظمة الآسيوية، أو مؤتمر للبلدان المحايدة في الهند، إن العجب كل العجب أن تؤسس منظمة عالمية للأدب الإسلامي، يشترك فيها كبار الأساتذة العرب المتخصصين في الجامعات الأدبية، ويعقد مؤتمرها الأول في الهند، ويقام مكتبها الرئيسي فيها، إنه فضل من الله تعالى، وثمرة من ثمار الإخلاص وحسن النية، والجهود الطيبة التي بذلها مؤسسو هذه الدار[٢].

لقد أثمرت جهود الشيخ الندوي - رحمه الله - والتقت مع جهود كثير من الدعاة إلى الأدب الإسلامي في إنشاء الرابطة،

---

[١] - لقد كان لي شرف العمل على تأسيس الرابطة، ثم القيام بمهمة أمانة السر والمسئولية المالية، وظل عمل مكتب الرابطة للبلاد العربية في منزلي مدة تقرب من خمس سنوات، بذلت فيها من الجهود ما جعل الرابطة تعرف، ويصبح لها شهور وحضور.

[٢] - مسيرة الحياة: ١٦١/٢

www.abulhasanalinadwi.org

وكان لوجوده على رأس الرابطة بما يتمتع بـه مـن مكانـة رفيعـة في العالم الإسلامي، وبما يتميز بـه مـن الخلـق والتواضـع، والصـدق والعفـة، والبعـد عـن المظـاهر الدنيويـة، وسـعة الأفـق، وسمـو النفس، وكثرة الإطلاع، والاعتدال، والدأب في العمـل الجـاد للدعـوة إلى الله بالحكمـة والموعظـة الحسنة، وكـثرة علاقاتـه مـع العلمـاء والوجـهاء، ومكانتـه العلميـة، والعمليـة عنـد النـاس والمسئولين في أكثر البلـدان الإسـلامية، كـان لهـذا كلـه أثـره علـى مسيرة الرابطة، والتعريـف بـها، وقبـول الأدب الإسـلامي، ممـا جعـل الرابطـة تعقـد العديـد مـن المؤتمـرات والنـدوات الأدبيـة في المدينـة المنـورة واسـتانبول، ومـدن الهنـد، ومصـر، والأردن، والمغرب. . . وكان لشخصه الأثر الكبير في نجاح هذه الدعوة الخيرة لبعث الأدب الإسلامي، أدب الإنسانية المكرمة، والحياة النظيفة الطيبة.

فضـلا عمـا سبق، فـإن اختيـار الشـيخ النـدوي لرئاسـة الرابطة أعطى صفـة العالميـة معنـاه العملـي، فكـان مجلـس الأمنـاء الـذي يرأسـه سماحتـه يضـم الهنـدي، والباكستاني، والبنغـالي، إضافة إلى أعضاء من البلدان العربية.

www.abulhasanalinadwi.org

إسهامات في الأدب والدراسات الأدبية

كان الشيخ الندوي ـ كما أسلفنا ـ محباً للأدب، ذواقاً للكلمة، بل كان يعد الأدب سلاحاً من أسلحة الدعوة، وأسلوباً مؤثراً في النفس البشرية، ولولا ذلك لما كان كتاب الله عز وجل ـ الكتاب المعجز، بأسلوبه وحقائقه، ولما كانت أول آية تتنزل تأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة، هذه القراءة التي فتحت أمام النفس البشرية آفاق الحقائق الثابتة، ووضعت لكل الناس معالم المنهج السوي للحياة البشرية المستهدية بهدي الخالق العليم ـ سبحانه ـ والقائمة بمهمة الاستخلاف، والمحققة لكل أنواع النجاح الدنيوي والفوز يوم الدين.

كان الشيخ محباً للغة العربية وآدابها، ومحباً للأدب ـ بعامة ـ ومارس الكتابة والخطابة والمحاضرة بأسلوب بليغ حاز فيه التقدير والإعجاب.

لم يكن الشيخ الندوي متفرغاً للأدب، ولكن حبه للأدب، وأصالته في استخدام أساليبه، وقدرته على التعبير الدقيق الجميل، والإتيان بالصور الرائعة، وعرض الحقائق بأسلوب سهل ممتع بسيط، كل ذلك كان واضحاً في كتاباته ومؤلفاته وخطبه ومحاضراته، وأشهد أني سمعت منه في مناسبات عدة، في الهند، والمدينة المنورة، واستانبول، خطباً مرتجلة أتى فيها بأعمق

www.abulhasanalinadwi.org

المعاني وأشملها، وبأسلوب قوي مؤثر، يخترق حجب النفس ومغاليق القلوب، حتى يشعر السامع بأن هذه الكلمات والعبارات تهجم على عقله وحسه ومشاعره من كل مكان، وتخترق كينونته بقوة وسحر، وتفعل في داخله شتى المؤثرات، وتستدر منه الدموع، أو تشعل في قلبه الحماس، والاعتزاز، أو تجعله يتصاغر أمام الحقائق، أو ينهض قوياً كالمارد، ولقد عبرت عن هذه الحقائق في قصة (الشيخ والزعيم)[1] التي تصور بعض هذا التأثير.

نعم، لم يكن الشيخ متفرغاً للأدب، ولكن الأدب كان إهابه، وخطابه، وأسلوبه، ومشاعره، وتجلى ذلك في أكثر ما ترك من كتب ودراسات، ونكتفي هنا ببعض الأمثلة:

ترك الشيخ الندوي عدداً من المؤلفات التي تشهد له بالقدرة على تذوق الأدب، وتقويمه، وعلى الإبداع والكتابة الأدبية في شتى فنون الأدب، بل دلت بعض دراساته على إلمام كبير بالآداب المختلفة: الأدب العربي، والأدب الهندي، (بالأوردية) والأدب الفارسي، والآداب الغربية.

ففي كتابه "نظرات في الأدب" يلقي نظرة شاملة إلى التراث الأدبي العربي، ويستخلص بعض الحقائق والظواهر التي هيمنت على هذا التراث، ومن ذلك تسلط أصحاب التصنع والتكلف على الأدب، وشيوع الأدب الصناعي التقليدي، وابتعاد الدارسين عن النصوص الأدبية التي تخرج على هذا المنهج

---

[1] - نشرت في مجموعة سميتها بهذا الاسم.

www.abulhasanalinadwi.org

التقليدي، ونبذهم لفنون أدبية بقصد وبغير قصد، وضرب على ذلك أمثلة من كتب الحديث والسيرة، وحلل بعض الأمثلة تحليلاً أدبياً رائعاً، يدل على تذوق عميق، وفهم دقيق، وقدرة على فهم الصور والربط بينها وبين الحقائق الكبرى للكون، والنفس، والمجتمع[١].

وكذلك تحدث عن أدب التراجم والتقديمات، وما تحويها من دقة في التعبير، وقصد في التعبير، وقدرة فائقة للمؤلفين المشهورين على تصوير الشخصية وتقديمها بأدق تفاصيلها، وأهم جوانبها بصورة مختصرة[٢].

ومما وصف به هذا النوع من الأدب ما يقوله عن الكلمة:

"للكلمات درجة حرارة وبرودة، فلا توضع كلمة ذات حرارة متصاعدة مكان كلمة ذات حرارة منخفضة، فضلاً عن أن توضع كلمة ذات حرارة مكان كلمة برودة، ولا يسخو - أي الكاتب - بكلمة تعطي صورة هائلة من العظمة والكمال، أو النبوغ والذكاء، أو الخلق الحسن والسيرة العالية، أو العلم الغزير والذكاء الألمعي لشخصية لا تستحق إلا كلمات فيها التوسط والاقتصاد، ثم يضعه في طبقة، ويحدد اختصاصه وتميزه في فن من الفنون، أو موضوع من الموضوعات . ."[٣]، ويضرب على ذلك أمثلة من كتب التراجم.

---

[١] - نظرات في الأدب، الصفحات ٢٤-٢٥-٢٦-٢٧ وفصل (قيمة الأدعية النبوية المأثورة الأدبية والبلاغية، ص: ٣٦ وما بعدها.

[٢] - السابق: ٥٦ وما بعدها.

[٣] - السابق: ٥٧-٥٨.

www.abulhasanalinadwi.org

كما يتحدث عن أدب الرحلات ومميزاتها، وأساليب الكتاب، ومميزات هذا النوع من الأدب.

لقد دلت هذه النظرات على اطلاع الشيخ الواسع على هذه الكتب، وقدرته على استخلاص القواعد الكلية من خلال النماذج المختلفة.

كما تحدث الشيخ عن المدرسة الأدبية الهندية في اللغتين العربية والأوردية، واستعرض في موضوعه هذا تطور الأدب الإسلامي الهندي، وأعطى العديد من الأمثلة والنماذج، وعرض كثيراً من الآراء والأحكام لأدباء الهند خلال قرون، ولم يكن باستطاعة الشيخ أن يتحدث عن تطور الأدب الهندي لولا اطلاعه الواسع على ما كتبه الأدباء من شعر ونثر في قارة الهند، مبيناً كيفية نشوء هذا الأدب ومميزاته التي جمعت هذا العقد الكبير من الأدباء.

وإذا كانت الموضوعات السابقة بالنظرة الشاملة التي تتجاوز الفروق العديدة، والبيئات المختلفة، والفنون الأدبية المتعددة، فإن الشيخ ترك لنا دراسات عميقة تدل على علو شأنه في تذوق الأدب وفهمه، ومعرفة بيئات الأدباء، والتأثيرات المختلفة في أدبهم، واستخلاص أهم المزايا والصفات التي تميزت بها نصوصهم.

وتجلى ذلك في دراسات أدبية منها ما كتبه أو تحدث به عن شعر جلال الدين الرومي، ولا سيما عن عاطفة الحب التي تميز بها شعره، وعن النزعة الإنسانية واحترام الإنسان وتكريمه، ويستشهد بالكثير من النصوص التي ترجمها نثراً بعبارات تقطر

www.abulhasanalinadwi.org

جمالاً ووضوحاً وبساطة، يقول عن الحب: "إن الحب يحول المر حلواً، والتراب تبراً، والكدر صفاء، والألم شفاء، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة، ويسود العبد".

إن هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأجواء، ويصل من السمك إلى السماك، ومن الثرى إلى الثريا"[١].

وكذلك يفرد دراسة مفصلة في كتاب طبع عدة طبعات عن الشاعر محمد إقبال، وأسماه" روائع إقبال" وبرغم إعجاب الكاتب بالشاعر منذ شبابه، واتصاله به، وسماع أحاديثه، إلا أن ذلك لم يدفعه إلى تجاوز الحقيقة، والغلو في الحب والإعجاب، وغض الطرف عن بعض الضعف والقصور، بل يوضح أن حبه وإعجابه بالشاعر هو" حب الطموح والإيمان" وإعجابه به وشغله بدراسة شعره، لهذا الأمر، ولأنه "شاعر له عقيدة ودعوة ورسالة، وكأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية، وأعظم ناقد لها وحاقد عليها، وكداعية إلى المجد الإسلامي، وسيادة المسلم، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية، والجامعة الإسلامية"[٢].

وكما أنه تحدث عن أهم مميزاته فلقد أوضح أن هذا الإعجاب لا يتعدى ما يستخلصه حقيقة من سيرته وشعره، وأنه

---

[١] – نظرات في الأدب : ٩٢.

[٢] –روائع إقبال ١٠–١١ طبعة دار القلم بالكويت، وانظر كتاب" نظرات في الأدب" ٨١–٨٢ و ص ١٠٦ وما بعدها.

www.abulhasanalinadwi.org

لا يتجاوز ذلك فقال: " فإني لا أعتقد في إقبال عصمة ولا قدساً، ولا إمامة ولا اجتهاداً في الدين، ولا أبالغ في إجلاله والاستشهاد بأقواله كما يبالغ كثير من الكتاب المعاصرين، والمؤلفين المتطرفين، ويرى أن عدداً من الشعراء الهنود يفوقونه، ولخص رأيه فيه بقوله: " إنه لا يزيد على أن يكون تلميذاً من تلاميذ الثقافة الإسلامية النجباء الأذكياء، درسها دراسة مخلصة، وكان لا يزال في حاجة إلى التعمق والرسوخ فيها، والاستفادة من معاصريه الكبار، وكانت في شخصيته الكبيرة النادرة جوانب ضعف لا تتفق مع عظمته العلمية، وعظمة رسالته وشعره، لم يجد وقتاً كافياً وجواً لإكمالها وتسديدها، إن جل ما أعتقد أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق في هذا العصر، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء، وإني أعتقد أنه كان صاحب فكرة واضحة، وعقيدة راسخة عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها، وعن خلود هذه الأمة وصلاحيتها للبقاء والازدهار، وعن كرامة المسلم، وأنه خلق ليقود ويسود، وعن تهافت المبادئ والفلسفات والدعوات التي ظهرت في هذا العصر، كالقومية، والوطنية، والشيوعية، والرأسمالية، ووجدت فيه من وضوح الفكرة، وشدة الاقتناع بها، والتحمس لها، والشجاعة في نشرها، وفي نقد هذه الفلسفات، ما لم أجده - مع الأسف - في كثير من رجال الدين لعدم اكتناههم بحقيقتها واطلاعهم على نواياها وأهدافها، وأسسها وتاريخها.

وأخيراً وجدته شاعر الطموح، والحب، والإيمان، وأشهد على نفسي أني كلما قرأت شعره جاش خاطري، وثارت

www.abulhasanalinadwi.org

عواطفي، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي، وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري"[١].

لقد استطاع الشيخ الندوي - رحمه الله - أن ينقل إلى العربية صورة مشرقة وواضحة عن الشاعر الكبيرمحمد إقبال، وكان كتابه هذا يضم دراسته لشخصيته، وعرضه لأطوار حياته، وثقافته، والعوامل التي كونت هذه الشخصية الأدبية المفكرة الشاعرة، مع التركيز على ثلاث قضايا من أخطر ما يهم المسلم، والمجتمع، وهي قضية التعليم، ونظرة محمد إقبال إلى التعليم العصري، وإلى مراكزه، ونظرته إلى العلوم والآداب، وكذلك قضية الحضارة الغربية وما يتبعها من أساليب التربية، والدعوات للسير في طريقها الخطرة، ثم قضية الإنسان وتحديد مزاياه، وتحديد شخصية المسلم كما يريدها الإسلام، ومهمة المسلم في هذا العالم، ورسالته في الإمامة، والتوجيه، والقيادة، وتغيير وجه الحياة إلى الصورة الوضيئة مادام يحمل رسالة الله، والرسالة الإنسانية التي تتعدى حدود الأوطان والشعوب إلى رحابة الكون كله، لأن المسلم يتخلق بأخلاق الله خالق الوجود كله، وهو كالشمس التي لا تغرب مطلقاً.

ولقد كان الندوي في هذه الدراسة كاتباً، وناقداً، ودارساً، وشاعراً، ومترجماً، وذواقة للجمال، وباحثاً عن الحقيقة، وكانت اختياراته من شعر إقبال، وترجمته لها تدل على

---

[١] -روائع إقبال: ٢١-٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

شخصية الندوي، واستيعابه وفهمه لفن إقبال وأفكاره، وقدرته على الاختيار الدقيق الممتع والجميل الدال على الشخصية الأدبية، وعلى أفكاره، وصوره وإبداعاته.

كما أن الشيخ الندوي كان يتحدث عن الأدب بشعره ونثره في المقدمات التي كتبها للعديد من الكتب، ومنها المجموعة الشعرية التي نشرت بعنوان" من الشعر الإسلامي الحديث" وقد كان لي شرف جمعها وترتيبها، واختيار نصوصها، والترجمة لشعرائها عندما كنت مسؤولاً في رابطة الأدب الإسلامي، وضمت مائة وعشر قصائد لثمانية وثلاثين شاعراً، وما قاله عن هذه المجموعة: " إن النموذج الذي نقدمه هو نموذج هذا الشعر الحقيقي، موضوعه الحياة والإنسان، وواقع الحياة المرير في العالم الإسلامي، إنه قضية البؤساء الذين يكافحون لشرفهم، وبيان للظلم الذي يكابدونه، والجفاء الذي يلاقونه من أصدقائهم، إنه ليس بشعر الخيال السابح والحنان إلى الوطن المحدود، والتعبير عن ألم طائفة محدودة، أو بيان هواجس القلب الطامح، وهوى النفس، إنه شعر العاطفة الصادقة، والرسالة السامية، فيها الصدق والأمانة، وقوة التعبير، الذي يوجدها الشوق والخوف والرهبة، والرغبة والإيمان واليقين والاعتزاز والإباء"[١].

من هذا العرض السريع نخلص إلى أن الشيخ الندوي العالم العامل الداعية، كان الأديب المبدع، والكاتب القدير،

---

[١] -من الشعر الإسلامي الحديث: ١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

والـدارس القديـر، والنـاقد البصـير، تـرك لنـا في الأدب روائـع وآراء، وفتح للدارسين مجالات وأبواباً، وأسهم إسـهاماً كبيراً في الدعـوة لـلأدب الإسـلامي بالجـهد، والكتابـة، والعمـل المخلـص الجاد.

وإن هذه الإطلالة السريعة على هذا الجانب مـن حياتـه لا تغني عنها الدراسة العميقة، ولكنها رمز للوفـاء، وتقدير للعطـاء الذي قدمه هذا الرجل العظيم رحمه الله .

وفي ختام هذا البحث لابد من الإشارة إلى أسلوبه الأدبي الممتع الذي تميز بالوضوح والسهولة، مـع الدقـة والسلاسـة، ولا يمكن القارئ أن يظن وهـو يقـرأ للشيخ النـدوي بالعربيـة أنـه يقـرأ لكـاتب ولـد وعـاش وتربـى في الهنـد، وفي أسـلوبه تنـوع وجـدة، وقوة وبلاغة.

وسـوف أختـار علـى سـبيل التمثيـل فقـرات ممـا كتبـه في مواضع متعـددة، تحـدث النـدوي عـن محمـد إقبـال وفي مجـال ذكـر العوامـل الـتي كونـت شـخصية إقبـال قـال ـ وهـو يصـف مدرسـة القلب والوجدان التي أثرت بالشاعر "إنها مدرسة ما تعلم التاريخ بل تلد التاريخ، وما تشرح الفكرة بل تصنع الفكرة، وما تنتخـب الآثار بل تنتج الآثار ـ : إنها مدرسـة توجـد في كـل زمـان، وهـي أقدم مدرسة على وجه الأرض" [١].

وقال عن العامل الأول الذي أثر في إقبـال: "الإيمـان الـذي لم يـزل مربيـاً ومرشـداً، ولم يـزل مصـدر قوتـه ومنبـع حكمتـه،

---

[١] –روائع إقبال : ٢٦.

www.abulhasanalinadwi.org

وليس إيمان محمد إقبال هو الإيمان الجاف الخشيب، الذي هو مجرد عقيدة أوتصديق بسيط، بل هو امتزاج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب والمشاعر، والعقل والتفكير، والإرادة والتصرف والحب والبغض"[١].

ويقول عن المدنية الحديثة: "لقد جنت المدنية الحديثة على الإنسانية جناية عظيمة، إذ قضت على هذه العاطفة، (أي عاطفة الحب والإخلاص والإيمان) التي كانت قوة كبرى، ومنبعاً فياضاً للحياة، وملأت فراغها بالنفعية والمادية، أو الحب الجنسي والغرام المادي، ولم يستطع بحكم ماديتها، وضيق تفكيرها، أن تفهم أن هناك حباً للمعاني السامية، وجمالاً معنوياً هو أقوى من هذا الحب"[٢].

ويتحدث في كتاب"روائع من أدب الدعوة في القرآن والسنة" عن الآية القرآنية ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾[٣] ادع إلى سبيل ربك ما حدد وما عين شيئاً معيناً خاصاً، فمثلاً تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، وإلى العقيدة الصحيحة، وتحثون على الصلاة، تدعون إلى مكارم الأخلاق، وإلى الفضيلة، أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية.

و"سبيل ربك" يحوي كل شيء، إنه يمتد ويسع الآفاق، ليست هذه الآفاق فقط، إنها آفاق الأديان السماوية، وآفاق

---

[١] –روائع إقبال: ٢٧.
[٢] –روائع إقبال: ٤٢.
[٣] –سورة النحل، الآية: ١٢٥.

www.abulhasanalinadwi.org

الحاجات البشرية، والحياة الإنسانية، فاستحضروا الإعجاز الكامل في قوله تعالى ﴿ادع﴾ وهو لا يختص بالخطابة، ولا يختص بالكتابة، ولا يختص بالوعظ، إنما قال "ادع" والدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها، وهذه الأساليب كلها، ثم قال: ﴿**ادع إلى سبيل ربك**﴾ وأي كلمة أوسع أفقاً، وأعظم إطلاقاً من قوله تعالى ﴿**سبيل ربك**﴾.

"بالحكمة" إن الحكمة ـ الكلمة البليغة العربية التي جاءت في الآية لا أعتقد أنها من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى، وكذلك "الموعظة" كلمة مطلقة و"الحسنة" كلمة مطلقة أيضاً، وهنا جاء القرآن يحل هذه المشكلة فأطلق وقيد، وأوجز وأعجز فقال: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾[١].

وفي موضوع آخر يتحدث عن آيات من سورة الإسراء، فيقول: " إن سورة الإسراء إعلان بأن إسرائيل قد فقدوا الجدارة والصلاحية للهداية الربانية، وتقلد الزعامة الدينية، وقيادة البشرية، لما أصابهم من أمراض خلقية، وانحرافات عقائدية، دينية روحية، باطنة وظاهرة، فهذه السورة فصل وفارق بين عهد وعهد، وبين زمن وزمن، لذلك سميت سورة بني إسرائيل"[٢].

وقال واصفاً حقيقة المسلمين "إن أكبر مهمة دينية في هذا العصر، وأعظم خدمة وأجلها للأمة الإسلامية، هي دعوة السواد الأعظم للأمة وأغلبيتها الساحقة إلى الانتقال من صورة

---

[١] – كتاب "روائع من أدب الدعوة" ١٤.

[٢] – نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان: ٨٤–٨٥.

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام إلى حقيقة الإسلام، فلمثل هذا فليعمل العاملون، ويبذلوا جهودهم ومساعيهم في بث روح الإسلام في جسم العالم الإسلامي، ولا يدخروا في ذلك وسعاً، فبذلك يتحول شأن هذه الأمة، وفي نتيجته شأن العالم بأسره . . ."[١]

وفي كلمة يرثى بها سماحة المفتي أمين الحسيني[٢] ـ رحمهما الله ـ قال : " لقد ختم بوفاته كتاب في الجهاد والإخلاص للعقيدة والفكرة، والوفاء للمبدء والغاية، يحتوي على قصة طويلة وروائع من الكفاح والبطولة والمغامرة والإيمان الصادق، والنزاهة التي لا ترتقي إليها شبهة، والحياة التي لا مغمز فيها تدور حول بطل واحد وهو الحاج أمين الحسيني، وانتهى به عهد يمتد أكثر من ستين سنة، لم يهدأ له فيها بال، ولم يقر له قرار، ولم يضع فيه السلاح، ولم ينسحب فيه من ميدان الكفاح"[٣].

وفي تصويره للشخصيات وتحليله لما تتميز به من دقة وإدراك، وحس مرهف، وتعبير واضح يحيط بكل ما يريد نقله للقارئ، ويقول في هذا : "إن لهؤلاء الثائرين والدعاة المصلحين قائمة مشرقة مشرفة، يتجمل بها تاريخ الإصلاح والدعوة، ولا يخلو منهم زمان ومكان، وقد كان الشيخ حسن البنا من هذه الشخصيات التي هيأها الله بقدرته، وصنعتها التربية الربانية، وأبرزتها في أوانها ومكانها، وإن كل من يقرأ كتابه "مذكرات الدعوة والداعية" وهو سليم الصدر، مجرد الفكرة، بعيد عن

---

[١] – بين الصورة والحقيقة : ١٧ .
[٢] – توفي في ١٤ من جمادي الآخرة ١٣٩٤هـ في بيروت .
[٣] – شخصيات وكتب : ١٢٣، طبعة ندوة العلماء .

www.abulhasanalinadwi.org

العصبية والمكابرة، يقتنع بأنه رجل موهوب مهيأ، ليس من سوانح الرجال، ولا صنيعة بيئة أو مدرسة، ولا صنيعة تاريخ أو تقليد، ولا صنيعة اجتهاد أو محاولة وتكلف، ولا صنيعة تجربة وممارسة، وإنما هو من صنائع التوفيق، والحكمة الإلهية، والعناية بهذا الدين، وبهذه الأمة، وبالغرس الكريم الذي يهيأ لأمر عظيم، ولعمل عظيم، في زمن تشتد إليه حاجته، وفي بيئة تعظم فيها قيمته..."[١]

إن الأمثلة كثيرة كثيرة، ولكني خوفاً من الإطالة أكتفي بهذا القدر، وأنا أعرف أن هناك فيما ترك من كتب ومحاضرات وكلمات، ما هو أجمل وأبلغ، وأختم هذه الكلمات بشهادة بليغة لأديب العربية الشيخ العالم الداعية علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ وهو يقدم لكتابه "مسيرة الحياة" فقال:

"كتاب الأستاذ أبي الحسن ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب تاريخ وكتاب أدب، فيه وصف للأمكنة، كأنك تراها، وكتاب علم فيه ذكر العلماء ومجالس العلم، وسجل اجتماعي فيه وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند..."

ثم تحدث عن أول معرفته بأبي الحسن واطلاعه على كتاب" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" فقال: "لما رأيت هذا الكتاب لم أكن أعرف مؤلفه، فقلت: من هذا الباحث الهندي الذي يكتب بمثل هذا الأسلوب العربي النقي، ويحيط بأحوال المسلمين هذه الإحاطة؟.

---

[١] -السابق: ١١٤-١١٥.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول عن اهتمامه بالأدب الإسلامي: "وأنا أقول هذا هنا لأن أخانا أبا الحسن - فوق عنايته بالدعوة إلى الله، وأنه ركن من أركانها، وعضو ظاهر من أعضائها، يهتم بالأدب الإسلامي، وقد أنشأ له هو وأخونا الأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمة الله عليه - وآخرون، رابطة تربط أهله وتجمعهم وتشد من أزرهم، وتعينهم على أمرهم"[١].

رحم الله الشيخ أبا الحسن الندوي العامل الداعية، وحامل لواء العربية في الهند، والأديب الإسلامي الذي أعطى الكثير، وكان أمة وحده.

---

[١] -في مسيرة الحياة: ١٠-١٢.

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة السيد أبو الحسن الندوي
رائد الأدب الإسلامي للأطفال

بقلم

فضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة " البعث الإسلامي"
ومدير جامعة ندوة العلماء لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة السيد أبو الحسن الندوي
رائد الأدب الإسلامي للأطفال

يتجمل تاريخ الهند الإسلامي بشخصية العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي التي تتميز بتعدد جوانبها وتنوع أعمالها الجليلة الغالية، وتتصدر بين الشخصيات العالمية اللامعة بسعة الأفق والثقافة، وعمق التفكير، وسداد الرأي، والنظرة الشاملة للحياة والإنسان والكون، وبالفهم الصحيح المتزن الكامل للإسلام، فقد أكرم الله شخصية العلامة الندوي بالقبول العام والتأثير العميق، ورزقه الإخلاص العجيب للدين والتوفيق الكريم للتفاني في سبيل الإسلام، إنه وضع جميع مؤهلاته في خدمة الدعوة الإسلامية ودعم العقيدة العتيدة، والفكر السليم السامق، وتوجيه الإنسان إلى رسالة الإسلام السامية الخالدة وتطبيقها على الحياة بالاقتناع الكامل، وله في كل مجال من هذه المجالات إنتاجات ضخمة، ومؤلفات قيمة، وأعمال جليلة، وخدمات فذة، فهو من رواد الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية في العالم كله، وهو رائد التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية الجامعة على المستوى العالمي، ورائد الجمع بين العلم النافع والإيمان الواسع في كل مكان، ورائد الجهاد الإسلامي بالقلم

www.abulhasanalinadwi.org

واللسان بأفضل أنواعه وأرفع أصنافه.

وهو رائد الأدب الإسلامي، وحامل لوائه على المستوى العالمي، فبتوجيهاته الخالصة قامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي تولت نشر فكرة" العالمية" للأدب الإسلامي، وتكفلت بتعريفها في جميع الأوساط الأدبية في العالم الإسلامي شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، حتى نهض الأدباء الإسلاميون واستجابوا لهذه الفكرة العالمية للأدب الإسلامي، ووجدوا مجالا واسعا لأدبهم وإنتاجاتهم وكتاباتهم الهادفة، ونشطوا لأداء رسالتهم الأدبية في مختلف مجالات الحياة، وربط الحياة بمصدر العقيدة والإيمان.

وأريد أن أتحدث الآن عن العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رائد الأدب الإسلامي للأطفال، الذي أثرى أدب الأطفال بأسلوبه المتميز للغة العربية، وأتحف الطفل المسلم بغذاء دسم من قصص الأنبياء وحكايات الرسل عليهم صلوات الله وسلامه في ضوء القرآن ومرآة التاريخ الإسلامي الأصيل، فقد وفق إلى تأليف سلسلة من قصص النبيين وحكاياتهم بلغة عربية جميلة سهلة وأسلوب أدبي رصين، أسسه على الرعاية الكاملة بنفسية الأطفال وطلباتهم في مراحل حياتهم الأولى والمتوسطة والأخيرة، ففي الجزء الأول من هذه السلسلة دعا البراعم الناعمة إلى أن يجتمعوا حوله ليقص عليهم قصة طريفة كأنه يقول: تعالوا يا أبنائي أحك لكم قصة لرجل كبير، كان في زمن قديم، قديم جدا، فالتف حوله الأطفال راغبين في سماع القصة والاستمتاع بها، فبدأ يقص عليهم بأسلوبه الجميل الممتع

www.abulhasanalinadwi.org

الذي يتجلى فيه حبه للأطفال، وشفقته عليهم، واعتناؤه بتوجيه درس مفيد نحوهم، وكان الأطفال كلهم قد أصغوا آذانهم وأصبحوا أذنا واحدة صاغية، وإذا به يبدأ القصة بأسلوبه الساحر الأخاذ.

"قبل أيام كثيرة، كثيرة جدا، كان في قرية رجل مشهور جدا، وكان اسم هذا الرجل آزر، وكان آزر يبيع الأصنام، وكان في هذه القرية بيت، بيت كبير جدا، وكان في هذا البيت أصنام، أصنام كثيرة جدا، وكان الناس يسجدون لهذه الأصنام، وكان آزر يسجد لهذه الأصنام، وكان آزر يعبد هذه الأصنام".

إنه يريد أن يرجع بالأطفال إلى مبدأ تاريخ التوحيد، وإلى حامل لواء التوحيد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي بعثه الله في بيت آزر بائع الأصنام وصانع الأوثان والداعية إلى عبادة الأوثان، في الأسرة التي كانت غارقة في عبادة الأصنام إلى الآذان، وفي المحيط الذي كان لا يعرف سوى الأصنام والأوثان شيئا، في البيئة التي لم تكن تعرف سوى الخضوع للشجر والحجر، لم يكن هناك أي تصور للإله الواحد القهار، وفي مثل هذا المحيط، والجو، في بؤرة الشرك والفساد، بعث الله إبراهيم عليه السلام ليبعث عبادة الله من جديد، ويعيد إلى الإنسان عقيدة التوحيد، وذاك هو ولد آزر الرشيد، يتحدث عنه فيقول:

"وكان آزر له ولد رشيد، رشيد جدا، وكان اسم هذا الولد إبراهيم، كان إبراهيم يرى الناس يسجدون للأصنام، ويرى الناس يعبدون الأصنام، وكان إبراهيم يعرف أن الأصنام حجارة، وكان يعرف أن الأصنام لا تتكلم ولا تسمع، وكان

www.abulhasanalinadwi.org

يعرف أن الأصنام لا تضر ولا تنفع، وكان يرى أن الذباب يجلس على الأصنام فلا تدفع، وكان يرى الفارة تأكل طعام الأصنام فلا تمنع، وكان إبراهيم يقول في نفسه: لماذا يسجد الناس للأصنام؟ وكان إبراهيم يسأل نفسه: لماذا يسأل الناس الأصنام؟".

هذا الأسلوب الشائق الذي يستسيغه عقل الأطفال يغرس في نفوسهم عقيدة التوحيد ويحبب إليهم الإيمان بالله الواحد الأحد الذي خلق الكون والخلق، ولكي يرسخ جذور العبادة لله الواحد وينفر القلوب من عبادة الأصنام يسأل إبراهيم والده آزر عن السبب الذي دعاه إلى عبادة الأصنام وصناعة الأصنام مادامت لا تضر ولا تنفع ولا تتكلم ولا تسمع، وقد وضع هذه الأسئلة كلها بأسلوب مؤدب يتمسك به ولد مع والده في مثل هذه المناسبات الشائكة، ولكنه يواجه منه غيظاً وغضباً، فيسكت ويزمع في نفسه أنه يكسر الأصنام وقد فعل ذلك فجاءوا إليه وقالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون.

إن موضوع التوحيد والتنفير من عبادة الأصنام ليس كسائر المواضيع، بل إنه يحتاج إلى لباقة أدبية وبراعة فنية لتقريبه إلى أذهان الأطفال والضغط على أنه هو القاعدة الصلبة التي يرتفع عليها صرح الحياة ويقوم عليها بناء الإسلام، وأن المرء لا يتم إسلامه إلا إذا كان الإيمان بوحدانية الله يمتزج بلحمه ودمه، ولاشك في أن نفسية الأطفال تقبل على متابعة الموضوع مادام الأسلوب القصصي من السهولة والتكرار بهذا المكان، انظروا

www.abulhasanalinadwi.org

كيف يقص أن القوم عاقبوه بالنار جزاء بما كسر الأصنام" اجتمع الناس وقالوا: ماذا نفعل؟ إن إبراهيم كسر الأصنام وأهان الآلهة، وسأل الناس: ما عقاب إبراهيم؟ ما جزاء إبراهيم؟ كان الجواب: ﴿ **حرقوه وانصروا آلهتكم** ﴾.

وهكذا كان: أوقدوا ناراً، وألقوا فيها إبراهيم، ولكن الله نصر إبراهيم، وقال للنار: ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾، وهكذا كان، كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، ورأى الناس أن النار لا تضر إبراهيم، ورأى الناس أن إبراهيم مسرور، وأن إبراهيم سالم، ودُهش الناس وتحيروا"، ولكي تترسخ معاني توحيد الإله في ذهن إبراهيم عليه السلام وينقي التوحيد من كل شائبة في فكره أرى الله إبراهيم ذات ليلة كوكباً في السماء، ليمتحنه في الموضوع ويختبر مدى عقلية التوحيد وتصور الإله عنده، فما لبث إبراهيم أن قال هذا ربي، ولكنه لما غاب تحير من أمره ورفضه كإله وقال: لا، هذا ليس بربي، ذلك أن الإله ليس من شأنه أن يغيب أو يزول، وكذلك رأى القمر فقال: هذا ربي فلما أفل رفضه أيضاً، وطلعت الشمس فقال: هذا ربي، هذا أكبر، ولكنها لما غربت في الليل أيقن إبراهيم أنه ليس رباً كذلك.

لقد عبر رائد الأدب الإسلامي للأطفال هذا المعنى بلغة جميلة ذات صبغة إيمانية ثابتة يستسيغها الأطفال ويتعلمون منها صفات الإله الأولية، وأن الإله لابد أن يكون حياً باقياً دائماً خالداً، لا يغيب ولا يزول، ولا يضعف، ولا يني، كما تمكنت هذه العقيدة من فكر إبراهيم وعرف أن الله ربه، لأن الله حيٌّ لا

www.abulhasanalinadwi.org

يموت، وأن الله باق لا يغيب، وأن الله قوي لا يغلبه شيء، وأن الله رب الكواكب والقمر والشمس وهو رب العالمين.

ويتحدث إلى الأطفال وهم آذان صاغية نحوه عن حياة إبراهيم حامل لواء التوحيد، وكيف دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وكيف قرب عقيدة التوحيد إلى أذهانهم، وماذا كان واقعه أمام الملك الظالم المشرك المدعي بالألوهية، ومواجهته ذلك الملك بشجاعة الإيمان والعقيدة، من غير خوف عقاب ولا عذاب، ثم كيف دعا والده إلى عبادة الله ونبذ الأوثان والأصنام، ولم يخش أنه إذا طرده من بيته وبلده، فماذا سيكون مصيره، بل إنه أعد نفسه لمغادرة الأهل والوالد والبلد والقوم، وسافر إلى مكة، إلى واد غير ذي زرع فأقر الله له بالمقام فيها وفجر له عين زمزم، وأسس على يده الكعبة.

وفي نفس الأسلوب ينتقل بالأطفال إلى ما بارك الله في ذرية إبراهيم، ورزقه قرة عين له، سماه إسماعيل الذي كان موضع حبه ومركز حياته وآماله، فكان يرى أنه كمن يلجأ إلى أمله العزيز الأخير، ويبذل له حشاشة نفسه ولايكاد يفارقه للحظة واحدة، فامتحنه الله تعالى فيه وأمره في المنام بذبح إسماعيل وصدق إبراهيم الرؤيا وقال: ﴿**يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين**﴾.

وألقى بذلك في روع الأطفال أن إبراهيم لم يكن إنسانا عاديا، لم يكن كسائر الناس بل ولا كسائر المحبين والمضحين بالنفس والمال في سبيل الله، ولكنه كان أمة قانتا لله حينفا، واثقا

www.abulhasanalinadwi.org

بنصره ومتصلاً بذاته اتصالاً عجيباً، وأصبح نموذجاً خالداً للعالم كله في العبادة والضراعة والتوحيد والحب الخالص.

وكذلك العبد الذي يعرف ربه ويعبده ويتفانى في حبه يتصل بالذات الإلهية، بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، أنه يتصل بالله تعالى كعبد خاشع مخلص صادق، ويرتبط بعباد الله كنبي مبعوث اصطفاه الله تعالى لهداية الناس ولربط علاقاتهم بالله تعالى، والانتهاج بهم على منهج الحياة السليم والدرب المستقيم الذي يتكفل لهم بالسعادة، وبالعيش في ظل العافية والهدوء والنعيم.

لقد تولى رائد الأدب الإسلامي للأطفال بقلمه البليغ تمثيل إنسان مثالي ذي مكانة عالية، ورابطة قوية بالله تعالى، ذلك الإنسان الحبيب الذي يعرف كيف يجب أن يعيش مع ربه، وكيف يجب أن تكون علاقته مع الناس، وماذا يطلب منه على مستوى النبوة، ومستوى العبودية، و مستوى الأبوة، ومستوى البنوة، وأنه لا مساومة في حياته مهما كانت الظروف، ولا تنازل عن حق الله تعالى عليه، مع وجود العراقيل والعقبات، بل وكل تضحية بالنفس والمال والأهل والأولاد، والوطن والمستقبل هينة لا قيمة لها في ذات الله تعالى.

وهكذا يصور لهم إبراهيم الرجل الكامل الذي تعلقت بحياته وحياة أهله وولده شريعة الحج بأسرها، والمناسك بكاملها، الرجل الذي اختاره الله تعالى لدينه وارتضاه لشريعته، فكان مثالاً فذاً لكل نوع من الإنسان في حياته وعلاقاته الروحية والمعنوية.

www.abulhasanalinadwi.org

وبدراسة قصته في الأسلوب القصصي ولغة الأطفال يعود الطفل بانطباعات إيجابية تترك على لوحة نفسه ارتسامات للمراحل التي يجتازها المرء في بناء الحياة وتكوين السيرة، والتكامل الخلقي، وينمو الطفل ومعه هذه الدروس وتلك الأمثلة من الطاعة والامتثال ودوافع الخير والنصح والعناصر اللازمة في بناء الإنسان الصالح، الذي يرتبط مع الله، ويرتبط مع الناس في وقت واحد، ويؤدي مسئوليته في الدنيا والآخرة بنفس الشعور والمستوى.

ويمتد واقع إبراهيم عليه السلام إلى ذريته وأولاده الذي يختارهم الله لدينه وإعلاء كلمته ونشر ظلال الأمن والسعادة في الدين والدنيا، والذين يرى الله فيهم آيات بينات من المحن والبلايا والمعاناة التي يواجهها كل من اصطفاه الله لدينه، فهذا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه، الذي أتت إليه النبوة بعد ما مر بعقبات كأداء، وباختبارات شاقة جداً، واجتمع في حياته خوارق عديدة، ومعجزات كثيرة كلها تشير إلى أن يوسف سيكون له شأن وميزة، ولا شك فإن الله سبحانه قد آثره على إخوته وأخرجه من محنه وجعل فيه آيات بينات لقدرته، فخصه بالقصة في كتابه وعقد سورة منه باسمه، وسمى قصته فيها أحسن القصص على الإطلاق، وهي حافلة بجميع الألوان الفنية والعناصر القصصية، ﴿**نحن نقص عليكم أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾.

إنها قصة مثيرة تسترعي الانتباه، وتغذي العواطف،

www.abulhasanalinadwi.org

وتدعو الأطفال إلى دراستها لكي يتوصلوا بها إلى نتائج إيجابية، ويستخلصوا منها الدروس والعبر لحياتهم، أطفالا، وإخوانا، وأبناء، وصغارا وكبارا، ومبتلين ومعافين، وقادة وحكاما، ودعاة ومربين، انظروا كيف يبدأ أحسن القصص:

كان يوسف ولدا صغيرا، وكان له أحد عشر أخا، وكان يوسف غلاما جميلا، وكان يوسف غلاما ذكيا، وكان أبوه يعقوب يحبه أكثر من جميع إخوته، ذات ليلة رأى يوسف رؤيا عجيبة، رأى أحد عشر كوكبا ورأى الشمس والقمر كل يسجد له، تعجب يوسف الصغير كثيرا، وما فهم هذه الرؤيا، كيف تسجد الكواكب والشمس والقمر لرجل؟ ذهب يوسف الصغير إلى أبيه يعقوب وحكى له هذه الرؤيا العجيبة **﴿قال يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾** وكان أبوه يعقوب نبيا، فرح يعقوب بهذه الرؤيا كثيرا، وقال بارك الله لك يا يوسف، فسيكون لك شأن، هذه الرؤيا بشارة علم ونبوة، وقد أنعم الله على جدك إسحاق، وقد أنعم الله على جدك إبراهيم، وإنه ينعم عليك وينعم على آل يعقوب، وكان يعقوب شيخا كبيرا، وكان يعرف طبائع الناس، وكان يعرف كيف يغلب الشيطان، وكيف يلعب الشيطان بالإنسان، فقال: يا ولدي لا تخبر بهذه الرؤيا أحدا من إخوتك فإنهم يحسدونك ويكونون لك عدوا.

ويشرح حياة يوسف ويتناول تفاصيلها كلها في ضوء حسد الإخوة له، وقد أدى بهم هذا الحسد الكبير إلى محاولة إبادة حياة يوسف بإلقائه في الجب، ولكن الله له في عباده حكم

www.abulhasanalinadwi.org

وشؤون، فإذا بيوسف الملقى في غيابات الجب يصل إلى بلاط ملك مصر، ويجد عنده ثقة بعد أن كان متهماً لديه، ويقدر الله له أن يكون حافظاً لخزائن مصر، ويمتلك زمام الأمور هناك، وإذا بالفلك الدوار يدور دورته الأولى ويرجع إليه إخوته يطلبون منه الميرة والمدد، ويعرضون عليه الحاجة والفاقة، ويتكشف عليهم السر ويعرفون أنه هو يوسف الذي كانوا قد حسدوه وألقوه في غيابة الجب وندموا على ما صدر منهم، وعلموا أن مغبة الحسد إنما هي الذلة والصغار، وأن عاقبة الحسد الحسرة والأسف والاعترافُ بالخطأ، والخجل عليه، فقد قالوا: **﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾**.

وفي هذه القصة الجميلة جوانب عديدة تحمل دروساً وعبراً للأطفال، وتطبع في نفوسهم أن العاقبة للتقوى والصبر، وأن المظلوم منصور من الله، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين، وكل ذلك بلغة الأطفال، وأسلوب القصة، وتأثير البيان، والواقع الذي لا يستطيعه أي كاتب أو قصصي أو أديب إلا إذا كانت نظرته شاملة لما يعيش فيه الأطفال من نفسية وطبيعة وأجواء ذهنية، وتقلبات عقلية، وإلا إذا كان يعرف العوامل التي تترصد الأطفال وتقوم بدورها في بناء مستقبلهم، يقول في مقدمة الجزء الأول من قصص النبيين وهو يخاطب الطفل المسلم:

"فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين بأسلوب سهل يوافق سنك وذوقك ففعلت، وهذا هو الكتاب الأول من قصص النبيين للأطفال أهديه إليك، وقد حاكيت فيه أسلوب الأطفال وطبيعتهم، فلجأت إلى تكرار

www.abulhasanalinadwi.org

الكلمات والجمل وسهولة الألفاظ وبسط القصة".

ويأتي الجزء الثاني من هذا الكتاب القصصي الممتع، فيحتوي على قصص نوح وهود وصالح عليهم السلام، بعد ما انتهى الأطفال من قراءة الجزء الأول واستساغوا أسلوبه واستفادوا من معاني الكتاب واطلعوا على حياة المصطفين من عباد الله، ومع نهاية الجزء الأول ارتفع الأطفال قليلاً في مستواهم العقلي وتسنى لهم أن يفهموا القصة بأسلوب أرقى من الأول شيئاً قليلاً، ويستزيدوا معلومات جديدة، وتاريخاً جديداً، ويعرفوا دور الشيطان اللعين في التدرج بالناس إلى الوثنية وما يُسخط الله من أعمال، يقول المؤلف رحمه الله في مقدمة الجزء الثاني :

"وها نحن أولاء نتحف الصغار وأولياء الكبار بجزء من سلسلة قصص النبيين للأطفال" مشتملاً على قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح عليه السلام، وفي ثنايا القصص ومطاويها فوائد تفسيرية وتاريخية، وأجوبة عن أسئلة خفية قد يتناجى بها الضمير، وعلى المعلمين أن يطالبوا التلاميذ بحكاية هذه القصص ويكلفوهم تلاوتها واستحضارها وإعادتها، فقد جربنا في ذلك فائدة كثيرة".

وهنا يجب أن نطلع على ما كتبه فضيلة الدكتور الشيخ أحمد الشرباصي رحمه الله، في تقديمه للجزء الثاني، فإن لرأيه في هذا الموضوع قيمةً كبيرةً يقول:

"وهأنذا أسعد مرة ثانية حين أقدم الجزء الثاني من هذه السلسلة الإسلامية المفيدة، التي تدل على ما وهبه الله جل جلاله

www.abulhasanalinadwi.org

لأخينا البحاثة الإسلامي من إيمان عميق، ويقين وثيق، وغيرة على الدين صادقة، ورغبة قوية في العودة بالناس إلى هدى الله وأدب القرآن المجيد.

وإذا كانت هذه السلسلة من قصص الأنبياء قد وضعت أول الأمر لأطفال المسلمين في الهند، حتى تربطهم منذ نشأتهم بدينهم ولغة قرآنهم، فإنها صالحة كذلك لتوضع بين أيدي الأطفال المسلمين في سائر الأقطار العربية لتمدهم بالغذاء الروحي العاطفي، الذي يهذب نفوسهم، ويقوم أخلاقهم، ويزودهم بأطيب المتاع: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون يا أولي الألباب**﴾.

وما أجدر ولاة الأمور في الأقطار الإسلامية والبلاد العربية أن يقدروا هذا المجهود الطيب الخالص، فيشجعوه ويؤيدوه، بأن يضعوه بين كتب المطالعة والثقافة لناشئتهم، فإن في ذلك جمعا لشباب المسلمين على مورد ثقافي إسلامي واحد، وتقريبا بين مجتمعاتهم ونزعاتهم وعملا على تحقيق الوحدة الإسلامية فيما بينهم، تلك الوحدة التي دعا إليها القرآن، وباركتها يد الرحمن حين قال: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وقال: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾.

ولست محتاجا إلى الإفاضة في الإشادة بما وهب الله لأخينا المفضال السيد أبي الحسن من مواهب يغبط عليها عند كرام الرجال، ويحسد عليها عند لئامهم، فحسبه فخرا أن يوفقه الله

www.abulhasanalinadwi.org

فيؤلف كتباً للخاصة، تعلو ندى، وتتسع وتعمق، وتسير بين القارئين الكبار، فتشرق وتغرب، وبعد أن ازدانت بالفكرة السليمة، والأسلوب الرفيع، والتحليق السامي، ثم يوفقه الله أيضاً إلى أن يقرب بعبارته السهلة وبيانه الرقيق أهداف القصة القرآنية إلى عقول الناشئة المسلمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

أما الجزء الثالث من هذه السلسلة فيشتمل على قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر، ولهذه القصة التاريخية جوانب رائعة من الإيمان بالله والثقة في وعده، ومن المعجزات التي أظهرها الله سبحانه في موسى عليه السلام من أجل فرعون، ومن المشاهد التي مر بها بنو إسرائيل وقوم فرعون، وصور من الظلم والقتل والإبادة بجانبها صور أخرى من النصر المتين والمدد الإلهي الذي رافق موسى عليه السلام في كل لحظة من حياته، فانتصر موسى الأعزل المؤمن على فرعون ذي الأسلحة والجنود والقوة المادية الهائلة.

القصة تبتدئ بأسلوب هادئ طبيعي سائغ سهل مثير للإيمان ومؤثر في النفس فيه وضوح التعبير، وجمال الديباجة، والمسايرة مع نفسية الأطفال في بيان الأحداث والمشاهد، وذلك لا شك تيسير من الله في تزويد عقول الصغار بزاد من الإيمان واليقين والتوكل والصبر والقناعة والإيثار، مع تعليم اللغة والبيان والتعبير والأدب.

ولقد كانت انطباعات الدكتور الشرباصي رحمه الله عن الجزء مستفيضة تنطوي على ما في الكتاب من فوائد أدبية وتاريخية

www.abulhasanalinadwi.org

ولغوية وتعبيرية بجانب الفوائد الدينية والفكرية، فاسمحوا بأن أنقل إليكم مرئياته التي تحدث عنها في مقدمة الجزء.

"فقد يحتاج التعليم السليم القويم للأطفال إلى أكثر مما يحتاج إليه تعليم الشباب أو الرجال، وذلك لأن الفترة التي يبدأ فيها تعليم الطفل الدروس الأولى تظل ذات أثر عميق وطويل في نفسه ونشاطه واتجاهه في الحياة، ومن هنا كان الواجب على رجال التربية والتعليم أن يعطوا هذه الفترة كل عناية ورعاية، حتى يحسنوا فيها التصرف، وفوق هذا توجد بعض الأسباب التي تدفعنا إلى أن نكون على تمام الخبرة والحذر في تعليم الطفل وإمداده بغذائه العقلي والروحي، منها: أن الطفل يعتقد في المشرفين عليه الصدق والعلم الواسع والإحاطة الشاملة والخبرة الفسيحة، فيتقبل منهم وينقل عنهم بلا مناقشة أو جدال، ومنها: أن ما يتلقاه الطفل في دروسه الأولى يرسخ في نفسه، ويتمكن من ذاته، ولقد قالوا ولا يزالون يقولون: إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ومعنى ذلك أن ما نلقيه إلى التلميذ سيبقى ويدوم، فإن كان خيراً بقيت فائدته، ودامت منفعته، وإن كان شراً بقي سوءه ودامت النكبة به، وما صدر الطفل حين ذاك إلا كصندوق فارغ كجهاز الاستقبال اللاقط الذي يرتبط كل الارتباط بما يُرسل إليه من الخارج، فإذا جاء شيء من ذلك تمكن منه كل التمكن، وثبت فيه غاية الثبات.

ومادام الأمر كذلك فإن واجبنا أن ندقق كل التدقيق فيما نقدمه إلى الطفل المسلم من زاد عقله وقلبه، وخاصة أنه سيكون مسرفاً في حب الاستطلاع والشغف بالمعرفة والشوق إلى

www.abulhasanalinadwi.org

الإدراك، فلو اختلط أمامه الحق والباطل لما ترك له هذا النَهَم الغريزي فرصة للتأني والتروي، أو التمييز والاختيار.

ومن واجبنا أن ندرك مقدار الجناية التي يجنيها على الأطفال أولئك الذين يقدمون إليهم الزاد العقلي الممتلئ بالأمشاج والأوضار، ويثقلون على قلوبهم وأفكارهم بهذه الأساطير المغرية والخرافات العجيبة التي تخرج بهم عن الاستقامة في التفكير والاعتدال في التصور إلى الشطط في الخيال والجموح في الوجدان، ولعل البعض يتعلل بأن هذه الأساطير تنمي الخيال وتفتق الجبلة، ولكن الضرر الذي تجنيه على الطفل خطير كبير لا يقاس به هذا المقصد الضئيل.

ومما لا شك فيه أن الأفضل من ذلك كله هو أن نقدم إلى الطفل زاداً عقلياً وأدبياً يجمع بين الحسنيين: بين الصدق والجمال، ليكون عنصر الصدق فيه عاملاً من عوامل الثقافة والعرفان، وليكون عنصر الجمال فيه باباً من أبواب الرُقيِّ في التخيل والسمو في الوجدان، وفي قصص القرآن الكريم من ذلك مدد أيّ مدد، وزاد أيما زاد.

نعم إن قصص القرآن الحكيم يهدي للتّي هي أقوم، ويأتي بالخبر اليقين، ومع ذلك تتوافر فيه عناصر القصة المشوقة العذبة الرائعة، وحسبنا من قصص القرآن صدقه ودقته، ووعظه وعبرته، وأحكامه وبلاغته، وهل بعد قول الله قول؟

ها هو ذا الحق تبارك وتعالى يحدثنا عن قصص القرآن فيقول: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ ويقول: ﴿**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**﴾ ويقول:

www.abulhasanalinadwi.org

﴿فلنقصص عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ ويقول: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ ويقول: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ ويقول: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ ويقول: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ ويقول: ﴿ذلك من أنباء القرى نقص عليك، منها قائم وحصيد﴾ ويقول: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ ويقول: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ ويقول: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ ويقول: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب، ما كان حديثاً يُفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل كل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾.

وها هو ذا أخونا الداعية المفضال السيد أبو الحسن علي الندوي يدرك هذه الحقيقة خير إدراك، فيُخرج لأطفال المسلمين في الهند وغيرها هذه السلسلة من "قصص النبيين" فيخدم بذلك دينه، إذ يعرض عن طريق هذه القصص كثيراً من مبادئه وتعاليمه التي يتلاءم ذكرها مع القصة، أو تنبعث أضواؤها من الجو المحيط بالقصة ويخدم بذلك أطفال المسلمين، لأنه يقدم إليهم أحسن القصص وأصدق التاريخ وأجمل الحوار وأروع الحوادث، فيُرضي الميول المختلفة في نفس الطفل الهائم بالاستطلاع، ويخدم بذلك مكانته الأدبية وإن لم يتعمد ذلك، فإن أبا الحسن الذي استطاع أن يكتب للكبار مثل كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين" وكتابه" إلى الإسلام من جديد" وغيرهما فيجيد ويحسن، وهو الذي استطاع أيضا أن يكتب لأطفال المسلمين قصص النبيين في هذا الأسلوب البسيط السهل الميسور السائغ، والاقتدار على الإجادة في الكتابة للكبار مع الإجادة في الكتابة للصغار منزلة يقل الذين يبلغونها من الكاتبين والمؤلفين.

ها هو مثلا يتحدث في قصة موسى وفرعون عن أمور وحوادث ومواقف كل منها مثير جذاب، وكلها مفيد نافع، وكلها حق وصدق . . . يتحدث بلغته السهلة الواضحة عن حكمة الله سبحانه في ميلاد موسى خلال تلك الفتنة الأثيمة التي ابتعثها فرعون الجبار: ويتحدث عن هذا الدرس البليغ الكاشف عن جوانب من قدرة الله التي لا تحد ولا تعجز عن شيء، حينما أمر أم موسى بأن تلقي ابنها في اليم ولا تخاف عليه ولا تحزن، لأنه سيرده إليها، وسيجعله فوق ذلك من المرسلين، ويتحدث عن بليغ تدبير الله وعنايته في وضعه موسى بين يدي فرعون، مع أنه عدوه الأول، لكن الأمر كما قال الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

ويقص عليك كيف يعيد الله القادرموسى إلى أمه التي أصبح فؤادها فارغا، إن كانت لتبدي به، لولا أن ربط الحق على قلبها لتكون من المؤمنين.

ويقص عليك كيف كان موسى النبي قويا يحمل غطاء البئر الثقيل، وكيف كان عفيفا لم يرض أن يسير وراء بنت شعيب فيرى الريح تصف جسمها حين تتلاعب بثوبها: ﴿**قالت**

www.abulhasanalinadwi.org

إحداهما: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

ويقص عليك كيف ذهب موسى وهارون إلى فرعون، وكيف علا فرعون في الأرض وبغى وتجبر، وكيف نصر الله موسى وقهر فرعون فأهلكه - وهو أطغى الطغاة - بالماء السائل الرقراق: وهكذا يكون أَخْذُ ربك إذا أخذ الطاغية المتكبر الجبار.

ويقص عليك غير ما قدمت من مواقف كلها إثارة وعظةٌ واعتبار.

والجزء الرابع يبتدئ بقصة سيدنا شعيب عليه السلام وقصة داود عليه السلام وأيوب ويونس وزكريا عليهم الصلاة والسلام وينتهي بقصة عيسى ابن مريم عليه السلام، وكل ذلك بأسلوب جميل ورشيق وشائق وإن كان مستواه أرفع بقليل من مستوى الأجزاء السابقة، غير أن الأطفال لا يواجهون أي صعوبة في إساغة معاني الكتاب، والاستفادة من اللغة والتعبير والأدب والبيان، وقد كان هذا الجزء الرابع قد مهد الطريق للأطفال لمتابعة سيرهم نحو الوصول إلى حياة آخر الأنبياء وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ودراسة سيرته العطرة بأسلوب مستساغ سهل جذاب جميل، وقد شهد بأهمية هذا العمل الجليل وغنائه بين الأعمال القصصية الكثيرة التي قام بها أصحاب الأقلام الأدبية للأطفال وتغذيتهم بالغذاء الديني والإيماني، فقد حلت هذه الكتب في مجال قصص النبيين، والحكايات الإسلامية التاريخية محلاً عظيماً، وامتازت بخصائص أدبية وتربوية لا توجد لدى غيره بمثل هذا الشمول والعموم، يقول الباحث الإسلامي

www.abulhasanalinadwi.org

الداعية الكبير والكاتب العظيم الأستاذ سيد قطب الشهيد في تقديمه للجزء الثالث:

" وقصص النبيين للأطفال - على صغر حجمه - عمل جليل يضاف إلى أعمال السيد أبي الحسن وإخوانه الأفاضل في حقل الدعوة الإسلامية فليس الكبار وحدهم هم الذين يجب أن يبلغ إليهم الإسلام في صورته النقية، بل إن قلوب الصغار لأحوج إلى هذا الغذاء، ليشبوا وطعمُ الإيمان في نفوسهم، ونوره في قلوبهم، وبشاشته في أرواحهم، والقصص هي المادة الأولى التي تتفتح لها تلك القلوب الصغيرة البريئة.

وهذا الكتيب - وإن كان مكتوباً للصغار - إلا أني أعتقد أن الكثيرين من الكبار في حاجة إلى أن يقرأوه، فالكثيرون لم يُتح لهم تعليمهم الذي سيطر عليه الاستعمار وهيمن عليه التبشير، أن يعرفوا شيئاً عن قصص القرآن الكريم، ومراميه العميقة، وجوّه الإيماني التهذيبي المؤثر، كما هو معروض في هذا الكتيب.

ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال - بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام - وشاركت في تأليف مجموعة "القصص الديني للأطفال" في مصر مأخوذ كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة - أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار".

www.abulhasanalinadwi.org

وأمامنا الآن الجزء الخامس من قصص النبيين للأطفال، الذي يختص بسيرة سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وبه تنتهي هذه السلسلة الذهبية، ويكون الأطفال قد رجعوا بعد دراسته بإلمام خاص بتاريخ الأنبياء والمرسلين، وتبين لهم الصراط المستقيم من السبل التي تتفرق بهم عن الاتخاذ بالدرب القويم، وأن هؤلاء قد تقوت عقليتهم واتسعت ثقافتهم، وتجمعت لديهم ذخيرة غالية من الكلمات العربية مما وسع أفقهم وفتق قريحتهم للتعبير عن خواطرهم وأفكارهم بلغة عربية وأسلوب أدبي، لذلك فقد كان هذا الجزء الخامس مستواه اللغوي والأدبي أرفع من الأجزاء الأولى، وذلك هو شأن الأديب العارف بطبيعة الأطفال ونفسية المراهقين، فلا يُعوزه ذلك المقياس الأوليُّ الذي يقيس به المستوى العقلي للأطفال ولا تنقصه التجارب الكثيرة التي مرّ بها في تعليم الناشئة وتربية الأطفال.

وعلى هذا الأساس جاء هذا الجزء الخامس متمماً لهذه السلسلة ومزوداً للأطفال المنتقلين من مرحلة الطفولة إلى مراحل المراهقة والشباب بزاد عقلي وأدبي ولغوي وتاريخي مع تزويدهم بمعلومات ذات قيمة كبيرة من تاريخ الأنبياء والمرسلين، وبالتالي مما يَدعم كيانهم الخلقي بعناصر الحب والإيمان، ويدفعهم إلى بناء مستقبل لامع لهم ولأمتهم التأثير الذي تُخلّفه دراسةُ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس قرائه والمستفدين منها، ولقد تحدث المؤلف رحمه الله عن هذا الجزء وما يحويه من خصائص أدبية وتاريخية وتربوية، يقول في مقدمة الكتاب:

www.abulhasanalinadwi.org

وقد اعتمدت في تأليف هذا الكتاب على تلخيص السيرة النبوية لابن هشام - التي هو من أقدم كتب السيرة الموجودة الآن مطبوعة متداولة وأكثرها تأثيرا في النفوس والقلوب - مستندا في ذلك إلى بعض المراجع القديمة وكتب الصحاح، ولم ير المؤلف ضرورة إحالة القارئ إلى هذه المراجع بقيد الصفحات والطبعات، لأن الكتاب قد ألف للصغار الناهضين لا الباحثين والمحققين - ومقتصرا على النصوص والروايات، ولم أمزجها بالبحوث العلمية والتعليلات الفلسفية والشهادات الأجنبية، لأن ذلك يشغل القارئ عن التشبع بروح السيرة والتذوق بجمالها، ولأن موضع هذه المباحث للكتاب الكبير الموسع في موضوع السيرة، الذي كتب للمتوسعين في الثقافة، المتقدمين في مداركهم العقلية والعلمية، المواجهين للتساؤلات العصرية والكلامية، والدراسات المقارنة.

ولم أتقيد في هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من قصص النبيين للأطفال من محاكاة أسلوب الأطفال، وطبيعتهم وتكرار الكلمات والجمل وسهولة الألفاظ، وبسط القصة، فقد شب هؤلاء القراء الصغار عن طوقهم، وتقدموا في ثقافتهم اللغوية... ودرجتهم العقلية، فأصبحوا قادرين على إساغة هذا الغذاء العلمي العقلي والتذوق لهذه القصة الرائعة لحياة أكبر إنسان وأشرف نبي.

وهكذا جاء الكتاب - بحول الله تعالى - وسطا بين الكتب التي ألفت في السيرة للكبار النابغين، والكتب التي ألفت للصغار الناهضين، فهو جدير بأن يدرسه الصغار المراهقون في

www.abulhasanalinadwi.org

مدارسهم، ويقرأه الكبار المتوسطون في مكتباتهم ومنازلهم، ويقدم كذلك إلى غير المسلمين، أو ينقل إلى لغات أجنبية وقد جاءت فيه خلاصة السيرة ولبابها، وروائع حكاياتها وأخبارها، وتاريخ الدعوة الإسلامية الأولى وفتوحاتها وانتصاراتها، وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها، فأصبح الكتاب مدرسة كاملة ينشأ فيها الطالب بين إيمان وحنان، ويتقلب بين روح وريحان، ويخرج منها، وقد حمل معه الزاد الذي يسايره في حياته، والنور الذي يسير في ضوئه، والسلاح الذي يدافع به عن نفسه وإيمانه، والرسالة التي يحملها للعالم والأمم.

ولم تنته اهتمامات رائد الأدب الإسلامي بهذه السلسلة المفيدة التي أتحف بها أطفال الأمة، ولكنه عكف بعد ذلك على إبداء اهتمامه الكبير بجانب التربية الأدبية للأطفال وتنشئتهم على خلال الفتوة والطموح الخلقي والإيماني، وأبرز سلسلة أخرى للمرحلة القادمة لهؤلاء الأطفال الذين دخلوا الآن سن المراهقة، وهم بحاجة إلى غذاء أدبي دسم آخر لكي يتسنى لهم التقدم إلى الأمام وإشباع ذوقهم الأدبي بمواد الأدب الإسلامي وأسلوبه الرصين الجميل الذي لا يتوافر بالمستوى المطلوب في الجهود الأدبية التي بُذلت في بعض الأقطار الإسلامية العربية لتربية الأطفال، فلم تغط جميع جوانب التربية والتوجيه التي يحتاج إليها الطفل الناهض في حياته العائلية والمدرسية والمدنية والاجتماعية، ويريد أن يعرف توجيه الدين في كل شيء وعنايته بحياة الإنسان في كل شأن.

كان ذلك فراغاً في أدب الأطفال بوجه خاص، حيث أن

www.abulhasanalinadwi.org

نصيب الدين في تربيته الأدبية واللغوية كان قليلاً جداً، على أن اللغة العربية هي لغة الدين قبل كل شيء، ولكنها انعزلت عن التعاليم الدينية وانحسرت في الشؤون الدنيوية والمعلومات المدنية، لقد أحس هذا النقص الشائن والعيب العائب، مؤلف هذه السلسلة، فقام بتأليف سلسلة "القراءة الراشدة" لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية، وأتمها في ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب كل جزء يفوق الأول في المستوى اللغوي والأدبي، نظراً إلى تقدم الأطفال في دراساتهم الأدبية وتوسعهم في الثقافة الدينية.

يقول المؤلف في مقدمة الجزء الأول من الكتاب، وهو يلقي ضوءاً لامعاً على أسباب تأليف هذه السلسلة، وما راعى فيه من النقاط المهمة خلال تأليفه لها، يقول:

كان من أهم الواجبات في هذه الأيام أن يعنى العلماء ورجال التعليم الديني بوضع منهاج تعليمي رشيد حكيم يفوق مناهج التعليم اللادينية في السهولة وتوفير الوقت ومراعاة نفسية الصغار، ويمتاز عنها في التربية الخلقية والدينية وتهذيب النفس مع إفادة الطالب بكل ما تهم معرفته من الشؤون الكونية، والتاريخية، والمواد العامة، مبنياً على أحدث مبادئ التعليم واختياراته.

وكان من حق هذه المهمة العلمية الدينية الجليلة - ولها خطرها وأثرها في حياة المسلمين وفي مستقبل التعليم الديني - أن تتألف لها لجان من العلماء والمعلمين الكبار وأصحاب المعاهد الجليلة، وأن يبذلوا في سبيلها قسطاً صالحاً من أوقاتهم

www.abulhasanalinadwi.org

وجهودهم، وأن يقدموها على كثير من أشغالهم التعليمية والسياسية، فإن هذه المهمة الواسعة المعقدة لا يستقل بها الأفراد، وأنها لتنوء بالعصبة أولي القوة، ولكن العلماء - مع الأسف - في شغل شاغل عن هذا العمل الجديّ الذي يقتضى صبراً طويلاً وعناء شديداً واختياراً واسعاً وتعاضداً قوياً، ثم إنه كثير الخطر بطيئ الإثمار قليل الاشتهار.

إن خطر هذه المهمة وجلالتها وإن الأخطار المحدقة بنظام التعليم الديني التي تهدد حياة المسلمين الدينية، واشتغال الأكفاء عنه بما هو أهم لديهم منه، حث مؤلف هذه الكتب على أن يكون جندياً مغامراً في سبيل هذا الجهاد، وأن يكون عاملاً صغيراً في مهمة التعليم الديني، وأن يؤدي من حقوق هذه اللغة الكريمة، ومن حقوق المعلمين الذين حببوا إليه هذه اللغة وسهلوها له ما يستطيع، وأن يقوم بإذن الله بجزء من أجزاء هذا العمل الجليل رغم صحته وتشتت باله، وانشعاب فكره، وتزاحم أشغاله، وكثرة أسفاره.

قام المؤلف أولاً بوضع مجموعة المختارات في الأدب العربي، فجاءت بإذن الله تعالى مجموعة تمثل الأدب العربي الإسلامي في جميع مظاهره ومناحيه الأدبية والتاريخية والتهذيبية من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، تجمع بين ألوان الأدب العربي المختلفة وبدائعه من وحي سماوي وبلاغة نبوية، وخطب لأشهر خطباء العرب في أزهر عصور العربية، وروايات وقصص، ورسائل، وكتب، ومناقشات ومحاورات، ورحلات، وأحاديث منزلية متبسطة، وجد وهزل

www.abulhasanalinadwi.org

وحكمة ولهو، تلقاها بعض الدوائر العلمية والمعاهد ـ على بطء ـ بالقبول وأدخلتها في مناهج الدرس.

ثم رأى المؤلف أن كل ذلك لا يسد مسد سلسلة القراءة التي تحتوي على مواد في اللغة والأدب متنوعة بأسلوب تدريجي ملائم لذوق الناشئة المسلمة الهندية، ونشء البلاد الإسلامية عامة، فوضعها في أجزاء واجتهد في:

أن تكون اللغة أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة.

استعمال الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية قد عول المؤلف فيها في الغالب على قرارات مجمع فؤاد الأول للغة العربية، حتى لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات العجمية، أو الدخيلة أو يكون له لسان أخرس في المناسبات العصرية.

تكرار المفردات العربية حتى يتمرن عليها الطالب.

تنوع الموضوعات والمواد لينضبط الطالب وينتقل فيها من فائدة علمية إلى حديث ممتع وحوار لذيذ، ومن درس علمي إلى حكاية تاريخية، ومن نثر إلى شعر أو نشيد.

نقل الحكايات الواردة في الحديث إلى لغة سهلة على أسلوب الحكايات الموضوعية.

دروس خلقية تهذيبية تعلم الآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة.

تضمين الدروس الأدعية المأثورة والآداب الدينية بحيث لا يشعر الطالب بأنها تلقى عليه إلقاء بل يحفظها عفواً في ثنايا

www.abulhasanalinadwi.org

الدروس والحكايات.

الروح الديني الساري في الكتاب بحيث لا يمكن تجريد الكتاب منه، ويعم ذلك الدروس الدينية ودروس المعلومات الكونية والطبيعية والحيوانية والنباتية وعن الاختراعات الحديثة.

وعلاوة على ذلك فإنه كتب قصصا دينية كثيرة في ضوء التاريخ الإسلامي الأول، فكتب عن الصحابة رضي الله عنهم قصصا تتعلق بحياتهم الإيمانية ذات العلاقة القوية بذات الرسول صلى الله عليه وسلم والثقة الكاملة بوعد الله، ونصره وتأييده وقدرته العظيمة الجبارة التي لا تقف عند حدود أو ثغور، وكل ذلك في لغة عذبة سهلة ولون قصصي جميل يعلم الناشئة دروسا عميقة في الإيمان والحب، ويقربهم إلى الدين الكامل، ويدربهم على اللغة والتعبير، ولكل ذلك من الفوائد الأدبية والدينية والإيمانية والتربوية ما لا يخفى على العارف البصير.

ويحلو لي أن أنقل هنا قطعة صغيرة من شهادة الدكتور الشرباصي رحمه الله ودعوته إلى الاقتداء بهذا الأسلوب، وأداء ضريبة الأدب والقلم، يقول:

إن مما يصدق قوله عن هذه السلسلة أنها طرائف إسلامية يتحف بها السيد أبو الحسن الأشبال الناشئين من أبناء المسلمين، فيجدون فيها غذاء العقول وضياء الألباب، وقد يكون من حق هذه السلسلة على الكبار أن يقرأوها كذلك - وخاصة الذين لم يكن لهم عهد بالقصص القرآني - فهي تعطيهم صورا ناصعة واضحة ومؤثرة عن حوادث التاريخ وأيام الأنبياء، وقد يكون من حق هذه السلسلة أن ينظر إليها رجال التربية والتعليم في بلاد

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين هنا وهناك، فقد يجدون فيها ما يصلح تقديمه إلى الأطفال الذين يعتمدون في أغلب قراءاتهم الأولى على زاد أدبي قصصي لا تتوافر فيه الصبغة الإسلامية المسيطرة.

وقد يكون من حق هذه السلسلة أخيرا على رجال الفكر والبيان أن تثير فيهم الرغبة في الاحتذاء والاقتداء فيخرجوا للناشئة المسلمة ألوانا شتى من القصص المؤمنة الصادقة المشوقة، ويكون أبو الحسن قد سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها، وسيكون لكل عامل نصيبه من الثواب والأجر لا ينقص منه شيء، **﴿إنا لا نضيع أجر المحسنين﴾**.

وأعتقد أنه قد آن الأوان ليؤدي جنود الدعوة والفكر والبيان ضريبة الإسلام المستحقة في رقابهم ومواهبهم، بأن يخرجوا لأبناء الملة السمحة ألوانا من الأدب الديني الصحيح الجذاب، وأن يفجروا ينابيع الثقافة المؤمنة في صدور الناشئة والشباب عن طريق القصة المؤمنة، والكاتب المؤمن، والكتاب المؤمن، والفن المؤمن، وأنهم لقادرون على تأدية تلك الضريبة دون أن يحال بينهم وبين ما يطمحون إليه من وجوه الجمال الفني المتكاثرة، فما تمتع الأشرار بشيء إلا تمتع به الأخيار، وزادوا عليه رضا الله جل جلاله.

لقد آن الأوان لدفع ضريبة الإيمان.

www.abulhasanalinadwi.org

القصة في أدب
الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

بقلم

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
ندوة العلماء لكناء

www.abulhasanalinadwi.org

القصة في أدب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

إن أدب الأطفال هو أساس الأدب، بل هو الأدب الأصيل الذي لا يشوبه شيء، ويوجد في سائر المجتمعات، سواء كان مجتمعا راقيا، أو مجتمعا باديا، وقبل أن يوجد هذا الأدب كتابيا يقرؤه الأطفال، ويتمتعون به، ويقتبسون منه المثل والقيم، يوجد هذا الأدب في مهد الأم حيث يسمع الطفل الصغير قبل مرحلة القراءة من لسان الأم أنشودة استعدادا للنوم، أو قصة تروح باله، وتنمي عقله، وتكون ذهنه الصغير، وهو يوجد في شكل ترنيمة، أو أنشودة، أو قصة في القبائل والمجتمعات الراقية على السواء، وتبدأ التربية بهذا الطريق قبل أن تبدأ التربية في المدرسة، وهو خير وسيلة لتربية الأمهات في الطفولة.

ويرتقي أدب الأطفال بارتقاء سن الطفل، ويصل إلى درجة يستفيد به الأطفال والناشئون والشبيبة على سواء، وكثيرا ما يحدث أن الكبار والمثقفين ينتهزون فرصة غياب أطفالهم، ويمتعون أنفسهم بما يتوفر لديهم من كتب أدب الأطفال.

ولذلك أدب الأطفال أكثر انتشارا وشيوعا من أدب الكبار، ويحمل أدب الأطفال تأثيرا خالدا، لا تمحو آثاره، وحتى

www.abulhasanalinadwi.org

بعد النشأة والارتقاء في العلم والثقافة، ولهذه الأهمية كان من حق أدب الأطفال أن يولى به الاهتمام اللائق، لأنه خير وسيلة لغرس الأفكار والعقائد في الذهن الصافي قبل أن تعكره الفلسفات والأفكار العالية.

وكان من حق الأدب الإسلامي أن ينتبه إلى هذا النوع الأساسي من الأدب، وأن يكون للأدباء الإسلاميين فيه دور ملحوظ، ومما يؤسف له أن بضاعتهم في هذا المضمار قليلة وحديثة العهد بالنسبة لأدب الأطفال غير الإسلامي، فهو متوفر وزاخر في كل لغة من لغات العالم.

اخترت من كتابات سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي مقتطفات لإبراز أهمية القصة بصفة عامة وقصة الأطفال بصفة خاصة، لأن القصة هي أساس أدب الأطفال، وحاولت أن ألقي الضوء على اهتمامه بهذا الصنف من الأدب وشغفه به منذ طفولته، واعتباره من أهم أصناف الأدب، وأكثرها تأثيرا على الذهن، وتوجيه عنايته إليها رغم اشتغاله بالتأليف في الموضوعات الفكرية والعلمية الجادة التي تحتاج إلى بحث وتحقيق عميق، وانصرافه إلى مهمات دعوية وإصلاحية شاقة، وجهود تربوية مضنية.

إننا إذا تتبعنا مسيرة اكتشاف سماحته للثروة المكنونة في خزانة الأدب العام وعثوره خلال دراسته للنصوص الأدبية على المواد الممتعة فيها، التي أغفلها الباحثون في الأدب، لأنها كانت مطمورة في كتب السيرة والتراجم التي لا يعتبرها الأدباء مراجع الأدب، وجدنا أن النصوص التي اكتشفها سماحته وشكا أن

www.abulhasanalinadwi.org

الباحثين أغفلوها رغم أن فيها حياة وحركة، ووصفاً وتصويراً، وشعوراً وبلاغة، هي نصوص القصة، فعرض هذه النماذج في بحثه فكتب يقول:

"اقرأ معي حديث كعب بن مالك عن تخلفه عن غزوة تبوك، وهو موضوع دقيق محرج، يطلب منه الصراحة والاعتراف بالتقصير والشهادة على النفس، ويطلب منه تصوير ذلك الجو القاتم العابس الذي عاش فيه خمسين ليلة، ويطلب منه تصوير الخواطر التي كانت تجيش في صدره وتساور نفسه".

ثم ينقل هذه القصة ويبحث روعة البيان فيها، والمثال الثاني الذي ذكر في مقاله لروعة الأدب البيانية هو حديث الإفك الذي اشتمل عليه الحديث الشريف، ولم يتطرق إليه ذهن الباحثين في الأدب، فيقول! "لقد تجلت في هذه القصة رقة عاطفة المرأة المحبة لزوجها مع إباء الحرة الواثقة بعفافها وطهارتها المؤمنة بربها".

والمثا ل الثالث الذي التقطه من السيرة لروعة البيان، قصة حليمة السعدية عن رضاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

ولفت سماحته الاهتمام إلى قصة الهجرة في كتب الحديث والسيرة النبوية، وأبرز جوانب البلاغة، والروعة البيانية، ويدل ذلك الاقتباس من القصص المطمورة في كتب السيرة والحديث، وكتب التراجم التي استدل بها سماحته على القيمة الأدبية فيها، على شغف سماحته الشخصي بالقصة في

---

[1] -راجع نظرات في الأدب للشيخ الندوي، ومقدمة مختارات من أدب العرب.

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب، واعترافه بتأثيرها في التربية، وإعداد الذهن والتأثير فيه، ولعل ذلك يرجع إلى تجربته الشخصية، فقد نشأ في بيئة كانت الأمهات فيها يَقمن بتشكيل ذهن الطفل بالقصة الدينية، وقصص الأنبياء والصالحين، ثم جلس سماحته في مجالس كان كتاب صمصام الإسلام الذي كان يشتمل على قصص البطولة، والفروسية للمسلمين الأوائل يتلى فيها، فأصبح الفن القصصي سمة أدبه وتفكيره فيما بعد في كتبه ومحاضراته، وجعل القصة وسيلة التفهيم ووسيلة التأثير، ولعل ذلك التأثر في طفولته بقصص الفروسية والبطولة والجهاد دفعه إلى تأليف كتاب في شبابه باسم" إذا هبت ريح الإيمان".

وإذا استعرضنا كتبه ومحاضراته برزت لنا القصص محوراً لكلامه ومنطلقاً لكلمته، وقد اعتمد على القصة في محاضراته التي ألقاها أمام طلبة المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، ونشرت هذه المحاضرات بعنوان" روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة" فالمحاضرة الأولى تدور حول قصة مؤمن يكتم إيمانه، والمحاضرة الثانية عن موقف سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إزاء والده، فيها تعبير للحنان الأبوي، وصلة الابن بوالده، والمشاعر الجياشة في نفسه، والمحاضرة الثالثة تدو رحول قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فيها تصوير للمحيط الفريد الذي قامت فيه دعوته، والمحاضرة الرابعة تدو رحول قصة موسى عليه الصلاة و السلام[١].

---

[١] –روائع من أدب الدعوة للشيخ الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

ومن القصص التاريخية الأخرى التي ركز عليها الشيخ الندوي في محاضراته ومقالاته الدعوية قصة جعفر بن أبي طالب، وقصة هرقل، وقصة إسلام التتار، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وقصة ربعي بن عامر، وقصة يعقوب عليه السلام التي خاطب فيها أولاده قائلاً: "ما تعبدون من بعدي" حتى أصبح ذلك من سمات أسلوبه، إنه كان يستخرج القصص من التاريخ، ويقيم عليها أساس بحثه أو فكره، وقد تكون هذه القصص مطمورة في كتب التاريخ والسير لا يتطرق إليها ذهن عامة القارئ، ثم يحلل عناصر هذه القصة ويمنحها الحرارة والحركة والحياة بأسلوبه المميز.

ومن هذا القبيل وصفه الشيق بأسلوب قصصي لرحلته إلى الحجاز، وكاد الوصف يتحول إلى بعض المواضع المثيرة إلى قصة أدبية مثيرة تصور المشاهد، وتشخص المشاعر، وترهف الحس، وإليه أشار أديب العربية الشيخ علي الطنطاوي في تقديمه لكتاب "الطريق إلى المدينة".

"لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن "الطريق إلى المدينة" أحسست بالشوق يعود، ويعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطّيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار".[١]

ولإيضاح ملامح هذا الأسلوب نقرأ منها هذه القطعة

---

[١] -الطريق إلى المدينة للشيخ الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

القيمة الأدبية فيها، على شغف سماحته الشخصي بالقصة في الأدب، واعترافه بتأثيرها في التربية، وإعداد الذهن والتأثير فيه، ولعل ذلك يرجع إلى تجربته الشخصية، فقد نشأ في بيئة كانت الأمهات فيها يقمن بتشكيل ذهن الطفل بالقصة الدينية، وقصص الأنبياء والصالحين، ثم جلس سماحته في مجالس كان كتاب صمصام الإسلام الذي كان يشتمل على قصص البطولة، والفروسية للمسلمين الأوائل يتلى فيها، فأصبح الفن القصصي سمة أدبه وتفكيره فيما بعد في كتبه ومحاضراته، وجعل القصة وسيلة التفهيم ووسيلة التأثير، ولعل ذلك التأثر في طفولته بقصص الفروسية والبطولة والجهاد دفعه إلى تأليف كتاب في شبابه باسم" إذا هبت ريح الإيمان".

وإذا استعرضنا كتبه ومحاضراته برزت لنا القصص محورا لكلامه ومنطلقا لكلمته، وقد اعتمد على القصة في محاضراته التي ألقاها أمام طلبة المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، ونشرت هذه المحاضرات بعنوان" روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة" فالمحاضرة الأولى تدور حول قصة مؤمن يكتم إيمانه، والمحاضرة الثانية عن موقف سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إزاء والده، فيها تعبير للحنان الأبوي، وصلة الابن بوالده، والمشاعر الجياشة في نفسه، والمحاضرة الثالثة تدو رحول قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فيها تصوير للمحيط الفريد الذي قامت فيه دعوته، والمحاضرة الرابعة تدو رحول قصة موسى عليه

www.abulhasanalinadwi.org

الصلاة و السلام[١].

ومن القصص التاريخية الأخرى التي ركز عليها الشيخ الندوي في محاضراته ومقالاته الدعوية قصة جعفر بن أبي طالب، وقصة هرقل، وقصة إسلام التتار، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وقصة ربعي بن عامر، وقصة يعقوب عليه السلام التي خاطب فيها أولاده قائلاً: "ما تعبدون من بعدي" حتىأصبح ذلك من سمات أسلوبه، إنه كان يستخرج القصص من التاريخ، ويقيم عليها أساس بحثه أو فكره، وقد تكون هذه القصص مطمورة في كتب التاريخ والسير لا يتطرق إليها ذهن عامة القارئ، ثم يحلل عناصر هذه القصة ويمنحها الحرارة والحركة والحياة بأسلوبه المميز.

ومن هذا القبيل وصفه الشيق بأسلوب قصصي لرحلته إلى الحجاز، وكاد الوصف يتحول إلى بعض المواضع المثيرة إلى قصة أدبية مثيرة تصور المشاهد، وتشخص المشاعر، وترهف الحس، وإليه أشار أديب العربية الشيخ علي الطنطاوي في تقديمه لكتاب "الطريق إلى المدينة".

"لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن "الطريق إلى المدينة" أحسست بالشوق يعود، ويعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطّيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار" .[٢]

---

[١] -روائع من أدب الدعوة للشيخ الندوي .
[٢] -الطريق إلى المدينة للشيخ الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

ولإيضاح ملامح هذا الأسلوب نقرأ منها هذه القطعة التي هي تعبير صادق عن ملامح أسلوبه القصصي، وهي من "كتاب لا أنسى فضله" في الطريق إلى المدينة.

"وقع بصري على اسم كتاب" رحمة للعالمين" وكنت كثير النظر في الفهارس وإعلانات الكتب، وأرسلت طلباً لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتي الصغيرة ـ وأنا في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري ـ عن شرائه، ولكن الصغار خصوصاً في العصر الذي أتحدث عنه لا يخضعون لقوانين الميزانيات وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف.

وجاء ساعي البريد وهو يحمل هذا الكتاب فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، ورأيت فلا أملك ما أتسلم به هذا الكتاب، وأدفع عنه، واعتذرت أمي مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود لأنها لم تكن تملكها في ذلك الحين.

ورأيت فلم أر بي مساعداً وشفيعاً في هذه المهمة إلا الشفيع الذي طالما لجأ إليه الأطفال، وعرفوا أن شفاعته لا ترد، ذلك الشفيع الذي لجأ إليه سيدنا عمير بن أبي وقاص الصغير، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعته وأجازه في بدر، ذلك شفيع الدموع والبكاء، الذي لم يزل وجيهاً مسموعاً عند الله وعند عباده الصالحين.

وكذلك كان، فقد رق بذلك قلب أمي الحنون، واجتهدت في دفع قيمة الكتاب، وأخذت الكتاب، وبدأت أقرأ، وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة

www.abulhasanalinadwi.org

رقيقة رفيقة، ويدأ قلبي يهتز له ويطرب"[١].

لقد أسبغ الأسلوب القصصي الجمال والتأثير على واقع بسيط وهو شراء كتاب، وفي هذا الكتاب مواضع كثيرة ظهر فيها ميله إلى الوصف القصصي، ومن أبرزها شعراء العجم في مدح سيد العرب والعجم، وهو معروف، وهو أقرب من الأسلوب القصصي إلى الأسلوب المسرحي، ولذلك قوبل في الأوساط الأدبية، ومثل هذا الفصل الفنانون في الإذاعة، وأعيد من الإذاعة عدة مرات على طلب المستمعين، ونال مخرج هذا البرنامج اعترافاً عاماً، وكان له تأثير كبير على الذين اشتركوا في التمثيل في الإذاعة والمستمعين إليه من غير المسلمين، وكأنه أعد للتمثيل، فعرضه الممثلون بدون أي حذف، أو إضافة، أو صياغة جديدة إلا الأصوات والصدى.

ولعل هذا الشغف بالأسلوب القصصي كان انعكاس شغفه بالقرآن الكريم وكثرة مطالعته، والاعتماد عليه، والتذوق به، وتأثير القرآن الكريم على أسلوبه ملموس وبين، فإن القصة هي من أهم عناصر الأسلوب القرآني، لأن القصة هي أهم وسيلة للتفهيم والإقناع، فالإنسان مجبول على المحاكاة والاقتداء، ولم ترد القصص في القرآن الكريم للتسلية، أو لقضاء وقت الفراغ، بل لها غرض ديني، وتربوي، ولا تنفع القصة الصغار والناشئين فحسب، بل تساعد القصة على الفهم، وتحمل على الاقتداء بكبار السن أيضاً، وقد تكررت القصص في القرآن

---

[١] - الطريق إلى المدينة.

www.abulhasanalinadwi.org

الكريم، وشغلت القصة بعض السور بكاملها [١].

وقد اختار الشيخ الندوي القصة من خلال بحوثه، وأفكاره العلمية، كما اختار القصة بصورة مستقلة للتربية والتعليم، ونقل الأفكار، وفي هذا المجال ألف عدة كتب من أهمها" قصص النبيين للأطفال" والمقصود منها تعليم اللغة العربية، وغرس العقيدة الإسلامية في ذهن الطفل الصغير، وقد نبتت في ذهنه هذه الفكرة عندما رأى ابن أخيه يقرأ قصص الحيوانات، ككتاب"حكايات للأطفال" للأستاذ كامل الكيلاني المصري، التي تبدأ بقصة دجاجة صغيرة حمراء، وفاطمة التي لعبت بالكبريت، وفيها صور للحيوانات، فثارت فيه الغيرة، فألف كتاب" قصص النبيين للأطفال" واختار فيه نفس الأسلوب الشيق، الذي فيه تكرار للألفاظ، ورعاية لمعرفة الطفل للألفاظ التدريجية، وكذلك تدرجه في معرفة الصيغ كالماضي، والمضارع، والأمر، والنهي، وحروف العلة، باعتبار سنه ودراسته، والمبتدأ والخبر، والموصوف والصفة، ثم يتدرج إلى الجزء الثاني والثالث والرابع والخامس، وفي كل قصة تصوير للواقع، وتشخيص للمعاني، ومواد للتربية الإسلامية، فالطالب الصغير يتعلم اللغة، وقواعد اللغة، والعقائد وملامح التاريخ الإسلامي، ونماذج السلوك البشري بأسلوب يليق به.

كتب الدكتور أحمد الشرباصي في مقدمته للجزء الأول لـ"قصص النبيين" القصة لون جميل من الحديث يستلفت

---

[١] -لأهمية القصة في القرآن الكريم ودورها في الموعظة يراجع كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب الشهيد.

www.abulhasanalinadwi.org

الأسماع، ويستهوي القلوب، فإذا كانت القصة دينية قويمة الأسلوب، محكمة النسج، ازدادت بهاء وروعة، وتضاعف تأثيرها في النفوس والأرواح، والإسلام الحنيف بقرآنه المجيد، وسننه المطهرة، وتاريخه الطويل ممتلئ بألوان القصص والأحاديث، ومواقف العبر والعظات مما يعد خير زاد يوضع بين أيدي الناشئين من أبناء المسلمين.

ويبين الشيخ الشرباصي بعد الإشادة بعمل الداعية الإسلامي الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي على إعداد هذه السلسلة من قصص النبيين، فائدة هذا الكتاب فيقول:

"إنه يحقق غرضين كريمين، الأول منهما إمداد البيئة المسلمة بما تطمح إليه من غذاء روحي وعقلي، يرضي العواطف والمشاعر، ويهذب الأخلاق، والطبائع، والثاني: تمكين قواعد اللغة العربية في صدور هذه الشبيبة، وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم ولغة الحديث ولغة التاريخ الإسلامي".

ويوضح أسلوب المؤلف فيقول:

" اضطر المؤلف أن يبسط الحديث، ويختار من الجمل أيسرها وأهونها، مجاراة منه لمستوى الأطفال الذين سيقرأون هذه القصص، كما اُضطر إلى التكرار في مواطن كثيرة، لأنه لا يسرد قصة فحسب، بل يعلم مع ذلك لغة، وتعليم اللغة يحتاج إلى الإعادة والتكرار حتى تثبت الألفاظ وترسخ التعابير".

وكتب الأستاذ سيد قطب في كلمة تقديم لكتاب"قصص النبيين":

" ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص

www.abulhasanalinadwi.org

النبيين عليهم الصلاة والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة "القصص الديني للأطفال" في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في هذه القصة التي بين يديّ جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة، وحوادثها ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار".

وفي كتابه الثاني "القراءة الراشدة" الذي ألفه ليحل محل كتاب "القراءة الرشيدة" المصرية، قصص كثيرة مأخوذة من واقع الحياة، ومن التاريخ، فمن واقع الحياة "قصة صيد"، ومن التاريخ "المنارة تتحدث".

والكتاب الثالث هو"إذا هبت ريح الإيمان" وهذا الكتاب ألف بأسلوب يليق بالصغار والكبار، لأن أسلوب الكتاب سهل سائغ، ولفظ مألوف، ومعنى مفهوم، وتصوير للحياة العامة، وتعبير عن المشاعر البشرية، وهو أيضاً كتاب قصة، وهو في المقررات الدراسية في ندوة العلماء، وهو في نظري أنفع من "العبرات" و" النظرات" للمنفلوطي، لأن قصص هذا الكتاب تعرض البيئة الهندية التي يعيش فيها الناشئون، وتحصل للطلاب الثروة اللغوية من واقع الحياة، ومن شعب الحياة المعاصرة، وفيها دعوة إلى الكفاح لإقرار الحق والتضحية في سبيله.

والكتاب الرابع الذي يشتمل على القصص وهي خاصة للناشئين والشباب كتاب" قصص من التاريخ الإسلامي" يقول

www.abulhasanalinadwi.org

الكتاب الآخرين في أدب الأطفال، فإن معظمهم يرمي إلى التسلية المجردة، أو تعليم بعض التصورات والأفكار المحدودة، وقصة أبي الحسن الندوي تجمع بين الغرض الفني والغرض الديني والتربوي، والعلمي في وقت واحد، وهو كاتب للأطفال أيضا وللكبار، وله براعة في تصوير المأساة وتصوير الأفراح والسعادة، وقلما يوجد مثل هذا الجمع في الإنتاجات الأدبية القصصية الأخرى، وخير دليل على سعة آفاق قصصه، أن الشيخ عبد الماجد الندوي صرح أن كتابه قصص النبيين للأطفال علم كلام جديد يستسيغه ذهن الأطفال فضلا عن تعليم اللغة والأدب[١].

وبهذا الاعتبار كان سماحة الشيخ الندوي رائدا للأدب الإسلامي للأطفال ومنشئا لمدرسة جديدة في القصة بالإضافة إلى بحوثه وأفكاره، وإسهاماته العلمية للعقلاء والمثقفين الكبار وأصحاب الفكر الناضج، وأدبه أدب طبعي خالص فيه إبداع وابتكار، وتوليد المعاني، وتحليل الوقائع، وفتح للأذهان، ودعوة إلى التفكير، والتدبر، وهو أول كاتب للأطفال في اللغة العربية في الهند، بهدف ومبدأ، وبتعبير سيد قطب الشهيد هو أنجح كاتب في القصة الإسلامية ليس في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي.

---

[١] -ويدل على مدى تأثير هذا الكتاب أن عددا كبيرا من عباد الأصنام أسلموا بقراءة الترجمة الهندية للكتاب، وصدرت لهذه الترجمة التي قام بها السيد أحمد علي الندوي، ونشرها وقف المرحوم محمد الحسني عدة طبعات، ونالت القبول العام، وكانت وسيلة مؤثرة للدعوة، وتنفير النفوس عن عبادة الأصنام ومكافحة البدع والخرافات، وترسيخ عقيدة التوحيد في أذهان الناشئة والكبار.

www.abulhasanalinadwi.org

ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال لأبي الحسن الندوي

بقلم

الدكتور سعد أبو الرضا

أستاذ بكلية آداب بنها مصر، أستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الإمام بالرياض، السعودية، ونائب رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

www.abulhasanalinadwi.org

مدخل:

القصة جنس أدبي يحقق إثراء الفكر، وإمتاع الوجدان، وهي من أجل ذلك وسيلة لتحقيق كثير من الغايات التي اختلفت باختلاف المذاهب الأدبية، وربما كانت الواقعية بتوجهاتها الاجتماعية أكثر المذاهب توظيفا لها في التعبير عن قضايا الفرد والمجتمع، والتبشير بالتغيير نحو الأفضل والأصلح، من هنا فقد اصطبغت القصة الواقعية بكثير من ملامح الواقع، واعتمدت على البيئة [١] في تشكيل بنيتها، ودقة رسم الشخصيات فيها، والكشف عن السلبيات، والإرهاص بتغييرها، وتوظيف لغة الحياد، وربما كان التزام الحياد الدرامي في الراوي المتكلم، من أهم السمات في القصة، لدرجة جعلت بعض النقاد يصفون هذا الموقف بالجمود المطلق وخلوه من المشاعر [٢].

وبرغم أن هذا المبدأ يكاد أن يكون ملمحا مميزا للقصة اليوم، لكن المعالجة الفنية للتاريخ في القصص يمكن أن تتجاوز هذا الحياد الدرامي، خاصة في قصص الأطفال الموجهة، دون أن

---

[١] -انظر الدكتور إحسان عباس كتاب العربي(٢٤) القصة العربية أجيال وآفاق ١٥/٧/١٩٨٩م ص ٩.

[٢] -المرجع نفسه ص: ١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

تستغرق المباشرة القصة.

حقا إن التجرد والحيدة يدعمان البناء الفني، ومن هنا كانت صعوبة قصة الأطفال الموجهة، في وقوفها على الخط الفاصل بين الحيدة والمباشرة، وعند هذا الخط تتعدد وسائل التوجيه، كما سوف يتضح في مجموعة (قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال) لشيخنا أبي الحسن الندوي"

وأعني بالتوجيه هنا توظيف الكاتب للوسائل التعبيرية في الشرح والتفسير مع المحافظة على الشكل القصصي، وتحقيق غاياته الفنية والفكرية الإسلامية، وذلك يتصل بالرؤية والأداة الكاشفة عنها، وما بينهما من ارتباط عضوي[١]، وسوف أشير إن شاء الله خلال معالجتي لهذه المجموعة القصصية، إلى بعض هذه الوسائل التعبيرية، التي تشكل خاصية التوجيه، وإسهامها في بناء هذه القصص، وتجليها كملمح مميز لها في طريقة الكاتب في التأليف والإبداع.

[١] -انظر د/ عبد المحسن طه بدر الرؤية والأداة. ط ٣ دار المعارف القاهرة، المقدمة.

www.abulhasanalinadwi.org

العوامل المؤثرة

ولقد كتب الشيخ أبو الحسن الندوي للكبار، وللناشئة، كما كتب للأطفال، ومن أهم ما كتبه في هذا المجال مجموعة "قصص النبيين للأطفال" ، ثم "قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال" معتمدا على كثير من المصادر التراثية في التاريخ الإسلامي وغيره منها: سيرة ابن هشام، وزاد المعاد لابن القيم، وصحيح البخاري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وغيرها، كما استفاد من بعض المصادر الأجنبية لكتاب "جنكيز خان" لهيرلد ليمب، وكتاب" الدعوة إلى الإسلام" لتوماس آرنولد.

وإذا كان الشيخ قد ظهرت لديه موهبة الخطابة، فقد نمت وتجلت بفضل اتصاله بشيخه محمد إلياس، الذي التقى به في دلهي، وقد أعجب الشيخ أبو الحسن به: خاصة في توجهه للجماهير، وارتحاله إليهم، وحسن استقبالهم لخطبه، وتأثيره العظيم فيهم[١]، بفضل طريقته في الدعوة إلى الله، وعرضه للأدلة، وبسطها وسلامة ترتيبها، وتقديمها لما به تصلح أحوال المسلمين وتتطور، من هنا فقد أصبح شيخنا أبو الحسن خطيبا

---

[١] -انظر د/ محمد رجب البيومي أبو الحسن الندوي سيرة ذاتية .

www.abulhasanalinadwi.org

داعية، أو داعية خطيبا، ولقد شكل هذا التوجيه معالجته لقصص التاريخ الإسلامي، إذ يغلب على هذه القصص أسلوب الخطيب الداعية، وهو مما يجلي فكرة القصة الموجهة لديه، كما سوف يتضح.

www.abulhasanalinadwi.org

ملامح التوجيه: الضمائر والعلاقات

ففي قصته (رسالة إلى رسول الله صلى‌الله عليه وسلم)[١] يستثمر الشيخ ما روي من أن رجلا جاء يوم اليرموك إلى أبي عبيدة رضي الله عنه ـ قائد المسلمين ـ فقال: إنني قد تهيأت لأمري(أي للشهادة) فهل لك من حاجة إلى رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو عبيدة: نعم! تقرأه عني السلام، وتقول: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا).[٢]

من ثم يتشكل الحدث في هذه القصة معتمدا على هذا الخبر، لتجسيد عنصر الحكاية بمعنييه اللغوي والفني [٣]، اللغوي على معنى النقل، أي النقل من التاريخ الإسلامي، وحكاية الكلام، والفني بمعنى توظيف هذا الحدث في بنية القصة لتحقيق الغايات الفنية، والإسلامية المنوطة بها، ومنها أن تثبت في ذهن

---

[١] -أبو الحسن علي الحسني الندوي قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، نشر مؤسسة الرسالة، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية، العدد: (٤) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٨٢.

[٢] -السابق نفسه وصفحة: ٨٣.

[٣] -انظر المعجم الوسيط ج ١ مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية طهران ص: ١٩٠.

www.abulhasanalinadwi.org

الأطفال ما نعتقده نحن المسلمين من (وصول الميت إلى عالم الآخرة، واجتماع الشهيد برسول الله صلى الله عليه وسلم[١]، وبرغم أنها فكرة مجردة لكن الشيخ يحاول بحسه الخطابي أن يقدم لها ما يسوغها بدليل بسيط يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩-١٢سنة) منتقلا عن طريق التماثل من علاقة مألوفة بسيطة يدركها الأطفال، هي علاقة الأب بالابن، وما بينهما من حب وحدب ورعاية، إلى علاقة أخرى تماثلها في كونها بين طرفين، لكنها تحتاج إلى مستوى أرقى في الإدراك، وهي علاقة الأمة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وما أثر عنه من رعاية شديدة لها، ليقيس الطفل الثانية على الأولى، فتستقر الفكرة العقدية المبتغاة في ذهنه، ويستطيع استيعابها، فالطفل في هذه المرحلة السنية المشار إليها يكون قادرا على القياس، وإدراك بعض العلاقات.[٢]

وهو يقدم هذا الدليل مقترنا بعدة وسائل تعبيرية أخرى أسهمت في تشكيل القصة، وإعطائها هذا الطابع الموجه الذي يعد من أهم سمات قصص الأطفال في هذه المجموعة عند الشيخ أبي الحسن، وهو ما خصصنا له هذه الدراسة، وهو في الوقت نفسه نتيجة لحسه الخطابي في الاتصال بالجماهير، من هذه الوسائل

---

[١] -قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص ٨٣.

[٢] -انظر: غسان يعقوب "تطور الطفل عند بياجيه" دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٢م ص ٨١، وكذلك انظر للمؤلف: النص الأدبي للأطفال، ط :١، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص: ٣١

www.abulhasanalinadwi.org

التعبيرية هيمنة ضمير الخطاب (ك) على الفقرة الأولى من القصة هيمنة، تجسد قوة الاتصال بين المرسل والمستقبل، فيتأكد التواصل المرجو بينهما، والتعاطف وحسن التلقي بين الطفل والعمل الأدبي، يتضح ذلك في (جاءك ـ أباك ـ لك ـ منك، بأبيك ـ أبوك ـ عنك، صحتك).

www.abulhasanalinadwi.org

التصوير

فإذا ما تحقق هذا المستوى من التواصل والإدراك والاستيعاب بالنسبة للطفل، لا يلبث الشيخ أن يدعمه بوسيلة تعبيرية أخرى في الفقرة الثانية هي التصوير البياني المتمثل في التشبيه، الذي برغم فنيته يمكن أن يناسب هذه المرحلة من مراحل الطفولة، فهو قياس على شكل صورة بيانية، تكشف عن علاقة الدنيا بالآخرة، وتوضح اعتقاد المسلمين أن الموت هوالجسر الذي يربط بينهما، و(كل من عبر هذا الجسر من المسلمين وصل إلى الآخرة، واجتمع هنالك برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشرف بزيارته، ولا بد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل عن أمته [١].

وإذا كان ضمير الخطاب هو المهيمن في الفقرة الأولى، فإن ضمير الغياب هو المسيطر في الفقرة الثانية، وذلك انتقال من المخاطب: الطفل الموجهة إليه القصة، إلى الغائب وهم المسلمون، الذين تتحدث القصة عن معتقدهم في الصلة بين الدنيا والآخرة، وعلاقة المصطفى صلى الله عليه وسلم بأمته، ومكانة

---

[١] -السابق نفسه، والصفحة نفسها، وكذلك قصص من التاريخ الإسلامي، ص: ٨٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الشهيد، وصلته بذلك المعتقد، عندما ينتقل من الدنيا إلى الآخرة، وينال الحظوة بلقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم، من ثم كان الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغياب، وسيلة تعبيرية أخرى لتثبيت الفكرة ودعمها في ذهن الطفل، عن طريق الالتفات بواسطة هذه المغايرة بين الضمائر، وأثر هذه المغايرة في تهيئة الطفل للتلقي والاستيعاب للفكرة.

وتأتي علاقة التخالف في الفقرة الثالثة ليستكمل بها شيخنا تقرير وتثبيت هذا المعتقد في نفس الطفل، فإذا كانت علاقة التماثل في الفقرة الأولى قد كشفت عن اهتمام الابن بالاتصال بأبيه، لإبلاغ سلامه إليه عن طريق القريب أو الصديق المسافر، وحرص الوالد على استقبال أخبار ابنه والاتصال به بواسطة هذا القريب أو الصديق المسافر، كما يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت على الالتقاء بالشهيد، وسؤاله عن أخبار أمته اهتماما بهم، فإن الفقرة الثالثة تبين أن القريب أو الصديق المسافر قد لا يلتقي بالأب، ومن ثم لا تصل أخبار الابن وسلامه إلى أبيه ولا يتم الاتصال بينهما، وهنا تتحقق المخالفة في أننا نحن المسلمين لا نشك في وصول الميت إلى عالم الآخرة واجتماع الشهيد لمكانته برسول الله صلى الله عليه وسلم واتصاله به، وسؤال المصطفى عن أحوال أمته، وذلك معتقد للمسلمين لا يتبدل أو ينتقض، وعلى أساس هذه المخالفة يمكن أن تتهيأ نفس الطفل لاستقبال ذلك المعتقد، ومن ثم يستقر في وجدانه.

www.abulhasanalinadwi.org

التناص وحكاية الحدث

ويشكل التناص مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لبنة مهمة أخرى في بنية هذه القصة، خاصة وهي تتحدث عن انتصار المسلمين، ووعد الله لهم بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿**إن جندنا لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ وكذلك حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما بشر بذلك (لتفتحن كنوز كسرى وقيصر) والنصان معا في صلب القصة بشرى لكل مؤمن بالنصر، مما يجلي الرغبة في الشهادة في ميدان الحرب غاية سامية إيجابية، يتطلع إليها المؤمنون، لأنها شهادة قرينة بالنصر، من ثم فقد جاء ذلك الرجل إلى أبي عبيدة وهو موقن بالأمرين معا الشهادة والنصر، متطلع إليهما معا، حريص على لقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبذلك يسهم التناص في تشكيل الحدث مجسدا عنصر الحكاية، كما أشرت في بداية هذه الدراسة، والحكاية هنا، هي ما يحكى ويقص، من مرسل إلى مستقبل مباشرة أو استحضارا، فيتأكد التواصل وحسن التلقي، والاستيعاب والتوجيه في القصة، وهكذا تتآزر هذه الوسائل التي تكشف عن محاولة الشيخ أبي الحسن تشكيل قصة للأطفال، تعتمد على الخبر التراثي، وتتوسل بوسائل الحس الخطابي لتثبت في نفس الطفل ذلك المعتقد الإسلامي، وهو

www.abulhasanalinadwi.org

الاتصال بين الدنيا والآخرة، والتقاء الشهيد هناك بالمصطفى صلى الله عليه وسلم.

والقصة بتركيزها على الحدث على هذا النحو، فقد لا يتاح للعناصر القصصية الأخرى، من عناية الكاتب ما يبرزها، وذلك لصغر حجم القصة، برغم فاعلية هذه العناصر الأخرى في هذه المساحة الضيقة، وهي فاعلية جلية في تحديد المكان والزمان والشخوص، إذ يتجلى ذلك في كون هذه المعركة معركة اليرموك التاريخية في الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

ويمكن أن تمثل هذه القصة بهذا التوجه وذلك التشكيل مجموعة من قصص هذا الكتاب منها (رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس) [١] مع فارق جلي بينهما أن قصة(رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) تعتمد في تشكيلها على الحدث بالدرجة الأولى، بينما حكاية (رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس)، تعتمد الشخصية في بنائها وتطورها، كما تعنى بالحدث وتجليه.

---

[١] -انظر السابق نفسه ص : ٩٠.

www.abulhasanalinadwi.org

التوجيه والحس الخطابي

ومما يكشف عن التوجيه أيضا كملمح في القصة نتيجة للحس الخطابي في هذه المجموعة القصصية: أن الكاتب قد يتجه مباشرة إلى متحدث أمامه، وكأنه يخاطبه، وذلك امتداد لتوظيف ضمائر الخطاب التي سبقت الإشارة إليها كوسيلة تعبيرية يتضح ذلك في قصته (قدرالشيء حق قدره والجزاء الأوفى عليه)[١] التي تتناول موقفا للحسن بن علي رضي الله عنه، عندما رأى عبدا يأكل رغيفا، فيضع لقمة في فمه، ويقدم الأخرى للكلب دون مغابنة حتى انتهى الرغيف، فما كان من الحسن رضي الله عنه، وإعجابه بموقف العبد إلا أن اشتراه وأعتقه، كما اشترى له البستان الذي وجده يؤاكل الكلب بجواره، يقول الكاتب في هذه القصة:

"كلكم تعرفون الحسن بن علي ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه... وإليكم حكاية تدل على علو همته، وأنه قدر الفعل الحسن حق قدره، والجزاء الأوفى عليه..."[٢].

---

[١] -السابق نفسه، ص: ٩٧.

[٢] -السابق نفسه، ص: ٩٧.

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك في قصة (جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس) [١] التي يكشف فيها الكاتب عن إسلام التتار بفضل حكمة ولباقة داعية إسلامي هو الشيخ جمال الدين من بخارى عندما رد بحكمة على تغلق بن تيمور خان ملك كاشغر، الذي أسلم ودعا غيره من مواطنيه إلى الإسلام، وبذلك تغير مستقبل الأسرة الحاكمة في تركستان من الكفر إلى الإسلام.

يقول الكاتب في هذه القصة:

"لعلكم سمعتم أو ستقرأون في كتاب التاريخ قريبا - خبر غارة التتار على العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري

"إليكم حكاية من حكايات هؤلاء الربانيين الكثيرة الذين يرجع إليهم الفضل في إقبال هؤلاء التتر على الإسلام..".

ويلاحظ في كلتا القصتين أثر(ضمير الخطاب الجمع) في استحضار الكاتب للمتلقين من الأطفال كلون من ألوان الاتصال والتجاوب مع النص، والتوجيه المباشر لهؤلاء المتلقين، وذلك ملمح يتضح في كثير من حكايات هذه المجموعة، وهو في الوقت نفسه نتيجة من نتائج الحس الخطابي لدى الشيخ أبي الحسن الندوي وهو يتوجه إلى الأطفال بحكاياته المستمدة من التاريخ.

وتأمل استخدام الشيخ للفظة(حكاية) بدلا من قصة، لأنها أبسط في شكلها، وأقرب إلى المتلقين من الأطفال، لوضوح الحدث فيها، وبساطة التعقيد، وقلة الشخصيات، واستخدام لفظة (كان..) بصورة لافتة للنظر، مؤكدة اتصال المرسل

---

[١] -السابق نفسه، ص: ١١٤.

www.abulhasanalinadwi.org

بالمستقبل وتواصلهما، وتجلى الدرس التعليمي المتمثل في لباقة الداعية إلى الله، وملاءمة الإسلام بمبادئه وتعاليمه لكل البشر.

بالإضافة إلى أن هذه الحكاية يمكن أن تكون امتدادا للرصيد الموروث على المستويين المحلي والعالمي لحكايات الأطفال، خاصة والفعل الماضي(كان) مع تغير ما يسند إليه كملمح لغوي مهيمن على كثير من قصص هذه المجموعة، وارتباط هذا الفعل بمعنى الحكاية اللغوي الذي أشرت إليه سابقا، بالإضافة إلى ما أثر من حكايات (كان.. يا مكان) للأطفال التي تعتمد على الراوي، وحشد الوسائل اللغوية التي أشرت إلى بعضها، من أجل تقريب المتلقى الطفل من المبدع الذي يحكي ويفسر ويسرد أحيانا، وتجلى ملمح التوجيه مشكلا لبنية هذه القصص.

كل ذلك من الأسباب التي تجعلني أقترح عنوانا آخر لهذه المجموعة، هو (حكايات للأطفال من التاريخ الإسلامي) بدلا من(قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال)، خاصة والمؤلف نفسه استخدم لفظة حكايات [١] في معالجاته للقصص الأخيرة من هذه المجموعة.

---

[١] -انظر على سبيل المثال الصفحات : ١١٧، ١٢٤، ١٢٥.

www.abulhasanalinadwi.org

المقدمة التفسيرية السردية

وفي قصته (الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) [١] نلاحظ أولا التناص في العنوان مع سورة يوسف عليه السلام، بتوظيف مادة (حفظ)، ونسبة الحفظ لله سبحانه وتعالى في كلا الموقفين: في الآية الكريمة عندما جاء إخوة يوسف عليه السلام يستأذنون أباهم في اصطحاب أخيهم الصغير إلى مصر، حيث يوسف أمين على خزائنها، دون أن يعلموا حقيقته، وكذلك في القصة الأولى من المجموعة التي نعرض لها، حيث يشير الكاتب إلى حفظ الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ورعايته له، ومن ثم يتشكل الحدث بأجزائه وقد هيمنت عليه فكرة حفظ الله للرسل. [٢].

---

[١] -انظر قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص: ١٣، وكذلك انظر سورة يوسف آية: ٦٤.

[٢] -انظر على سبيل المثال القصص التالية في هذه المجموعة: المضيف الجائع ص: ٢٠، شهامة اليتيم ص: ٣٣، من دون أحد ص: ٤٥، على الخشبة ،ص: ٦١، رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص: ٨٢، الغرم بدل الغنم ص: ٨٥، رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ص: ٩٠، قدر الشيء حق قدره والجزاء الأوفى عليه ص: ٩٦، لا حاجة إلى ذكر اسمي ص: ١٠٥، جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس ص: ١١٤.

www.abulhasanalinadwi.org

ومن مقومات الحس الخطابي هنا أيضا محاولات الكاتب التفسير والشرح والبسط ليصل إلى عقل المتلقي ووجدانه، سواء كان هذا الشرح لبعض مفردات اللغة الموظفة، أو للمواقف والأحداث، ومن ثم تتعدد وسائل ذلك الشرح، ليتحقق التواصل بين المرسل والمستقبل، ويتحقق التأثير والإمتاع، وهما عماد الخطاب في الخطبة، ولقد تجلى ذلك في هذه القصة كأدوات للكشف عن رؤية الكاتب التي يبغي تقديمها للأطفال، لتشكيل وجداناتهم بها، وتثبيت العقائد الصحيحة، والأخلاق القويمة، في عقولهم وقلوبهم، وهي هنا يمكن أن تتمثل في الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، ورعاية الله سبحانه وتعالى وحفظه له، والحث على الجهاد في سبيل الله.

ويتصل بهذا الموقف الفني الموجه للقصة، المتمثل في الشرح والتفسير، والذي هو صدى للحس الخطابي لدى شيخنا، المقدمة السردية التمهيدية للقصة، التي يحاول الكاتب فيها الإضاءة للمواقف المشكلة للقصة، عندما يحين حديثه عنها والتحامها بجسم الحدث مشكلة له، ولذلك تبدو هذه المقدمة كتمهيد، برغم اتصالها بما يليها من أحداث جزئية، وهي في الوقت نفسه ذات طابع تفسيري سردي، وذلك ملمح يتجلى في كل قصص هذه المجموعة تقريبا.

www.abulhasanalinadwi.org

أثر الاستفهام في تشكيل الحدث

ويتضح الأسلوب الإنشائي المتمثل في الاستفهام، والإجابة عنه وسيلة تعبيرية أخرى تكشف عن الحس الخطابي الموجه عندما يوظفها الكاتب للشرح والتفسير في القصة، مستحضراً جمهور الأطفال الذين(يوجه) إليهم هذه القصة، وفي الوقت نفسه: يبني به حدثه خلال تشكيلها، وقد يكون هذا السؤال نصاً تراثياً، لكن الكاتب يجلعه وإجابته يلتحمان ببنيته القصصية، ويسهمان في نموها، من هذه المواضع، قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه، عندما كان يتعجب من عدم اكتشاف الكفار لهما برغم يسر ذلك وهما مختفيان بغار ثور: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[١]، ثم يقرن الكاتب بذلك السؤال النص القرآني تأكيداً لحفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه، وكأنه إجابة عن السؤال: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**[٢]، مما ينمي الحدث، ويكشف عن الغاية الفكرية التي

---

[١] -السابق نفسه، ص: ١٥

[٢] -سورة التوبة، آية: ٤٠

www.abulhasanalinadwi.org

يجسدها العنوان، والمتمثلة في ﴿**الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين**﴾، فيستقر في ذهن الأطفال الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحفظه له.

وهناك أسئلة تسهم في تشكيل حدث القصة أيضا، لكن الكاتب لا يقدم إجابة عنها، ومع ذلك تحقق الشرح والتفسير، لأن السياق القصصي يوحي بهذه الإجابة تصريحا أو تلميحا، كما أنها ترتد شاهدة على عنوان القصة، مجسدة لتحققه، وذلك كقول الكاتب تعليقا على عدم اكتشاف المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، برغم وصولهم إلى مدخل الغار، ولكن إرادة الله وحفظه جعلت العنكبوت تنسج نسجها على باب الغار!! (وكيف يدخل أحد الغار، ولا يقطع نسج العنكبوت، ويبقى على حاله؟)[١].

من ثم يتآزر هذان السؤالان بإجابتهما في تشكيل هذا الموقف الكاشف عن حفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتدعم طريقة الكاتب في الحكاية (بمعنى ما يحكى ويقص) غايته في تثبيت ما ينيطه بالقصة من معتقدات إسلامية.

وبرغم أن الاختفاء في الغار حدث مستقل، لكن الكاتب يربطه بغيره من المواقف التي يلتقطها من التراث، للكشف عن حفظ الله للرسول صلى الله عليه وسلم، كما سوف يتضح، وليس هذا الربط ربطا تاريخيا، وإنما هو ربط قصصي منطقي، وبذلك يستثمر الكاتب السيرة النبوية الكريمة وأحداث التاريخ في

---

[١] -قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص : ١٤

www.abulhasanalinadwi.org

بناء حكاياته للأطفال.

ويشير الكاتب في حديثه إلى بعض التفاصيل المتعلقة ببعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وجهاده ضد الشرك والمشركين، وهجرته إلى المدينة، مبرزا لبعض مظاهر رعاية وحفظ الله لرسوله عليه الصلاة والسلام في هذه الأحداث، حتى تهيأ الرسول للغزو دفاعا عن الحق، وردا لكيد المشركين، وفي إحدى هذه الغزوات نام الرسول أثناء العودة منها، تحت شجرة، وترك سيفه معلقا بها، وانتهز أحد المشركين هذه الفرصة، والتقط السيف ووقف به على رأس الرسول مهددا إياه، سابرا شجاعته وثباته، وقائلا له: من يحميك مني الآن؟ فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم في ثقة وتلقائية: الله، مما أذهل المشرك فسقط السيف من يده، وبذلك ينقلب الموقف، إذ يلتقط الرسول صلى الله عليه وسلم السيف، ويسأل خصمه عما يمنعه هو منه الآن؟ وبينما يستجدي المشرك عفو الرسول، يطلب منه صلى الله عليه وسلم الشهادة، لكن الرجل يرفض، ويعاهد الرسول صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يعفو عنه، ويذهب الرجل إلى أصحابه، مقررا لهم أنه التقى بخير البشر.

وإذا كانت معظم الأحداث السابقة في هذه القصة مقررة في مصادر التراث الإسلامية، فإن أول مسوغات التقاط الكاتب لها ومحاولة الربط القصصي بينها، أنهاجميعا تكشف عن مظاهر حفظ الله للرسول صلى الله عليه وسلم ورعايته له، كما أوضحت.

ويتضح السؤال والإجابة عنه كوسيلة تعبيرية توجيهية في

www.abulhasanalinadwi.org

هذه القصة أيضا، عندما يتناول الكاتب فيها موقفا آخر من المواقف المشكلة لحدثها، وهو تلك الغزوة التي نام الرسول صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ليستريح أثناء العودة منها، يقول الكاتب في هذا الموقف من القصة، شارحا معنى (الغزوة): (وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة، هل تعرفون ما هي الغزوة؟) وتصبح الإجابة عن هذا السؤال شرحا للمفردة، ومدخلا لبناء الحدث في هذا الموقف ليتكامل مع غيره في تشكيل القصة:

(لعلكم تعلمون أن المسلمين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل الله، وكانوا يقاتلون المشركين والكفار لوجه الله تعالى، ولعلكم تعلمون فضيلة الجهاد في سبيل الله؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج أحيانا مع المسلمين وأحيانا يمكث في المدينة لشغل أو مصلحة، ويبعث جندا من المسلمين.

فالغزوة ما خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جند من المسلمين للجهاد في سبيل الله، نعم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ورجع عنها في الظهيرة، وكانت أيام الصيف، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستريح..)[1].

وتأمل فيما سبق تكرير(لعلكم) بما تتضمنه من خطاب يهيمن على هذه الفقرة وسياقها، ليستحضر المخاطبين، ويتحقق التواصل والتوجيه.

---

[1] -السابق نفسه ص: ١٦-١٧

www.abulhasanalinadwi.org

محورية الفعل الماضي (كان)

ومن الطبيعي في مثل هذا السياق القصصي الحكائي أن يسود الفعل الماضي، كملمح لغوي آخر، خاصة الفعل (كان) مع تغير ما يسند إليه، كما تتخذ الأفعال المضارعة، الدلالة الزمنية نفسها في هذا السياق، مسهمة في تشكيل العنصر الحكائي القصصي الذي يجسد التوجيه، وهو في الوقت نفسه يجتذب الأطفال في جميع مراحل عمرهم، لكون هذا الزمن يدل على أحداث قد تمت وتحققت، خاصة عندما تتضمن ما يثير دهشتهم، بكشفها عما لا يتوقع، كاختفاء الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه بالغار، ووصول المشركين إليه دون اكتشافهم لمن فيه، وعدم خوف الرسول صلى الله عليه وسلم من تهديد المشرك والسيف في يده.

وقد يكون مصدر الدهشة التحولات غير المتوقعة، خاصة عندما ترتبط ببعض مظاهر البطولة، كسقوط السيف من يد المشرك، والتقاط الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا السيف، وتحوله من مهدد إلى مهدد، ولا تفسير لغير المتوقع فيما سبق إلا إرادة الله سبحانه وتعالى الحافظة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه رضي الله عنه، وهو ما يجسد عنوان هذه الحكاية أو القصة، كما أن مظاهر البطولة والشجاعة هنا مما يناسب نمو

www.abulhasanalinadwi.org

الطفل في هذه المرحلة السنية التي تلائمها هذه القصة، وهي مرحلة الطفولة المتأخرة[١]، التي يميل الطفل فيها إلى المغامرة والبطولة والمنافسة والشجاعة، وهذه الحكاية من الحكايات التي يمكن أن تشبع هذه الميول.

[١] - انظر ذكاء الحر: الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة بيروت لبنان، ط: ١ سنة ١٩٨٤م، ص: ٤٧، وكذلك انظر النص الأدبي للأطفال، ص: ٣٨.

www.abulhasanalinadwi.org

بعد جديد لمفهوم التاريخ الإسلامي

والقصتان الأخيرتان في هذه المجموعة وهما: **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ و﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ يتضح فيهما كثير من خصائص (التوجيه) التي أشرت إليها سابقا، لكنهما تضيفان بعدا جديدا لمفهوم التاريخ الإسلامي في ذهن الأطفال، بكشفهما عن جانب من صراع المسلمين في الهند، ونضالهم من أجل عقيدتهم، والدعوة إليها، وهو جانب مجهول، به تكتمل حلقات هذا التاريخ وتتصل، ويتمثل ذلك في نضال الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٠١- ١٢٤٦هـ) الذي بويع بالإمارة سنة ١٢٤١هـ منشئا دولة إسلامية على الحدود الشمالية للهند، قاومت المستعمر وروعته، بفضل أولئك الرجال الذين رباهم على الإسلام وتعاليمه.

كما تكشف هاتان القصتان أيضا عن(التناص مع القرآن الكريم) في العنوان، وأن ذلك وسيلة تعبيرية يعتمد عليها الكاتب، للتأثير بها في المتلقين وتوجيههم خاصة عندما يسهم هذا العنوان في تشكيل الحدث في الحكاية، في بعض قصص هذه المجموعة، والتي منها أيضا: ﴿**الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين**﴾ التي سبقت الإشارة إليها كنموذج لهذه الوسيلة التعبيرية.

www.abulhasanalinadwi.org

ولعل ما أشرت إليه من وسائل تعبيرية في تشكيل مجموعة (قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال) للشيخ أبي الحسن الندوي، قد كشفت عن أثر الحس الخطابي لديه في إبراز ملامح التوجيه في هذه المجموعة القصصية، مجلية نموذجا من نماذج قصص الأطفال وحكاياتهم، وهي قصة الأطفال الموجهة.

www.abulhasanalinadwi.org

أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي

بقلم

الأستاذ نصر عبد الله سلامة العتوم
الجامعة الأردنية ـ كلية الحقوق

www.abulhasanalinadwi.org

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

في هذا البحث محاولة جادة للتعريف بشخصية إسلامية من خلال أفكاره الرائعة في الدعوة والتربية واللغة والفكر والنفس، فهي شخصية المربي الفاضل أبي الحسن الندوي الأمين العام لندوة العلماء لكناؤ، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، كرم الله وجهه بنور الإسلام، هذه الشخصية قدمت لطفلنا المسلم تراثاً تاريخياً خالداً أعادت بريقه، ولمعت جوانبه، هذه الشخصية تحدثت عن أمجاد أمتنا الإسلامية، وسمو أخلاقها بأسلوب الداعية الصادق الذي تتدفق منه كلمات الدعوة ملتهبة، تحمل صدق العاطفة، وسمو الروح، شخصية لسانها رطبٌ بالدعوة إلى الله، عزيمتها صلبة متمسكة بعرى الإيمان الوثقى.

لقد دفع الباحث إلى كتابة هذا البحث الغيرةُ على أطفالنا المسلمين، وما يحتاجونه من وعي تام لمعرفة تاريخهم الإسلامي الممتد منذ آدم عليه السلام حتى وقتنا هذا، والرغبة الطامحة في استطلاع لعقل طفلنا المسلم على الواقع الإسلامي قديماً

www.abulhasanalinadwi.org

وحديثا، لأنه قبل التفكير في بناء الحضارة الإسلامية وجب تفكيرنا في الطفل المسلم الذي هو أساس هذه الحضارة، ثم بناء طفولته الإسلامية بناء سليما.

يحمل هذا البحث أهدافا هي التعريف بشخصية الندوي، وفكره الأدبي للطفل، بالإضافة إلى ذلك، فإنه يهدف إلى حث آباء أطفالنا وأمهاتهم على اختيار واع لقصص الأطفال التي تكون هوية الطفل الإسلامية وتصقل شخصيته.

ومع هذا فقد واجه الباحث صعوبة كبيرة من حيث قلة المراجع للبحث وعدم وفرتها، فلم يستطع الباحث - على الرغم من جهده الشخصي - أن يعثر في المكتبات الأردنية على كتب أبي الحسن للأطفال سوى ثلاثة كتب هي : "قصص النبيين للأطفال" و"سيرة خاتم النبيين" و" قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال" وعلى الرغم من هذا، قام الباحث باستكشاف الأساليب التربوية واللغوية والفكرية التي يعالجها فكر أبي الحسن الندوي في أدب الأطفال.

... ولقد كان هذا البحث في ستة مباحث، تتكلم في اللغة، والدعوة، والتربية الإسلامية، والجانب الفكري والنفسي، والثقافة الإسلامية، والاتجاه الإسلامي، محاولا في ذلك إبراز عدة نواح في الفكر واللغة والدعوة والتربية تهم أدب الطفل من خلال دراسة الباحث المتأنية لكتب أبي الحسن الندوي فيها.

... وفي الختام أستغفر الله من كل خطأ وزلل، وأدعو الله بالتوفيق، وحسبي الله، ونعم الوكيل.

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الأول

اللغة

يظهر اهتمام أبي الحسن الندوي في اللغة من خلال الأمور التالية:

١- الدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية عند الطفل المسلم: هذا واضح في كل قصصه وحكاياته عن التاريخ الإسلامي، تراه في جمله المتينة، وألفاظه السهلة، ومعانيه العذبة بما يتناسب وروح النص في سياق حديثه عن أي موضوع، أما الألفاظ فسهلة تراها بعيدة كل البعد عن الألفاظ الغريبة، وأما المعاني فعذبة، لأنها خصبة بالروح الإسلامية، وأما الجمل فمتينة وترابطها يدل على متانتها، حتى تكاد أن تكون قصصه موسوعة طفل غنية بمفردات اللغة العربية، وهي سمة أصيلة في منهج أديبنا الإسلامي أبي الحسن الندوي.

٢- البعد عن الخيال الوهمي في أدبه مع الطفل: ولا شك في هذا لأنه يروي تاريخا، لا سيما أن التاريخ الإسلامي هو حقائق ثابتة سجلها القرآن الكريم والسنة النبوية، ودونتها انتصارات المسلمين الرائعة على مر الأيام، فقصص الأنبياء كقصة إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هي

www.abulhasanalinadwi.org

حقائق ثابتة ذكرها القرآن، لا يمحوها زيف زائف، أو عبث عابث، فالأدب الذي يكتبه الندوي للطفل هو الأدب المسلم، إذ يتسم بالحقيقة والثبات، وهذه سمة بارزة في أدب أبي الحسن الندوي.

٣- استخدام الأساليب اللغوية في أدبه مع الطفل: فتراه يستخدم صيغ الاستفهام أسلوباً عندما يرغب في البرهنة على صحة كلامه، أو عند تقرير أمر ما، وهذا الأسلوب يفيد عدة معان منها الاستنكار كقوله: "وقال للأصنام: ألا تتكلمون؟ ألا تسمعون؟"[١].

- ومنها تقرير كقوله: " ألا يستحق أهل السجن الرحمة؟ أليس أهل السجن عباد الله؟"[٢].

كما أنه يستخدم أسلوب الحوار حينما تكون الأحداث بحاجة ماسة إلى هذا الأسلوب، فالحوار يضفي على النص روحاً وحماسة تستنشط همة القارئ، وتدفعه إلى إتمام القراءة، كما أنها تبين طريقة للتعامل مع الناس في الكلام والمناقشة، فالحوار أسلوب هام في الدعوة، وهذا ما أكده شيخنا الكبير أبو الحسن الندوي، نذكر منها موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من الملك[٣].

- والأسلوب التكراري للجمل والمفردات هو أيضاً من

---

[١] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة ١٩٩٣م، ص :١٢.

[٢] -نفس المرجع السابق، ص : ٤٣.

[٣] - نفس المرجع السابق، ص : ٢٠-٢١.

www.abulhasanalinadwi.org

الأساليب التي استخدمها أبو الحسن في أدب الأطفال، فالتكرار يثبت في ذهن القارئ المعاني التي يريدها ويبين أهميتها"، فيوفي الفكرة حقها، ويشبع جوانبها، وخير مثال على ذلك ما يلي:

"وكان آزر له ولد رشيد، رشيد جدا، وكان اسم هذا الولد إبراهيم، وكان إبراهيم يرى الناس يسجدون للأصنام، ويرى الناس يعبدون الأصنام، وكان إبراهيم يعرف أن الأصنام حجارة"[١].

٤- التركيز على الحدث الماضي: لجأ الندوي إلى الماضي وقدم قصصه بأسلوب عصري يناسب الطفل المسلم، ويبدأ أبوالحسن كل قصة من قصصه بالفعل الماضي، ومن الأمثلة على ذلك:.

"وكان يوسف ولدا صغيرا، وكان له أحد عشر أخا"[٢].

"وجاء على عرش مصر ملك جبار جدا"[٣].

فالأطفال عادة يحبون سماع قصص الماضي لأنهم يجدون بها ذوقا رفيعا وحلاوة عجيبة، لأن الحديث عن الوقائع في الزمان الماضي أسهل من الحديث عن الوقائع في الزمن الحاضر، ولأن هناك صعوبات تحول دون الحديث عن الوقائع الحاضرة.

٥- الجوانب الحيوية ذات العلاقة الحية مع اللغة: وهذه من الأمور التي راعاها أبو الحسن في أدبه مع الطفل.

فاختيار العنوان الملائم للقصة، هو المفتاح الذي يدل

---

[١] - نفس المرجع السابق، ص: ١٠.
[٢] - نفس المرجع السابق، ص: ٣٠
[٣] - نفس المرجع السابق، ص: ١٤٣.

www.abulhasanalinadwi.org

على ماهيتها، وهذا ما سيتحدث عنه الباحث في مبحث لاحق إن شاء الله تعالى.

واستخدام الترقيم لـه فـائدة مرجـوة، هـي محاولـة تدريـب الطالب على علامات الترقيم، وأوقات استخدامها وفوائدها.

كمـا أن التبويـب لكـل قصـة، أمـر ضـروي، لأن الطفـل يثقل مـن الحشـو دون أرقـام، وأبـواب، ومـا يلاحظـه البـاحث أن الباب يحتوي علـى فكـرة يمكـن أن تتلخـص في سـطر أو سـطرين، لكن أبا الحسن يكرر الفكرة في أكثر من قالب لغوي رائـع، فيجـد الطفل في ذلك متعة وتشويقا أكثر.

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني

الدعوة

يجعل أبو الحسن الندوي من قصصه مناخا للدعوة، يعيش الطفل في حرارتها المناسبة، إذ يعتبر أبو الحسن الدعوة عنده هدفا رئيسيا من أهداف أدب الأطفال، ويبدو هذا من خلال استعراضه الفعلي لآداب وأساليب وأسرار الدعوة، فيحس الطفل وهو يقرأ بأن الأفكار والمعاني أحياء تتحرك على الأرض، وهذا يظهر من خلال الأمور التالية:

أولا: يكشف عن آداب الدعوة الإسلامية التي يحتاجها الداعية في كل زمان ومكان:

فأبو الحسن داعية إسلامي له في مجال الدعوة باع طويل، إذ يكشف للطفل المسلم عن آداب الدعوة الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال فهمه الرائع لمفردات القرآن ومعانيه، وآياته المتناسقة، فيؤكد أن هذه الآداب هي سلعة الدعوة التي يهبها للناس على اختلاف عقائدهم وتصوراتهم عن الحياة، ومن الضروري أن نؤكد على أن هذه الآداب هي هبة الله للدعاة المؤمنين على مر الأزمنة، وفي جميع الأمكنة، وهذه الآداب التي يكشف عنها أبوالحسن في معرض حديثه عن قصص الأنبياء والرسل، تجعل من الطفل خامة خصبة للدعوة - إن صح التعبير -

www.abulhasanalinadwi.org

وفي التعبير العلمي "مادة أولية للدعوة" فيؤكد أن هذا الطفل هو اليوم شبل، وغدا هو الداعية.

وهذه الآداب التي يكشف عنها تتبين من خلال النماذج العظيمة من دعوة الأنبياء والصالحين التي وردت في قرآننا العظيم، أو من خلال النماذج الكريمة من دعوة الصحابة والتابعين، والفاتحين من أبطالنا المسلمين التي سطرتها صفحات تاريخنا الإسلامي المضيء.

١- آداب الدعوة التي تتكشف من خلال النماذج الطاهرة من دعوة الأنبياء والصالحين والتي وردت في قرآننا الكريم، نذكر منها:

أ- نموذج من دعوة إبراهيم عليه السلام: يقول الله تعالى: **﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾** لمريم: ٤٢]، **﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾** [مريم: ٤٤]، إن كلمة "يا أبت" فيها إثارة للحنان الأبوي[١]، وهذا أدب عظيم مع الوالدين يعرضه أبو الحسن للأطفال، فدعوة الوالدين تحتاج إلى إثارة العاطفة والشفقة والرأفة.

﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ يا أبت اعبد الرحمن، وغضب والد إبراهيم وقال: أنا أضربك، فاتركني ولا تقل شيئا، وكان إبراهيم حليما[٢].

---

[١] -أبو الحسن، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، ص:٢٠.

[٢] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ص: ٢١-٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

ب ـ نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السلام: يقول الله تعالى: ﴿ **ذلكما مما علمني ربي ، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾[١] هذه الآيات تعرض نموذجا من دعوة يوسف عليه السلام، قام أبو الحسن بتجزئتها والتعليق عليها، حيث أكد أن الحكمة هي مفتاح الدعوة، ومن الحكمة في الدعوة حسن افتتاح الحديث[٢] ، فيطمئن سيدنا يوسف صاحبيه في السجن، ليمهد بعد ذلك الجو المناسب للدعوة فيقول لهما: ﴿**ذلكما مما علمني ربي**﴾"فجلسا واطمأنا ثم قال لهما يوسف: أنا عالم بتأويل الرؤيا، ذلكما مما علمني ربي" ففرحا واطمأنا، وهنا وجد يوسف الفرصة فبدأ موعظته"[٣] .

ثم يشرح لهما دعوته بعد أن اطمأن إليهما وهيأ قلوبهما: ﴿**أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾ أين رب البر، ورب البحر، ورب الرزق، ورب المطر؟"[٤].

"وكان لو قدم هذا قبل ذلك الكلام، لكان ثقيلا على

---

[١] -سورة يوسف: الآية: ٣٧-٣٩ .

[٢] -انظر: أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، ط: ٢، ١٩٨١م، ص: ٣٧.

[٣] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الثامنة عشرة، ١٩٩٣م، ص: ٤٤-٤٥.

[٤] -نفس المرجع السابق، ص: ٤٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

آذانهما، وعلى قلوبهما"[١] "وهناك شعر سيدنا يوسف بأن الفراغ الذي وجد في قلوبهم قد ملئ، وليس من الحكمة الآن أن يطيل الكلام ويتوسع في الحديث عن التوحيد، والطبيب النطاسي يعرف مقدار الوجبة من الدواء، ومدى صلاحية المريض وحاجته، فلا يزيد عليها، إنها طريقة الداعي الملهم"[٢].

"ولما فرغ يوسف من موعظته أخبرهما بتأويل الرؤيا"[٣].

جـ- نموذج من دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

يعرض أبو الحسن هذا النموذج في باب خاص تحت عنوان: "الدعوة جهاراً على جبل الصفا"، فيوضح للطفل أن النداء أسلوب من أساليب الحماسة في الدعوة، يستثير همم الرجال، ويستقطب أنظارهم وعقولهم، ومثال ذلك ما أورده الندوي قائلاً: فخرج صلى الله عليه وسلم، وصعد على جبل "الصفا" ونادى بأعلى صوته: يا صباحاه" وكانت صيحة معروفة مألوفة، كلما أحس إنسان بخطر عدو، يغير على بلد، أو على قبيلة، على غفلة منها نادى" يا صباحاه" فلم تتأخر قريش عن تلبية هذا النداء"[٤]، كما يوضح للطفل أن الصدق أساس الدعوة، وأن الرجل الصادق هو الرجل الداعية، يقول أبو الحسن

---

[١] -أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دار القلم، ط: ٢، ١٩٨١م، ص: ٤٣.

[٢] -نفس المرجع السابق، ص: ٤٤-٤٥.

[٣] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٨، ١٩٩٣م، ص :٤٧.

[٤] -أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة عشرة، ١٩٩٤م. ص: ٥٢-٥٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الندوي: "كان العرب واقعيين عمليين، إنهم رأوا رجلا جربوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة. فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا الخبر الأمين الصادق"[١].

إلى جانب ذلك يوضح الندوي للطفل المسلم أن الداعية سيجد المعارضة والمقاومة حتى من أقرب الناس إليه، لأن دعوة الحق ثقيلة على النفوس، تعني الاستعلاء على كل ضغوط شهوات الحياة الدنيا، وقد أكده الندوي بقوله: فسكت الناس، ولكن أبا لهب قال: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟"[٢]

٢- آداب الدعوة التي تتكشف من خلال النماذج الزكية، من دعوة الصحابة والتابعين والفاتحين المسلمين التي سطرتها صفحات تاريخنا الإسلامي، ودونتها بطون الكتب والسير المليئة بالعظماء الماجدين.

أ- نموذج من دعوة جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة:

هذا النموذج لوحة رائعة بالغة، روعتها في دقة الوصف وحسن الجمال، فأبو الحسن إذ يكتب كلام جعفر بن أبي طالب بالكامل، ويضع لكلام جعفر أمام النجاشي عنوانا رائعا يطلق عليه اسم: "تصوير جعفر بن أبي طالب للجاهلية وتعريفه بالإسلام".

ثم يبين خيبة مسعى الكافرين بقوله: "خيبة وفد قريش" فأبو الحسن في هذا النموذج يبين كيفية الدعوة في بلاط الملوك

---

[١] - نفس المرجع السابق، ص: ٥٣-٥٤.
[٢] - نفس المرجع السابق، ص: ٥٤.

www.abulhasanalinadwi.org

والسلاطين قائلا : "يقول أصحاب السير: سمع النجاشي كل ذلك في هدوء ووقار، ولعل ما أبداه جعفر من الثقة بعدله، وحسن جواره كان عونا على ذلك، والملوك العقلاء يحرصون دائما على حسن الصيت، وطيب القالة، وتحقيق حسن الظن بهم"[١].

ولعل مقصد أبي الحسن من إيراد هذا الخطاب كاملا هو بيان ظلم الجاهلية ونظافة الإسلام، وتقرير ذلك في نفس الطفل، وقلبه، وعقله، وكأن لسان حال الندوي يقول: تعالوا! انظروا هذا ظلم الجاهلية، وهذه عدالة الإسلام وطهارته.

كما يبين أبو الحسن للطفل المسلم من هو عيسى ابن مريم الذي يؤلهه النصارى ويعبدونه ! يوضح ذلك من خلال كلام جعفر للنجاشي: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، ولا شك أن هذا تمرين من أبي الحسن للطفل المسلم صاحب العقيدة الصلبة والنبع الصافي، يعلم فيه الطفل كيفية الرد على النصرانية عقيدة الصليب والشرك.

ب- نموذج من جواب كان السبب في إسلام مئات الألوف من الناس: هذه القصة تروي حكاية لحوار لطيف بين الملك التتري تغلق بن تيمور وبين الشيخ جمال الدين الفارسي، تمخض الحوار بينهما عن اقتناع الأمير بالإسلام، وقد أسلم على يد هذا الملك - بعد تسلمه الحكم - الأمراء كلهم، ودخل التتار المتوحشون في الإسلام واعتنقوه، وأصبحوا قادة فتح إسلامي

---

[١] -أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دارالقلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، ص: ١٢٤.

www.abulhasanalinadwi.org

بعد أن كانوا دمارا للإسلام والمسلمين، ويبين أبو الحسن في هذه القصة أسلوب الداعية الشيخ الفارسي في الحوار الذي كان سبب إسلام الملك التتري [١].

ثانيا: يكشف عن أسرار الدعوة الإسلامية:

١ـ "فالقرآن كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة" [٢]، فتراه يبعد كثيرا عن الأحكام الفقهية الشرعية، لأن المقصود من كتبه للأطفال هو دعوتهم إلى التمسك بإسلامهم، والدعوة إليه، وهذا مما لا شك فيه، لأن أبا الحسن داعية، فكتبه التي تتكلم عن سيرة الأنبياء، والصالحين، ودعوتهم، إنما المقصود منها هو دعوة لأطفالنا المسلمين، إلى الاقتداء بأخلاق أولئك الدعاة من الأنبياء الكرام والصالحين العظام، يقول تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾.

٢- ومن أسرار الدعوة التي يكشف عنها أبو الحسن هي أن "الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة، وتقيد بها" [٣]، فالدعوة تعتمد على قوة الشخصية في الكلام، وفي سرعة البديهة، واستحضار الفكرة في الذهن، فهو يحاول تنشيط ذاكرة الطفل، ويوفر له آداب الدعوة وأسرارها، ووسائلها المتاحة،

---

[١] -أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٩٩٢م، ص: ١١٤- ١٢٣.

[٢] -أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، دارالقلم، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، ص: ١٠.

[٣] -نفس المرجع السابق، ص: ١١.

www.abulhasanalinadwi.org

ليهيئه في يوم ما كداعية يستطيع أن يتأقلم مع الظروف المحيطة بالدعوة، فيبين له أن الدعوة في السجن لها كيفيتها واختلافها[1] عن الدعوة في القصر، مثلا، وأن الدعوة في مكان يقطن فيه آلاف السحرة، يختلف مثلا عن الدعوة في مكان يقطنه عباد العجل، وأن الدعوة في زمن سابق، تختلف عن الدعوة في زمن لاحق لاختلاف الظروف المستجدة، والمستحدثة في كلا الزمنين، لذا يجب مراعاة الكيفية اللازمة للدعوة من حيث اختلاف ظروف زمانها ومكانها.

٣- ومن أسرار الدعوة أيضا أن لها مساحة زمانية ومساحة مكانية[1]، فالتوحيد دعوة الأنبياء جميعا، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت لدعوته مساحة زمانية إلى يوم القيامة، ومكانية هي الأرض جميعا، بينما كانت دعوة الأنبياء لها مكان محدد في أقوام معينة وزمان محدد، يبدأ ببداية دعوة النبي المؤسس، وينتهي بوفاة ذلك النبي، وقد أكد على هذه النقطة العلامة أبو الحسن الندوي، والشواهد على ذلك كثيرة، وتسميته "سيرة خاتم النبيين" عنوانا لكتابه تأكيد ينبه أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هي دعوة باقية إلى آخر الزمان، لأنه خاتم المرسلين، يقول الله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.

٤- ومن أسرار الدعوة أنها لا تتم بالسيف والقوة، وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**

---

[1] - نفس المرجع السابق، ص: ١٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[١]، فالدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها، وهذه الأساليب كلها، ثم قال: ﴿**إلى سبيل ربك**﴾ وأي كلمة أوسع أفقا وأعظم إطلاقا من قوله تعالى: ﴿**سبيل ربك**﴾ إن الحكمة ـ الكلمة البليغة العربية التي جاءت في الآية ـ لا اعتقد أنها من الممكن ترجمتها، أو نقلها إلى لغة أخرى، وكذلك الموعظة كلمة مطلقة، والحسنة أيضا كلمة مطلقة، وهنا جاء القرآن ليحل هذه المشكلة فأطلق وقيد وأوجز وأعجز، فقال: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ الآية[٢]، وعلى سبيل المثال دعوة سيدنا إبراهيم مع الملك النمرود، فكانت دعوته مؤسسة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن"[٣].

فمجرد أن يكشف الداعية هذه الأسرار اللطيفة سرعان ما يتبين له حلاوة الدعوة وإن صعبت، ولطافتها وإن توعرت مسالكها، هذه سنة الله في الدعوة، كتب عليها أن تشهد صراعا بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الإسلام والجاهلية.

ثالثا: يكشف عن أنواع للدعوة الإسلامية:

من خلال دراستي لقصص النبيين تبين لي أن الشيخ أبا الحسن قد وضح للطفل أنواعا من الدعوة، تعتمد على الظروف الملائمة في البيئة الملائمة، فالدعوة السرية تبدأ في بيئة جغرافية

---

[١] - سورة النحل، آية: ١٢٥.

[٢] - أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، الكويت، ط: ٢، ١٩٨١م، ص: ١٤-١٥.

[٣] - نفس المرجع السابق، ص: ١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

خالية من الأفكار التي تنادي بها هذه الدعوة ، ثم تحتاج هذه الأفكار إلى حملة يعتنقونها ، ويدينون بها ، ويتحملون تبعاتها ، هم الأرض التي تنمو الأفكار عليها ، وحتى تحيا هذه الأفكار في قلوب حامليها ، يجب أن يكون هناك مناخ يلائمها تستقي منه أشعة النور والضياء ، فالأفراد(الأرض) ، والمناخ(الشريعة والنظام الرباني) ، والأفكار هي عناصر أساسية لإرساء قواعد الدعوة والنهوض بها إلى الأعلى ، وحتى تعيش هذه العناصر ويكتب لها النجاح لابد من أن يتوافر لها شرط لازم وضروري هو السرية في هذه الدعوة ، هذه السرية واجبة حتى لا يتجهض في حينها ، وتنتهي حيث ولدت ، ولهذا فإن الدعوة السرية هي مرحلة مخاض لولادة دعوة قوية مؤثرة ، تكون فيها الآلام نتيجة طبيعية وحتمية لهذا المخاض ، وقد بين أبو الحسن هذه الدعوة حينما تحدث عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم السرية والتي دامت ثلاث سنوات ، ثم تكون بعد ذلك الدعوة الجهرية ـ العلنية ـ حيث تبدأ حين استكمال العناصر والشروط الأساسية لوجود الدعوة واستمراريتها ، وخطبة الرسول في قريش على جبل الصفا خير شاهد على ذلك ، وهنا يؤكد أبو الحسن لأطفال المسلمين أن الدعوة تتعرض لهزات عنيفة ومصادمات قاسية ، وأن الداعية هو الذي سيدفع الآلام والأوجاع ثمنا لاعتناقه أفكار الدعوة ومبادئها ، كما يؤكد الندوي من خلال عرضه للقصص أن نجاح الدعوة يؤسس على نجاح السرية فيها ، وحتى يكتب ذلك النجاح فإن من الواجب أن يكون التنظيم سريا ، والدعوة علانية ، فالسرية في التنظيم والعلانية في الدعوة.

www.abulhasanalinadwi.org

كما يؤكد أبو الحسن أن أنواع الدعوة تختلف باختلاف أزمنتها وأمكنتها وبيئاتها والظروف المحيطة بها، كدعوة يوسف في السجن، ودعوة موسى لفرعون في قصره.

رابعا: إعداد الطفل كداعية إسلامي إعدادا أوليا:

فاستعراض أبي الحسن الندوي للنماذج الحية من دعوة الأنبياء والصالحين هي دعوة لأطفال المسلمين أن يصبحوا دعاة الله في الأرض، ففي هذه النماذج من تلك الدعوات المرحلة الإعدادية للطفل كداعية، إذ تؤسس فيه عمل الدعوة، وتحرك فيه دوافعها، فالنماذج التي تحدث عنها الباحث من دعوة سيدنا إبراهيم، ويوسف، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وجعفر بن أبي طالب هي لوحات رائعة للأطفال في حقل الدعوة، ودعوة فريدة لأطفالنا المسلمين في الالتحاق بقافلة الدعاة إلى الله، وكأنها صيحات تهمس في آذان أطفالنا أن يتمثلوا هذا النهج العظيم من الدعوة إلى الله، ويسلكوا طريق الدعوة يرفعون راية التوحيد عاليا، "لا إله إلا الله".

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثالث

التربية الإسلامية

يقدم أبو الحسن الندوي في بداية كتابه قصص النبيين ـ القسم الأول ـ نصيحة لابن أخيه" محمد" [١] مملوءة بالحرص والوعي لمستقبل ابن أخيه من جهة، وبالندم والخجل من القصص العربية من جهة أخرى، نصيحة بدراسة قصص الأنبياء وتعلم اللغة العربية، يقدم هذه النصيحة التربوية التي تحمل في ثناياها كل الأسف والخطل من القصص العربية التي لا تتكلم إلا عن الحيوانات والأساطير والخرافات، فيقول: "ابن أخي العزيز! أراك حريصا على القصص والحكايات .. ، ولكني أتأسف لأني لا أرى في يدك إلا حكايات السنانير والكلاب والأسد والذئاب والقردة والذباب .. ولكني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنك من القصص العربية، إلا قصص الحيوانات والأساطير والخرافات، فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين عليهم صلاة الله وسلامه بأسلوب يناسب سنك

---

[١] –هو الداعية الإسلامي الكاتب القدير الأستاذ محمد الحسني منشئ مجلة" البعث الإسلامي" الصادرة بندوة العلماء لكناء، ولد في ١٧/ رجب سنة ١٣٥٤هـ المصادف ١٥/ اكتوبر عام ١٩٣٥م في لكناؤ، وتوفي في ١٧/ رجب عام ١٣٩٩هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

وذوقك ففعلت"[١].

ومع هذه النصيحة يقدم كتابه" قصص النبيين" هدية له ولأطفال المسلمين، هذه الهدية المقدمة على الرغم من قصرها إلا أنها على جانب عظيم من التربية والتعليم لأطفالنا المسلمين يوازيها شرف الداعية والمربي الحريص على مستقبل الطفل المسلم وغده المجهول، إضافة إلى ذلك فإن كتاب قصص النبيين القسم الثالث (سيرة خاتم النبيين،) جاء ليجذر أصول التربية الإسلامية، ويعمق قواعدها، وقد أكد على هذا المعنى قائلاً: "وقد جاءت فيه خلاصة السيرة ولبابها، وروائع حكاياتها وأخبارها، وتاريخ الدعوة الإسلامية الأولى وفتوحها وانتصاراتها، وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها، فأصبح الكتاب مدرسة كاملة، ينشأ فيها الطالب بين إيمان وحنان، ويتقلب بين روح وريحان"[٢].

ومن خلال دراسة الباحث لأدب الطفل التربوي لدى الداعية أبي الحسن، يستطيع الباحث أن يوضح الأهداف التربوية التي يؤكد عليها المربي الداعية الشيخ أبو الحسن الندوي وهي ما يلي:

١- التدرج في الأسلوب التربوي للناشئة حسبما تقتضيه درجتهم لعقلية، وأكد أبو الحسن هذا الهدف قائلاً: "ولم أتقيد في

---

[١] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣م ص :٦.

[٢] -أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٣، ١٩٩٣م ص : ٥.

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من "قصص النبيين للأطفال" من محاكاة أسلوب الأطفال، وطبيعتهم، وتكرار الجمل، وسهولة الألفاظ، وبسط القصة، فقد شب هؤلاء القراء الصغار عن طوقهم، وتقدموا في ثقافتهم اللغوية، ودرجتهم العقلية. . وهكذا جاء الكتاب - بحول الله تعالى - وسطاً بين الكتب التي ألفت في السيرة للكبار التابعين، والكتب التي ألفت للصغار الناهضين. ."[١]

وهنا لابد أن يشير الباحث إلى أن المربي الفاضل أبا الحسن الندوي كان بعيدا تمام البعد عن تناول الأحكام الفقهية، لأنها ليست موضوعا للبحث في هذا المستوى من الناشئة.

٢- غرس مكارم الأخلاق الإسلامية في كيان الطفل، ودعوته إلى التمسك بها، هذه الغراس يقطف الطفل منها ثمار العقيدة الصحيحة المعافاة من العلل والأمراض، فالدين الإسلامي دين أخلاق، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فهو الدين الوحيد الذي ينظم أخلاقا للحكم والخلافة والحروب، حتى دخول الحمام وإماطة الأذى عن الطريق، ينظم لها أخلاقا وسلوكا ينبع من النهج الرباني والتصور الإسلامي للحياة والكون، فمعظم قصص الندوي تركز على الأخلاق، حتى إن كتابه "قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال" يحكي في كل قصة خلقا إسلاميا عظيما، حتى يستطيع الباحث لو طلب منه أن يضع له عنوانا

---

[١] - نفس المرجع السابق، ص: ٥.

www.abulhasanalinadwi.org

يطلق عليه إسما جديدا هو"صورة مجيدة من الأخلاق الإسلامية في التاريخ الإسلامي للأطفال"، لأن الأخلاق أمجاد تاريخ عابق بالنفس الطيبة والروح الزكية.

وقد أعرب أبو الحسن عن هذه المعاني السامية في الأخلاق الكريمة، ونذكر هنا شواهد على ذلك:

أ ـ الصبر: يظهر هذا الخلق من خلال قصة صبر أيوب عليه السلام:

"فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد مرضية، فابتلي في ذلك، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده، لم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عزوجل..، وكان رغم ذلك صابرا شاكرا"[١].

ب ـ التفاني في حب الرسول صلى الله عليه وسلم: وله مظاهر كثيرة، منها فداء الصحابة الكرام لرسول الله في غزوة أحد كأبي عبيدة وطلحة وأبي دجانة وسعد:

"نزع أبو عبيدة بن الجراح إحدي الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته، ونزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى... وترس أبو دجانة.. بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه.. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ويناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم النبل، ويقول: ارم فداك أبي وأمي ،..، وجالدهم طلحة بن عبيد الله، عليه بيده يقي بها رسول الله صلى

---

[١] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٨، ١٩٩٣، ص: ٣٢٣ـ ٣٢٤.

www.abulhasanalinadwi.org

الله عليه وسلم فأصيبت أنامله، وشلت يده"[١].

جـ ـ العزة بالإيمان: ويظهر هذا في رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس "وقال له رئيس القوم(المسيحيين) أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا، وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً"[٢].

د ـ الرحمة: ويتجلى هذا الخلق في فتح مكة: "ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٣].

٣- الحث على حب العلم وتعلمه ودعوة الطفل إلى طلبه: فالدين الإسلامي مؤسسة علمية، فأول ما نزل من القرآن آيات تحث على طلب العلم، قال تعالى﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ وأبو الحسن كعالم وداعية إسلامي لابد له من أن يؤكد على هذا المطلب، ويظهر ذلك من خلال كتبه، ومن الشواهد الدالة على ذلك:

أ- قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر، حيث

---

[١] -أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م ص :١٦٣ـ١٦٤.

[٢] -أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص: ٩٤.

[٣] -أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م ص :٢٧٥.

www.abulhasanalinadwi.org

أفرد لها أبو الحسن عنوانا خاصا بها هو" في سبيل العلم"، هذا العنوان يحمل في طياته آدابا للعلم والتعلم، ألا وهو أن العلم لله وأن الله هو العليم، ويجب أن يرد العلم إليه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قام موسى خطيبا في بني إسرائيل" فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك"[١].

ب ـ ومن الشواهد أيضا دعوة الندوي لطفلنا المسلم إلى طلب العلم هو ما أكده تحت عنوان: " تعليم غلمان المسلمين فداء الأسرى"، قائلا: "وكان من الأسرى من لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فيعلم كل واحد عشرة من المسلمين الكتابة، وكان زيد بن ثابت ممن تعلم بهذا الطريق"[٢].

٤ـ تحرير عقل الطفل المسلم وقلبه من الأساطير والخرافات وضغوط شهوات الحياة الدنيا: وهذا التحرير لعقل الطفل هو تحرير من الجاهلية وكل تبعاتها، وهذا الهدف يظهر من خلال الشواهد التالية التي أكد عليها أبو الحسن في قصصه يبدو منها ما يلي:

أ ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: "وآخى رسول الله

---

[١] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣م ص :٢٧٤-٢٧٥.

[٢] -أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م ص :١٥١-١٥٢.

www.abulhasanalinadwi.org

صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على المؤاساة، وكان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين"[١] فالمؤاخاة من أعظم الأحداث التي سجلها التاريخ البشري على وجه الأرض منذ آدم حتى الآن، وستبقى خالدة إلى يوم القيامة.

ب ـ تطهير الحرم من الأوثان والأصنام: "وحول البيت وعليه ثلاث مئة وستون صنما فجعل يطعنها بالقوس ويقول: **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾** ورأى في الكعبة الصور والتماثيل فكسرت"[٢].

جـ ـ زهد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في الدنيا وشهواتها: "يقول ابن شداد: إن السلطان لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية، وجرما واحدا ذهبا، ولم يخلف ملكا، ولا دارا، ولا عقارا، ولا بستانا، ولا مزرعة، ولا شيئا من أنواع الأملاك"[٣].

٥ ـ تنمية الروح الجهادية والنفس المطمئنة للطفل المسلم، ففي كل قصصه عن الأنبياء وحكاياته عن التاريخ الإسلامي، دعوة إلى الجهاد، وحب الاستشهاد، وترغيب الطفل في الشهادة في سبيل الله، لأن الجهاد هو المخزون الفعلي للطاقة الإسلامية من أشبال الإسلام الذين هم حراس العقيدة وحماة الديار،

---

[١] -المرجع السابق، ص: ١٢٥.

[٢] -المرجع السابق، ص: ١٧٢.

[٣] -أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٢م، ص: ٢٩-٣٠، نقلا عن النوادر السلطانية ص: ٢٥١.

www.abulhasanalinadwi.org

فالشهادة في سبيل الله هي أمنية الأحرار المؤمنين الذين يشترون جنة عرضها السموات والأرض، ويقدمون أرواحهم الطاهرة ثمناً لها، ففي الجهاد تعبئة روحية ونفسية لطفلنا المسلم أعظم من البحار، وأثبت من الجبال، فالشهادة محركة للطاقات، شاحذة لهمم الرجال، لأنهم بعقيدتهم الراسخة في قلوبهم، يعتبرونها الجسر الذي يمرون عليه ليصلوا إلى برّ الأمان، ينتقلون عليها من الحياة الدنيا إلى وطنهم الخالد جنة الأتقياء الأنقياء المخلصين، وقد أكد هذا المعنى السامي أبوالحسن الندوي تأكيداً واضحاً ومميزاً في معظم قصصه وحكاياته، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها التالية:

أ ـ تنافس الغلمان في الجهاد والشهادة في غزوة بدر: هذه لوحة جميلة تصور التربية الحلوة والطفولة الرفيعة بتسابق الأطفال وتنافسهم على الموت، نعم لقد غرس فيهم الإسلام مبدأ عظيماً، ذلك هو الشهادة التي هي تذكرة لدخول الجنة، وثمن لها، هؤلاء الأطفال يعلنون الحاكمية لله في الأرض، تتوهج قلوبهم بعقيدة التوحيد، هذه الصورة فيها دعوة واضحة إلى أطفالنا اليوم إلى حب الموت في سبيل الله، ففي غزوة بدر خرج غلام صغير في السادسة عشرة من عمره اسمه عمير بن أبي وقاص، أخو الصحابي الجليل سعد، وتوارى عن أنظار الرسول صلى الله عليه وسلم، خوفاً من أن يراه فيرده، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يرده لأنه لم يبلغ مبلغ الرجال، فبكى عمير، ورق له قلب الرسول صلى الله عليه وسلم

www.abulhasanalinadwi.org

فأجازه، واستشهد في هذه الغزوة.[١]

ب ـ مسابقة بين أتراب في غزوة أحد:

"وعرض على رسول الله سمرة بن جندب، وهو في سن رافع بن خديج ورده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سمرة: لقد أجزت رافعاً و رددتني، ولو صارعته لصرعته، ووقعت المصارعة بينهما، فصرع سمرة رافعاً فأجيز، وخرج وقاتل يوم أحد"[٢].

جـ ـ فداء علي بن أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلم عندما نام في فراشه ليلة هجرته صلى الله عليه وسلم. فكان علي أول فدائي في الإسلام: "وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه المؤامرة فأمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه متسجياً ببردته"[٣]

[١] ـ انظر: أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٨، ١٩٩٣م، ص: ١٣٨-١٣٩.
[٢] ـ المرجع السابق، ص: ١٥٧.
[٣] ـ المرجع السابق، ص: ١٠٩-١١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الرابع

الجانب الفكري والنفسي

أولاً: التكوين الفكري للطفل المسلم: يُدرس من خلال الأهداف التالية:

١ـ البناء الفكري لعقل الطفل المسلم: يجعل أبو الحسن الندوي جلّ اهتمامه في وضع الأسس الفكرية للبناء الفكري لعقل الطفل المسلم، وذلك من خلال الأساليب الفكرية التالية:

أ ـ إثراء عقل الطفل المسلم بالمبادئ والمفاهيم والرموز الإسلامية وما شابهها، ويظهر هذا من خلال قدرة أبي الحسن الفائقة في اختيار العناوين، فمن أهم عناصر بناء القصة عند المؤلف استخدام عناوين مناسبة، تشد انتباه القارئ، فالعنوان عامل جذب للقارئ، فمتى يكتب النجاح للقصة يكون اختيار العناوين أحد أهم عناصر نجاحها، لا سيما وأن اختيار العنوان يربط في ذهن القارئ مفهوما، أو فكرة، أو رمزا عظيما، فالعنوان هو المفتاح الذي يدل علىماهية القصة، وأبو الحسن الندوي بارع في استخدام العناوين بما يناسب ذلك الحديث، فيغرس فيه مبدأ إسلاميا، أو رمزا، أو فكرة إسلامية، أو خلقا إسلاميا، والأدلة والآثار كثيرة في كتب الأطفال لأبي الحسن تشهد له بذلك، نحاول أن نستعرض ذلك لنبين حسن اختياره

www.abulhasanalinadwi.org

للعناوين.

العناوين التي تغرس أخلاقا إسلامية في عقل الطفل، نذكر منها:

"نصيحة إبراهيم"[١] و"صبر أيوب"[٢].

والعناوين التي تغرس رموزا لشخصيات إسلامية، منها:

"نوح الرسول"[٣]، و"صالح عليه الصلاة السلام"[٤] و" إسلام علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة"[٥].

والعناوين التي تغرس رموزا لأماكن إسلامية مقدسة في عقل الطفل، منها:

"الكعبة"[٦]، و"بيت المقدس"[٧].

والعناوين التي تغرس رموزا لمعارك وغزوات إسلامية، نذكر منها: "معركة بدر الحاسمة"[٨]، و"غزوة خيبر"[٩].

---

[١] –أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٨، ١٩٩٣م، ص: ١١.

[٢] – نفس المرجع، ص: ٣٢٤.

[٣] – نفس المرجع، ص: ٨٢

[٤] – نفس المرجع، ص: ١١٩

[٥] –أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٣، ١٩٩٣م، ص: ٤٩.

[٦] –أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٨، ١٩٩٣م، ص: ٢٦.

[٧] – نفس المرجع، ص: ٢٨.

[٨] –أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٣، ١٩٩٣م، ص: ١٣٤.

[٩] – نفس المرجع، ص: ٢٢٣.

www.abulhasanalinadwi.org

والعناوين التي تغرس معجزات سماوية للرسل الكرام في عقل الطفل، منها:

"ناقة الله"[١]، و"يونس في بطن الحوت"[٢].

والعناوين التي تبين للطفل كتبا سماوية مثل"التوراة"[٣].

والعناوين التي تذكر أسماء للحيوانات، لتكون موسوعة علمية في عقل الطفل: مثل" البقرة"[٤]، و"العجل"[٥].

والعناوين التي تغرس في عقل الطفل سنة كونية وضعها الله في الأرض، منها:

"قصة صراع بين الحق والباطل"[٦].

والعناوين التي تمثل حدثا تاريخيا مهما مثل: "الإسراء والمعراج"[٧].

"المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار"[٨].

ب ـ صقل هوية الطفل المسلم وبناء شخصيته: ويظهر هذا من خلال النماذج البشرية التي قدمها لنا القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، فالأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام

---

[١] –أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٨، ١٩٩٣م، ص: ١٢٧.

[٢] – نفس المرجع، ص: ٣٢٨.

[٣] – نفس المرجع، ص: ٢٥٨.

[٤] – نفس المرجع، ص: ٢٥٠.

[٥] – نفس المرجع، ص: ٢٦٣.

[٦] – نفس المرجع، ص: ٢٨٨.

[٧] –أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١٣، ١٩٩٣م، ص: ٩٨.

[٨] – نفس المرجع، ص: ١٢٥.

www.abulhasanalinadwi.org

هم قدوة لأطفالنا المسلمين، يتأسون بأفعالهم وأقوالهم، ويترسمون عبق مسيرتهم الخالدة، ويسيرون معهم في قافلة الدعوة والتوحيد ليكملوا مسيرتهم العظيمة، فآدم ونوح ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وصلاح الدين الأيوبي رحمه الله، كل أولئك الصفوة المؤمنين هم شخصيات بشرية، الواحد منهم له القدرة الكافية على تكوين الشخصية المسلمة عند طفلنا المسلم.

كما أن دعوة التوحيد التي أعلنوها عاليا إلى جانب هذا التاريخ العريق الحافل بالأمجاد كفيلان بأن يصنعا هوية لطفلنا المسلم.

٢ـ المناعة الفكرية من الارتكاس في حمأة الأفكار الغربية المستوردة، والتي تستهدف تاريخنا الإسلامي: فالفكر الإسلامي الذي يبني عقل طفلنا المسلم يكون مناعة فكرية حصينة لهذا العقل من الانزلاق إلى مستنقع الأفكار المسمومة، والتي دخلت جسم تاريخنا وعقيدتنا بصورة غربية مزورة زائفة، لذا فإن الفكر الإسلامي الذي يبنى من العرض الرائع لتاريخ التوحيد منذ آدم حتى وقتنا الحاضر يشبع الفطرة الإنسانية للطفل المسلم، وأسلوب أبي الحسن في سرد أحداث التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام حتى الآن، وما يتضمنه هذا السرد من التسلسل الزمني للأحداث التاريخية، هذا الأسلوب الرائع يكون مناعة فكرية لدى الطفل، تمنع من تشرد الأفكار من ذهنه، وتمنع من تمردها على النهج السوي، نهج التوحيد والنبع الصافي، خاصة أن أبا الحسن يبعد كل البعد في كتاباته عن كل الشبهات التي

www.abulhasanalinadwi.org

يحاول إثارتها المستشرقون ودعاة الاستشراق.

٣ ـ تناول بعض القضايا الإسلامية المعاصرة: يتناول أبو الحسن قضايا معاصرة من تاريخنا الحديث، يغذي كيان الطفل بالغيرة على دينه الحنيف، ويغرس في قلبه وعقله عداوة للاستعمار والمستعمرين، فيبين له من عدوه الدائم على مر السنين، وهذا واضح في قصص أبي الحسن عندما يتحدث عن الاستعمار الإنجليزي في قصة "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" يبين فيها غطرسة الاستعمار وظلمه، وحب الصادقين المؤمنين للشهادة وقد حُكم عليهم بالإعدام".[1]

٤ ـ المقارنة بين النظم الجاهلية والنظام الإسلامي: فالنظم الجاهلية نظم وضعية وضعها العقل البشري القاصر المحدود، والنظام الإسلاميّ أنزله الله وشرعه للناس هدى ورحمة، وهو نظام لا يعيبه نقص أو خلل أو مرض، فهو مطلق في كماله ودوامه ونجاحه، ويبين أبوالحسن هذا المعنى عندما يتحدث عن التتار المتوحشين قبل إسلامهم، وعن التتار المسلمين بعد اعتناقهم الإسلام.

وبين ذلك في قصة "جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف الناس" من كتاب "قصص من التاريخ الإسلامي"، كذلك بين هذا المعنى في موضع آخر من كتابه "سيرة خاتم النبيين" عندما تحدث عن ذلك في أول ثلاثة فصول من الكتاب: وهي: " العصر الجاهلي" و"قبل البعثة" و"بعد البعثة" بين فيه ما يكون عليه النظام

---

[1] ـ انظر: أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٩٢، ص: ١٣١-١٤١.

www.abulhasanalinadwi.org

الجاهلي من فساد وظلم وانحراف عن الحق، وما يكون عليه النظام الإسلامي من إحقاق للحق، وإرساء لقواعد العدالة، وسيرة الرسول خير شاهد على ذلك.

ثانيا: التكوين النفسي للطفل المسلم: ندرسه من خلال الأهداف التالية التي أكد عليها أبو الحسن الندوي:

١ ـ السمو الروحي للنفس الإنسانية للطفل المسلم: تسمو روح الإنسان على قدر استخفافها بالدنيا وما عرض لها من زينة، فكلما كان الزهد في متاع الدنيا أكثر ارتفعت الروح وسمت إلى الأعلى، وانتصار الروح على شهوات الجسد لا يتم إلا بتعلقها في بارئها وزهدها في الدنيا، وهذا لا يتم إلا بالممارسة الفعلية لأعمال الخير والفضيلة، ومن أعظم هذه الأعمال وأكرمها حب الشهادة التي تسمو فيه الروح إلى أعلى الدرجات، لأنه سيعتبر أن الموت قريب، يعني أنه انتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، ولقد درب الصحابة أبناءهم على حب الموت في سبيل الله، وربوهم على أن من يقتل في سبيله سيكون في أقرب منزلة إليه، يتنعم في نعيمه، ويخلد في جنة خلده، ولقد أكد الندوي هذا الهدف في حديثه عن جهاد الصحابة، والأمثلة كثيرة ذكرت سابقا في الحديث عن تنمية الروح الجهادية كهدف من أهداف التربية الإسلامية.

٢ ـ غرس الثقة في نفس الطفل المسلم: وهذا هدف واضح ينكشف لنا من خلال قراءتنا لتاريخ أبناء الصحابة المجاهدين في سبيل الله، الذين انفطروا على سماع صلصلة السيوف، وصهيل الخيول، وبريق الأسنة، وشبوا على سل

www.abulhasanalinadwi.org

السيوف، ورمي الرماح، وكبروا في بطن الصحراء ويعلون راية التوحيد خفاقة، فعاشوا واثقين بأنفسهم، لأن طاقة الإيمان المتفجرة في قلوبهم رصيد كبير في حياتهم، فهذا أسامة بن زيد يقود آخر البعوث الإسلامية التي أمر بها الرسول، وتحت إمرته عمر بن الخطاب وكبار الصحابة، هذا الغلام المسلم الأسمر تفوق عبقريته العسكرية المعبأة بطاقة الإيمان الروحية تفوق عبقرية كبار القادة الفاتحين.

وقد أكد على هذا المعنى شيخنا أبو الحسن الندوي قائلا: "وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدوران من أرض فلسطين"[1].

٣ـ الإيمان المطلق بالقضاء والقدر: هذا الهدف يؤكد عليه أبو الحسن لتنشئة النفس المسلمة للطفل تنشئة إيمانية في ظل التاريخ الإسلامي، فيؤكد للطفل أن كل شيء بقضاء من الله وقدره، فالموت بقضاء الله وقدره، والرزق بقضاء الله وقدره، وهذا المعنى العظيم يغرسه أبوالحسن في نفس المسلم من خلال قصصه، والشواهد على هذا الهدف كثيرة، منها:

السباق إلى الشهادة بين أبناء الصحابة، وهذا ما نراه واضحا في تنافس عمير بن أبي وقاص في الجهاد والشهادة، كما نراه في مسابقة الإخوة الأشقاء في قتل عدو الله أبي جهل، وكل

---

[1] -أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م، ص: ٣٢٧.

www.abulhasanalinadwi.org

حركة أو سكون يجب أن نعلم طفلنا المسلم أن يربطهما بالقضاء والقدر، هذا المعنى يكوّن عند الطفل خُلقاً عظيماً ألا وهو خُلق الإقدام، والشجاعة، والتوكل على الله.

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الخامس

الثقافة الإسلامية

قام شيخنا أبو الحسن الندوي بترسيخ بعض خصائص الثقافة الإسلامية في عقل طفلنا المسلم، وذلك كالتالي:

١ـ الوعي الإسلامي: هذا الوعي يمنع التبعية الثقافية الغربية، فالثقافة التي يعرضها أبوالحسن للأطفال هي ثقافة إسلامية بعيدة كل البعد عن شبهات المستشرقين، فيركز على التاريخ الإسلامي، لأنه ثقافة واعية تفتح عيون الطفل وعقله على واقعنا المعاصر، كما أن تاريخنا الإسلامي الذي ركز عليه أبو الحسن يضع الطفل على أول درجات الفهم للحياة، وما تدور عليه من صراع بين الحق وأنصاره، وبين الباطل وأعوانه، فالتاريخ جذر لعلم السياسة، وهو تغذية جدية ورضاعة كاملة لطفلنا المسلم تحتوي على كافة العناصر اللازمة لبناء الشخصية الإسلامية المثقفة، لأن قرآننا الكريم وسنتنا الطاهرة مصدر غني لتاريخنا الإسلامي ومناخه الذي يعطيه الحرارة، والدفء، والاتزان.

٢ـ النظرة الشمولية والتفسير الإسلامي للتاريخ: البعد الثاقب لأبي الحسن والنظرة البعيدة له، جعلته يكتب في التاريخ الإسلامي لأطفالنا المسلمين، فالتاريخ الإسلامي هو التاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

الممتد منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى وقتنا الحالي، ويستمر إلى يوم القيامة، لأن الإسلام دين الأنبياء كلهم، لأنهم جميعاً جاؤوا بدعوة واحدة هي دعوة التوحيد، دعوة الإسلام، والاستسلام، والانقياد لله تعالى.

يؤكد الندوي هذه النظرة الشمولية للتاريخ الإسلامي، فيستعرض تاريخ الأنبياء، ثم يستعرض بشيء من التفصيل الممتع تاريخ سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يحكي قصصاً مضيئة من تاريخ المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه القصص تتناثر من هنا وهناك، من زمن إلى زمن آخر، إذن لابد من القول إن الندوي قد وضع تفسيراً إسلامياً للتاريخ، فتاريخ آدم وموسى، وإبراهيم هو تاريخنا نحن المسلمين.

٣ ـ ربانية المصدر والغاية: فالمصدر الرئيسي للثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم، وهذا واضح من خلال استخدام الندوي للآيات الكريمة بشكل واسع وعريض، كما أن غاية الثقافة الإسلامية هو حب الله تعالى ورضوانه، وتعميق معنى العبودية في العقول والقلوب المسلمة، فالثقافة الإسلامية ربانية لا يعتريها النقص والعيب، بعكس الثقافة الغربية التي تتخللها الأمراض والعيوب كنتيجة حتمية، لأنها من وضع العقل البشري.

٤ ـ الإنسانية: وقد أكد أبوالحسن الندوي هذه الخاصية، فحتى تكون الثقافة إنسانية يجب أن تكون الثقافة شاملة كاملة للحياة، وهذه الميزة لا نجدها إلا في ثقافتنا الإسلامية، نعم لقد صنع الإسلام الإنسان ولم يصنعه أي نظام آخر، وأي قوة على

www.abulhasanalinadwi.org

الأرض، لأن الإسلام لا يصطدم أبدا مع الفطرة، إذ يلبى رغباتها وحاجاتها، وهذا ما أكده أبو الحسن في معرض حديثه عن التتار قبل الإسلام وبعد الإسلام، في قصصته "جواب كان السبب في إسلام مئات الألوف من الناس"[١].

٥- الإيجابية: وبين كيف تكون علاقة الإنسان بإلهه كالطبيعة الصماء، فهو حتما لا يكون فاعلا فيها ما دام يعتقد أنها إلهه، وبين كيف تكون علاقته بإلهين متخاصمين؟ لا شك أنها علاقة ساخرة، فجاء الإسلام وأخرجه من هذا الظلام الدامس إلى النور والإيمان بالله الواحد الذي أكرمه، وسخر له الكون، وخلق له الحياة، وهذا ما عرضه أبو الحسن حينما تحدث عن دعوة يوسف للسجناء قائلا: "تقول: رب البر، ورب البحر، ورب الرزق، ورب المطر، ونحن نقول: الله رب العالمين﴿ **أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾[٢].

٦ ـ الثبات ـ قرر أبو الحسن أن هناك حقائق ثابتة لا تتغير يجب أن يتبناها فكر الطفل المسلم، وهي حقيقة العبودية لله وحده ثابتة لا تتغير، وحقيقة أن الناس من أصل واحد متفاضلون بالتقوى، وحقيقة أن الدنيا دار امتحان، كلها حقائق ثابتة لا تتغير، فهذه الثوابت تكون العقل المسلم للطفل، ومع ذلك فهي روافد فكرية تغذي ثقافته الإسلامية، وأساسيات لتحديث العقل

---

[١] -أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ،١٩٩٢م، ص: ١١٤ـ ١٢٣.

[٢] -أبو الحسن الندوي، قصص النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة ،١٩٩٢م، ص: ٤٦.

www.abulhasanalinadwi.org

المسلم للطفل في كل زمان، وفي كل مكان، تمنعه من الانحراف عن المسار الصحيح للإسلام.

ويؤكد الندوي الثبات كميزة أساسية لثقافة الطفل المسلم، فالإسلام دين توحيد ووحدة، "وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم باب الكعبة...، فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته، فقال: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده...، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب" [١].

[١] -أبو الحسن الندوي، خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م، ص: ٢٧٤-٢٧٥.

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث السادس

الاتجاه الإسلامي

هذا مما لا شك فيه، ولا يجادل فيه إثنان، فأبو الحسن الندوي كرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية يعالج أدب الأطفال معالجة إسلامية، والشواهد التي تشهد باتجاهه الإسلامي الصحيح كثيرة تظهر من خلال النوافذ التالية:

١ ـ العاطفة الإسلامية: وهذه جياشة مليئة بالحرص والحب والعمل لأجل خدمة ديننا الإسلامي الحنيف، ومما يدل على ذلك النضج العاطفي للفكرة والجملة.

٢ ـ الحب العظيم للرسول محمد صلى الله عليه وسلم: وهذا الحب يؤكد العاطفة الإسلامية، ويدعم اتجاهه الإسلامي، فيتحدث أبو الحسن عن عميد آل البيت سيد ولد عدنان محمد صلى الله عليه وسلم، يتحدث عن صفات طفولته وسمات شبابه، كما يتحدث عن نسبه وولادته ونشأته، وفي الخاتمة يذكر الأخلاق والشمائل المحمدية.

"وقد كسا الله نبيه لباس الجمال، وألقى عليه محبة ومهابة

www.abulhasanalinadwi.org

منه"[١]، ولقد قصر أبو الحسن هواه على حب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان مآثره، لا سيما أن شيخنا الداعية أبا الحسن ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

٣ ـ الطفولة الإسلامية: وقد تربى أبو الحسن في أسرة محافظة على التعاليم والأخلاق والآداب الإسلامية، علما بأن والدته كانت تساعده في حفظ القرآن الكريم، كما أنه تعلم اللغة العربية على يد الشيخ خليل اليمني.[٢]

٤ ـ التلمذة الإسلامية: اهتم أبو الحسن بدراسة كتب اللغة والحديث، والتفسير، والتربية الروحية، وتتلمذ على أيدي شيوخ أجلاء استفاد منهم كثيرا.[٣]

٥ ـ رحلاته: رحل أبو الحسن إلى أماكن كثيرة، وزار مناطق مختلفة أمدته بتجارب وخبرات استفاد منها ووظف بعضها في أدبه[٤].

٦ ـ نشأته الإسلامية في مجال العلم والدعوة: عين مدرسا في دار العلوم، وألف كتاب"سيرة السيد أحمد الشهيد" ورأس تحرير مجلة "الندوة"، كما رأس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأسس حركة رسالة الإنسانية، وإلى جانب ذلك كثير من

---

[١] – نفس المرجع السابق، ص: ٣٥٤.

[٢] – أنظر: أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة، ١٩٦٥م ،ص: ١٨–١٩.

[٣] – نفس المرجع السابق، ص: ١٩–٢٠.

[٤] – نفس المرجع السابق، ص: ١٩–٢٢

www.abulhasanalinadwi.org

النشاطات العظيمة التي قام بها الداعية أبو الحسن [١].

٧ ـ ومن صفاته الحميدة أنه يكره التصوير، ويتأسى بسيرة أحمد بن حنبل، وابن تيمية، وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى [٢].

[١] – نفس المرجع السابق، ص: ١٩–٢٢.
[٢] – نفس المرجع السابق، ص: ٢١–٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

خاتمة

الكتاب جليس الطفل وصديقه، يغذي عقله، وينمي مداركه، ويصقل موهبته، ولقد كانت كتب الأطفال عند أبي الحسن الندوي ميراثاً أدبياً لطفلنا المسلم، وصحوة إسلامية تجدد فيه روحه وضميره، وتشحذ طاقاته، وهممه، ومدرسة تاريخية تعلو بها عزيمته، وتتسامى فيها أمنياته، وطموحاته.

. . .لقد كان هذا البحث حصة كبيرة حصل عليها الباحث من ميراث أبي الحسن الأدبي، ورصيداً فكرياً أثرى ذاكرته، وكوّن عنده ملامح كاملة لصورة طفلنا المسلم، فالطفل المسلم هو الاستثمار الرابح الوحيد في حين أن جميع الاستثمارات قابلة للربح أو الخسارة، فالعالم قد خسر حقاً بانحطاط المسلمين، خسر هذه الطاقة العظيمة من أطفالنا المسلمين والثروة الروحية في داخلهم.

. . . إن تذوق أطفالنا لأدب الطفل وإحساسهم به هو الغاية السامية لهذا الأدب، لأنه ليس مقبولاً أن نكتب أي أدب للأطفال، بل من الضروري أن نعطي هذا الأدب قيمته الروحية، فيحس الطفل بأن الكلمات أحياء تتحرك على الأرض فيعيش معها.

. . . وأدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي هو أدب

www.abulhasanalinadwi.org

إسلامي بعكس الكثير من الذين ألفوا في هذا الأدب، لأنه يتبنى الهم الإسلامي، ويتكلم بحرارة العاطفة، ويكتب تاريخ الإسلام بأسلوب التربية والدعوة الصادقة، وقد شهد الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله، : "ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة "القصص الديني للأطفال" في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي هي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها، ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، وكلها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار، جزى الله السيد أبا الحسن خيراً وزاده توفيقاً[١].

. . . ومن خلال اطلاع الباحث على أدب الأطفال، وجد قلة اهتمام الأدباء بأدب الأطفال، كما يلاحظ أن من ألفوا في هذا الأدب أنه لا يخدم الطفل ويعالج جوانب شخصيته، ولا يقدم الثقافة الإسلامية الواعية لطفلنا المسلم، ومن هنا جاء ما كتبه الندوي في أدب الأطفال ليسد ثغرة كبيرة في أدب أطفالنا المسلمين، والذي جاء جهده ثمرة ناضجة لحصيلة أعوام كثيرة قضاها الندوي في خدمة أبنائنا المسلمين.

. . . ويا حبذا لو وجدت مجلة أطفال دورية تهتم بالطفل،

---

[١] -أبوالحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٣م، ص: ٤.

www.abulhasanalinadwi.org

وتخدم شخصيته، وتقدم له ثقافة إسلامية واعية.

. . وأخيراً لقد حاول الباحث أن يلقي الضوء على فكر أبي الحسن في أدب الطفل، ويعرف بشخصية أبي الحسن الندوي كمرب وداعية إسلامي.

جزى الله أبا الحسن خير الجزاء، ونفعنا والمسلمين بعلمه وفكره وحكمته الرشيدة.

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر ومراجع البحث

١. القرآن الكريم
٢. أبو الحسن الندوي ، قصص النبيين، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة عشرة ، ١٩٩٣م.
٣. أبو الحسن الندوي ، سيرة خاتم النبيين ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة عشرة ، ١٩٩٣م.
٤. أبو الحسن الندوي ، قصص من التاريخ الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ،١٩٩٢م.
٥. أبو الحسن الندوي ، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة ، الكويت ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م.
٦. أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة السادسة، ١٩٦٥م.

www.abulhasanalinadwi.org

جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في خدمة الأدب الإسلامي

بقلم

الدكتور عبد الباسط بدر

عضو مشاورة التحرير لمجلة" الأدب الإسلامي" الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية

www.abulhasanalinadwi.org

جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في خدمة الأدب الإسلامي

يهب الله بعض الناس قدرات متميزة، كالحس المرهف، والبيان العالي، والشخصية النافذة، وغير ذلك من المواهب، يصبحون بها أصحاب عطاءات لا تتأتى لغيرهم، وعندما يوفق أحد هؤلاء الموهوبين إلى توظيف قدراته في الدعوة إلى الله، وهداية الآخرين فسوف يكسب المجتمع داعية مبدعا، وبليغا متفوقا، ورجلا تتفتح له القلوب، وتركن إليه النفوس، والشيخ أبو الحسن الندوي واحد من هؤلاء اجتمعت فيه قدرات كثيرة متنوعة، فكرية وأدبية ودعوية، أعطى من خلالها لأكثر من نصف قرن في ميادين الدعوة والفكر، والأدب الإسلامي، وسوف أعرض باختصار في الفقرات التالية لعطائه في ميدان واحد منها هو ميدان الأدب الإسلامي، تتوزع عطاءات الشيخ أبي الحسن الندوي في ميدان الأدب الإسلامي في قسمين كبيرين هما قسم عملي، وقسم إبداعي.

أما القسم العملي فهو الجهود التي كان يقوم بها في سبيل إظهار قضية الأدب الإسلامي، ونشرها، والارتقاء بها إلى

www.abulhasanalinadwi.org

مصاف العالمية، وتتضمن هذه الجهود مؤتمرات الأدب الإسلامي التي كان يعقدها أو يوجه لعقدها، أو يحضرها، والندوات والمحاضرات والمقابلات الصحفية التي كان يعرض فيها قضية الأدب الإسلامي، وجهوده في قيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئاسته لها مدة خمسة عشر عاماً، وقد كان للشيخ أبي الحسن الندوي دور الريادة في عقد مؤتمرات الأدب الإسلامي، وكان لهذه المؤتمرات أثر كبير في نشر وتطوير قضية الأدب الإسلامي، وفيما أعلم فإن أول مؤتمر دولي للأدب الإسلامي عقد بدعوته وتحت رعايته كان عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م في ندوة العلماء بمدينة لكناؤ بالهند، وهي الهيئة الإسلامية العريقة التي يديرها، ويدير من خلالها جامعة إسلامية ضخمة ومجموعة من المدارس والمعاهد الإسلامية المنتشرة في الهند وباكستان وبنغلاديش وبلاد أخرى، وقد تمكن بفضل صلاته ومكانته الكبيرة أن يجمع في هذا المؤتمر وفوداً ومندوبين من مصر، والسعودية، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، وقطر، وسورية، والأردن، والمغرب العربي يمثلون جامعات وهيئات ثقافية فيها - وكان لي شرف حضوره - وبحثت فيه المحاور الأساسية لتنظير الأدب الإسلامي، وصدرت توصيات للجامعات العربية والإسلامية لتدريس هذا الأدب (وكانت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض قد سبقت إلى تدريس مادة منهج الأدب الإسلامي) ودعمه بشتى السبل، والإسهام في تنظيره.

وقد شجع هذا المؤتمر جهات أخرى على عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات دولية وإقليمية، فعقد في السنة الثانية

www.abulhasanalinadwi.org

(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) الحوار حول الأدب الإسلامي وقضاياه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعقدت عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م الندوة العالمية للأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وتوالت بعدها مؤتمرات وندوات في مصر، والمغرب العربي، والأردن، وباكستان، وبنغلاديش، وتركيا، وبريطانيا، وكان الشيخ الندوي يحرص على حضورها رغم ما تكلفه من المشقة وعناء السفر، كما كان يحرص على عقد مؤتمر أو ندوة دولية أو إقليمية مرة على الأقل في كل سنة في إحدى مدن الهند، وكان لحضوره زخم كبير يستقطب المشاركين، بل والمجتهدين في تقديم البحوث والاستماع إلى المناقشات، وقد أحصيت من خلال ما نشر في مجلة "البعث الإسلامي" اثنين وعشرين مؤتمراً وندوة كان فيها راعياً ومشاركاً رئيسياً.

ويتصل بمحور المؤتمرات والندوات والخطب والمحاضرات واللقاءات مع الأفراد والمجموعات والإعلاميين الذين يسعون إليه في تلك المناسبات، وكان يركز فيها دائماً على قيمة الأدب بعامة، وقدراته الكبيرة في التأثير في الأفراد والمجتمعات، والحاجة الملحة للأدب الإسلامي في عصرنا الحاضر بخاصة لمواجهة تيارات الهدم، ومنابر التغريب والإلحاد الأدبية، وإشباع الحاجة الفطرية إلى الجمال البياني، وضرورة تعزيز الارتباط بين الأدب والدعوة إلى الله، ووظيفة الأدب في البناء والإصلاح، ويركز على التربية الذوقية التي يقدمها الأدب الإسلامي، وأثرها الإيجابي الكبير في بناء شخصية المسلم، وصلتها الوثيقة بالبلاغة القرآنية والبيان

www.abulhasanalinadwi.org

النبوي، وهذه القضايا محاور أساسية في الأدب الإسلامي.

ومن جهوده العملية في خدمة الأدب الإسلامي احتضانه ورعايته المتميزة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، ففي أواخر العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري كانت مجموعة من المهتمين بالأدب الإسلامي تبحث في إنشاء تجمع للأدباء الإسلاميين لتعزيز موقفهم في الساحة الثقافية، وفتح منافذ لنشر إنتاجهم الذي كانوا يجدون صعوبة في نشره، فقد كان أصحاب الاتجاه اليسارى مسيطرين على قسم كبير من منافذ النشر في العالم العربي، وخاصة المجلات والملاحق والصفحات الأدبية في الدوريات العربية، ولا سيما التي تملكها أو تؤثر عليها الحكومات، وكان البحث يركز على ضرورة قيام تواصل وتناصر بين الأدباء الإسلاميين على البعد، وفي لقاء ضم عدداً من الأساتذة الجامعيين المتخصصين في الأدب والنقد احتفاءً بالدكتور عماد الدين خليل ولدت فكرة الهيئة التأسيسية لرابطة الأدب الإسلامي، التي بدأت بمراسلة الأدباء والنقاد وأساتذة الأدب والنقد وبعض المفكرين الإسلاميين وطرح فكرة تأسيس رابطة للأدب الإسلامي، واقتراح أهدافها وأساليب عملها، ولقيت هذه المقترحات ترحيباً شديداً، وأرسل بعض المتحمسين لها مقترحات نيرة، وكتب بعضهم عن تجارب ومحاولات بدؤوا بها قبل سنوات، ثم حالت الظروف دون تنفيذها، وعلى مدى خمس سنوات نضجت فكرة تأسيس الرابطة لدى أعضاء الهيئة التأسيسية، ووضعت الملامح الرئيسية لنظامها الأساسي، وصيغت بعض فقراته، وبدأ البحث الجاد عن شخصية متميزة

www.abulhasanalinadwi.org

تتولى رئاسة الرابطة، ومقر لمكتبها الرئيسي يمنحها الصفة القانونية ويعترف بشخصيتها الاعتبارية كاملة كما يريدها المؤسسون، ويمنحها حرية العمل دون تدخل في شؤونها، وكان هاجس (التخوف من مصطلح الإسلامية) يقلق المؤسسين، فالتطرف الذي انزلق إليه بعضهم، والآثار السلبية لبعض الأعمال المسلحة التي ظهرت في أكثر من مكان في العالم العربي، وعوامل أخرى مرتبطة بها، جعلت المؤسسين يفتشون بحرص شديد عن الشخصية التي تتجاوز تلك التخوفات، وتجتذب الثقة بالرابطة وأهدافها، وكانت شخصية أبي الحسن الندوي القطب الذي أجمع المؤسسون وكل من استشيروا عليه، فهي شخصية تمتلك صفات فريدة كأنها مفصلة تفصيلاً لهذه الرابطة، تمثل كل ما يحمله اسمها من(إسلامية) و(أدبية) و(عالمية) ، فأبو الحسن مفكر إسلامي عرف بتميز فكره منذ كتابه المبكر" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ، وهو ذو موهبة تشهد بتألقها كتابته عن محمد إقبال، ومختاراته من الأدب العربي، ثم إن المزيج الذي يحمله في عروقه من الأصول العربية والهندية، وانتشاره الواسع في العالم العربي أبين مظهر لتجاوزه حدود المحلية إلى العالمية.

ونيابة عن الهيئة التأسيسية سعى إثنان من أعضائها إلى الشيخ أبي الحسن الندوي عندما جاء إلى مكة لحضور مؤتمر رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٠٤هـ وعرضا عليه هموم التأسيس والحاجة إلى من يتولى المسئولية واجتماع الرأي عليه، فقبل دون تردد، وتكفل بإنجاز الإجراءات القانونية لتسجيل الرابطة وإنشاء مكتبها الرئيسي في الهند، ولم تمض مدة طويلة حتى جاء البشير

www.abulhasanalinadwi.org

بتحقق الآمال التي طالما تطلع إليها الكثيرون وولادة الشخصية القانونية الدولية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وبعد شهور قليلة، وبالتحديد في شهر (تشرين ثاني) عام ١٤٠٥هـ الموافق لشهر أبريل عام ١٩٨٥م وفي جو عاطفي نادر كان المؤتمر الأول للرابطة يعقد في إحدى قاعات ندوة العلماء بمدينة لكناؤ بالهند برئاسة الشيخ أبي الحسن الندوي، ويحضره أعضاء مؤسسون من معظم الدول العربية والهند، ليضع الصيغة المعتمدة لنظام الرابطة ومكاتبها الإقليمية ويختار أعضاء مجلس أمنائها، وكان للشيخ أبي الحسن الندوي الفضل الكبير في تحول الحلم إلى حقيقة قائمة.

وعلى امتداد خمسة عشر عاماً بذل الشيخ أبو الحسن من وقته وجهوده الشيء الكثير في إدارة الرابطة، وحضر جميع مؤتمراتها ومجالس أمنائها في أماكن شتى، السعودية والأردن وتركيا ومصر والمغرب العربي وبريطانيا، رغم آلام المرض ومتاعب الشيخوخة، وكان لتوجيهاته الحكيمة الفضل الكبير في نمو الرابطة وتطورها وتجاوزها لكثير من المعوقات الداخلية والخارجية، والتي كاد بعضها يعصف بها غير مرة، ولو لا فضل الله سبحانه ثم حكمة الشيخ وصبره وتدخله لاستيعاب المشكلات الطارئة وحلها لكانت الرابطة واحدة من التجارب الإسلامية القصيرة والمريرة في عصرنا الحاضر.

ثانياً: القسم الإبداعي

يبدو عطاء الشيخ أبي الحسن الندوي في جوانب عدة من الأدب الإسلامي، تتجاوز التوقعات التي يحدسها المرء في داعية

www.abulhasanalinadwi.org

فقيه، فقد قدم أعمالاً أدبية في الدراسات الأدبية والنقدية، وفي أدب الرحلات، وفي أدب التراجم والسير، وفي قصص الأطفال، وهذه ميادين إبداعية تكشف عن موهبة أدبية غنية متعددة الجوانب.

فمن الدراسات الأدبية والنقدية التي نشرها كتاب "روائع إقبال" درس فيه آفاق الإبداع عند الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال، وحلل نصوصاً رائعة ترجمها بنفسه من دواوينه الفارسية والأردية، وطوف في الآفاق الفكرية والشعورية التي تضمنتها القصائد، وأظهر من خلالها التصور المتميز للشخصية المسلمة التي كانت تملأ نفس إقبال ومشاعره، وعوامل القوة والاستمرار فيها، وأسباب تفوقها على النماذج البشرية الأخرى، كما وقف على الأبعاد الفلسفية العميقة في تصور إقبال لوظيفة الإنسان المسلم في الحياة، والريادة التي وضعته فيها عقيدته، ووظيفة الدعوة، والهداية التي تشع عطاءً حنوناً للبشرية.

ومن الدراسات الأدبية التي قدمها الشيخ أبو الحسن (الحضارة الغربية في شعر أكبر حسين الإله آبادي) اهتم فيها بدراسة مضمون قصائد هذا الشاعر الهندي الكبير الذي لا يقل في شهرته، داخل الهند، وفي إسلاميته عن إقبال، وركز في دراسته على رؤية الشاعر للحضارة الغربية في وقت كانت هي الغالبة، وكان معظم الشرق المسلم ضعيفاً مقهوراً، لكن الشاعر لم تبهره مظاهر القوة والسطوة، واستطاع أن ينفذ إلى أعماقها، ويرى الجوانب السلبية البشعة فيها، فقوتها ظلم، وسطوتها تسلط، والإنسان داخلها في تيه كبير، لأنه قطع أوتار قلبه

www.abulhasanalinadwi.org

الروحية، وأصم أذنيه عن صوت السماء.

ومن كتابات الندوي المهمة في الأدب الإسلامي كتابه "نظرات في الأدب" فهذا الكتاب عرض نقدي، ودراسة تنظيرية لمفهومات أدبية كبرى، يقرر مقاييس أساسية لمفهوم العمل الأدبي، ويؤصل قواعد للأدب الإسلامي، ويبين طبيعته، وعناصره المتميزة له عن الآداب الأخرى، ويحدد وظائفه، وأهدافه، والقيم المضمونية والشكلية فيه، وهذه هي الموضوعات الرئيسية التي يتجادل فيها دعاة الأدب الإسلامي وخصومه وهي التي تفصل في وجوده وغيبته.

لم يعرض الشيخ الندوي موضوعاته تلك في عناوين مباشرة كالتي ذكرها، لكنه قدمها ضمن نصوص واضحة صريحة، يستخرج منها القارئ تلك العناوين فمثلاً يتحدث عن الأدب فيبين له مفهوماً متميزاً نستشف منه آفاق تصوره له، يقول: ص: ٣٥ "الأدب في أوسع معانيه تعبير عن الحياة، وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم مؤثر" ويرفض أن يكون النص الأدبي مقصوراً على ما يقدمه المحترفون ومن اشتهر بصنعة الأدب، ويلفت الأنظار إلى ما يسميه "الأدب الطبيعي" حيث النص الذي أبدعه صاحبه في سياق موضوعات تاريخية أو إخبارية، أو في الترجمة الذاتية والغيرية.. إلخ، وسكب فيه تجربته الوجدانية ومشاعره الصادقة، ويستشهد على ذلك بنصوص من الحديث الشريف والتراجم، كحديث السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها عن حادثة الإفك، وحديث كعب بن مالك عن تخلفه مع صاحبيه عن غزوة تبوك، ومعاناة إلى أن نزلت آيات

www.abulhasanalinadwi.org

التوبة عنهم، وبين أن في هذه النصوص من القيم الأدبية الفنية والشعورية، ما يفوق بكثير ما تتضمنه كثير من القصائد والكتابات الأدبية الأخرى، ولا شك أن هذه الرؤية الواسعة للعمل الأدبي تربطه بعنصريه الأساسيين: التجربة الصادقة والفنية العالية.

ويعرض في سياق تصويري وظيفة الأدب فيقول ص: ١٠٥: "إني أتصور الأدب كائناً حياً له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، له عقيدة جازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت خامد، أشبه بالحركات البهلوانية والرياضيات الجمبازية.. إن الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة..) ويتشهد بأبيات للشاعر محمد إقبال ترجمها من الفارسية يقول فيها: "لا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الخمول والذبول، إن غاية الإحسان في فن من الفنون لوعة الحياة الدائمة، ولا خير في نثر وشعر إذا تجردا من تأثير عصا موسى".

ومن الميادين التي كتب الشيخ الندوي وتعمق فيها السيرة الذاتية، وهذا اللون من الأدب إبداع يقدم فيه صاحبه تجربته المتميزة للآخرين ليقفوا على تعامل صاحبها مع الأحداث، ويروا العثرات التي مربها، والنتائج التي حققها، فهي إبداع هادف وممتع في آن واحد، ينقل مع تجربة صاحبها تصوراته وفكره، وقد كتب الشيخ الندوي تجربته الطويلة والغنية في كتاب "مسيرة الحياة" في خمس مجلدات، كان فيها شاهداً على أحداث عصره، وما

www.abulhasanalinadwi.org

عانت منه الأمة الإسلامية في بقاع شتى، لذلك نجد في هذه السيرة نماذج لعائلات وأفراد عانوا آلام عصر الهبوط، ونجد مواجهات قوية لأزمات الفقر والجهل والمرض والخوف والاستعمار، ونجد النجاح والإخفاق، ونجد النماذج البشرية العالية والهابطة، ونجد بعد الرؤية وقوة الأحداث، ونستمتع بسلاسة العبارة وعذوبة الأسلوب.

ويشكل أدب الرحلات جانباً مهماً من إبداع الشيخ أبي الحسن الندوي، ولعله صدى للأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء الشرق والغرب، فقد طوف الشيخ الندوي في العالمين العربي والإسلامي وفي أوربا، وكانت عينه وبصيرته تتقاسمان المشاهد التي يمر بها، كما كانت مقاييسه الإيمانية تحاكم وتحكم على كل ما يقف عليه، وكان قلمه يسجل ما تجتمع عليه ملكاته الثلاثة تلك، فجاءت كتبه"مذكرات سائح في الشرق" و"من نهر كابل إلى نهر يرموك" و"الطريق إلى المدينة"و" في المغرب الأقصى" تعرض مشاهداته وتأملاته العميقة وترسم صوراً صادقة للمجتمعات العربية والإسلامية التي مر بها في ذلك الوقت، وترصد القيم الإيجابية والعناصر السلبية فيها، وتستشرف آفاق المستقبل لتلك الإيجابيات والسلبيات بفراسة المؤمن، وتحذر بغيرة المشفق من سوء العواقب، وقد صدقت فراسته وذاقت بعض البلاد العربية والإسلامية مرارة ما تخوف منه.

وقد أضاف الشيخ أبو الحسن الندوي إلى كتاباته في أدب الرحلات تنظيراً وتأصيلاً لقواعد مهمة فيه، فكتب فصلاً ضافياً عنه في كتابه"نظرات في الأدب" قرر فيه القواعد التي ينبغي أن

www.abulhasanalinadwi.org

تتوافر في هذا الأدب وكاتبه ليكونا مفيدين للبشرية، منها ضرورة أن يتمتع الكاتب بالنظرة الشمولية للمجتمع الذي يكتب عنه، ولا يحتبس في جزئيات تحيط به في وقت أو مكان ما يصدر الأحكام التعميمية الخاطئة، ومنها ضرورة التسجيل المباشر للحدث الذي يصادفه كي لا يدخل عليه أثر الزمن بعد ذلك نسياناً أو تغييراً، ومنها ألا ينحي الكاتب ذاته وأحكامه عما يكتب، وهذا خلاف ما يذهب إليه معظم المنظرين في الغرب، وحجة الشيخ الندوي في ذلك أن كاتب أدب الرحلات إذا اقتصر على تسجيل ما يراه ونحى مشاعره وعقيدته وفكره تحول إلى مجرد آلة تصوير باردة وصار ما يكتبه وصفاً إخبارياً لا حياة فيه.

ولعل آخر ما يخطر على بال من يدرس نتائج مفكر فقيه داعية أن يجد له إسهاماً في أدب الأطفال، لكن الشيخ الذي كان يحمل هم الدعوة وهموم المسلمين حيثما كانوا، وجد في هذا الميدان ما غفل عنه الكثيرون قبل نصف قرن، فالطفل هو البنية الواعدة ورجل المستقبل، والعناية به تأسيس للرجل الصالح، والقصة بما تملكه من مشوقات ومؤثرات وسيلة تحفز في نفوس الأطفال أخاديد لا تردم، وقد لحظ الشيخ أبو الحسن ذلك، وأدرك خطورة هذا المنبر في إهماله وفي استخدامه، وبحث عن النصوص القصصية المناسبة فلم يجد الكثير، وأراد أن يدعو الأدباء الإسلاميين إلى ملء الفراغ قبل أن يملأه غيرهم، فجعل دعوته نظرية وتطبيقية، واختار من حياة الأنبياء والرسل مواقف وأحداثاً مهمة، وأخرجها في مجموعة قصصية سماها "قصص النبيين للأطفال"، وصاغها بأسلوب عذب مبسط يناسب الطفل

www.abulhasanalinadwi.org

في مرحلة تفتح الوعي الـتي تلامس مرحلة الفتوة، وهي أخطر مرحلة في حياة الطفل، تتأسس فيها مفهوماته، وتتجذر قيمه.

وقد نبه الشيخ الندوي في مقدمة المجموعة إلى أهمية هذا اللون من الأدب، وأثره في تنشئة الأجيال والشروط التي ينبغي أن تتوافر فيه ليكون ناجحاً يتغلغل إلى أعماق الناشئة، ويزرع فيهم القيم الفاضلة.

وبعد:

فهذا تطواف سريع بجهود الشيخ أبي الحسن الندوي في خدمة الأدب الإسلامي في جانبيه العملي والإبداعي، أردت أن ألفت نظر الباحثين فيه إلى هذا الموضوع المهم والقيم، والذي يمكن أن يكون رسالة جامعية معمقة، أو كتاباً منهجياً كبيراً، فما ذكرته هنا أشبه ما يكون بعناوين تندرج تحتها تفصيلات وتحليلات واستنتاجات كثيرة، وأحسب أنه من حق الشيخ أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ علينا وعلى دعاة الأدب الإسلامي ودارسيه أن نعكف على هذا الفصل المهم من تاريخ الأدب الإسلامي ومراحل تطوره، فالشيخ الندوي بعطاءاته الواسعة والمتميزة قسم من هذا التاريخ ومرحلة عظيمة التطور، كثيرة التغييرات، غنية الأحداث لا يصح أن تغيب عن سجل العطاء والتضحية والإبداع، ليس في تاريخ الأدب الإسلامي وحده، بل في تاريخ الأدب الإنساني كله.

❀❀❀

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
ملامح أسلوب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي	٥
نموذج للمجال الفكري والاجتماعي	١١
نموذج من أسلوبه التاريخي	١٣
نموذج في الموضوع الديني	١٥
نموذج للموضوع الأدبي	١٦
وفي موضوع الدعوة	١٧
وفي مجال الأسلوب القصصي	١٨
الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي	٢٧
تمهيد	٢٨
حول الأدب الإسلامي	٣١
مفهوم الأدب الإسلامي	٣١
وظيفة الأدب	٣٢
الأدب الإسلامي والتسلية	٣٤
الأدب الحي والأدب المزخرف	٣٦
الأدب الإسلامي وقضايا الحضارة	٣٨
أدب الرحلا ت	٤١

www.abulhasanalinadwi.org

مذكرات سائح في الشرق العربي	٤٣
أسبوعان في المغرب الأقصى	٤٦
في النقد الأدبي	٤٨
التأصيل الإسلامي للنقد	٤٨
وظيفة النقد الإسلامي	٥٤
صفات الناقد المسلم	٥٦
النقد وسيلة وليس غاية	٥٨
القيم وأثرها في النقد الإسلامي	٦٠
نظرات نقدية في الشعر والنثر	٦٩
في عالم الشعر	٦٩
مع جلال الدين الرومي	٧١
الحب في شعر جلال الدين الرومي	٧١
قيمة الإنسان في شعر جلال الدين الرومي	٧٣
وقفة مع إقبال	٧٥
نظرة إقبال إلى الشعر والأدب	٧٦
الرؤية الحضارية في شعره	٧٧
في مجال النثر	٧٩
صفحات من النثر الفني	٧٩
الآفاق العالمية للأدب والنقد الإسلاميين	٨١
الخاتمة	٨٣
الشيخ أبو الحسن الندوي الأديب الناقد	٨٥
جهود الشيخ في بعث الأدب الإسلامي من جديد	٩٦

www.abulhasanalinadwi.org

تربية الناشئة على العربية وتذوق الأدب	١٠٢
جهوده في رعاية الأدب الإسلامي	
وجمع أدبائه	١٠٧
إسهامات في الأدب والدراسات الأدبية	١١٥
العلامة السيد أبو الحسن الندوي	
رائد الأدب الإسلامي للأطفال	١٢٩
القصة في أدب الشيخ	
أبي الحسن علي الحسني الندوي	١٥٧
ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة قصص من	
التاريخ الإسلامي للأطفال لأبي الحسن الندوي	١٧١
مدخل	١٧٢
العوامل المؤثرة	١٧٤
ملامح التوجيه : الضمائر والعلاقات	١٧٦
التصوير	١٧٩
التناص وحكاية الحدث	١٨١
التوجيه والحسن الخطابي	١٨٣
المقدمة التفسيرية السردية	١٨٦
أثر الاستفهام في تشكيل الحدث	١٨٨
محورية الفعل الماضي (كان)	١٩٢
بعد جديد لمفهوم التاريخ الإسلامي	١٩٤
أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي	١٩٦
مقدمة	١٩٧
المبحث الأول : اللغة	١٩٩

www.abulhasanalinadwi.org

المبحث الثاني : الدعوة	٢٠٣
المبحث الثالث : التربية الإسلامية	٢١٤
المبحث الرابع : الجانب الفكري والنفسي	٢٢٣
المبحث الخامس : الثقافة الإسلامية	٢٣١
المبحث السادس : الاتجاه الإسلامي	٢٣٥
خاتمة	٢٣٨
مصادر ومراجع البحث	٢٤١
جهود الشيخ أبي الحسن الندوي	
في خدمة الأدب الإسلامي	٢٤٢
فهرس الموضوعات	٢٥٥

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org